

مركز المدار المعرفي للأبحاث والدراسات -الجزائر-



في اللغة والأدب

مجلة فصلية دولية محكمة

العدد الثاني مارس - 2019م/ 1439هـ





ISSN: 2661-765X
الإيداع القانوني: أوت 2018

مجلة مدارات في اللغة والأدب

مجلة فصلية دولية أكاديمية محكّمة تعنى بالدراسات اللغوية والأدبية
تصدرعن مركز المدار المعرفي للأبحاث والدراسات، الجزائر
الترقيم الدولي
ISSN:2661-765X
الإيداع القانوني أوت 2018
العدد الثاني مارس 2019



الهيئة العلمية الاستشارية

ترسل جميع المراسلات إلى مديرة ورئيسة هيئة تحرير مجلة مدارات في اللغة والأدب

د. علية بيبية

على العنوان الإلكتروني:

MadjalatMadarat@Gmail.com

العنوان البريدي للمركز:

تعاونية السنابل الذهبية العقارية، سكن رقم 52، المنطقة الحضرية الجديدة رقم 02، تبسة، الجزائر

شروط النشر

ترحب مجلة مدارات في اللغة والأدب بنشر الأبحاث والدراسات الرصينة ذات المستوى الأكاديمي الراقي باللغة العربية ، ولذلك يسرنا دعوة كافة الأساتذة والباحثين في المؤسسات الجزائرية والأجنبية للمساهمة في إثراء المجلة، على أن يلتزم أصحابها بالقواعد التالية:

1 – أن لا يكون قد سبق نشره، وأرسل إلى مجلة أخرى.

2 – أن يرفق بملخصين أحدهما بلغة العربيةوالآخر بإحدى اللغتين الأجنبيتين (الانجليزية – الفرنسية)، وأن لا يتجاوز الملخص حدود 150 كلمة، وأن يتضمن على الأقل خمس كلمات مفتاحية.

3 – أن يكتب بخط Traditional Arabic مقاسه 14 بالنسبة للمتن، وخط Traditional Arabic مقاسه 10 بالنسبة للهامش.

4 – أن يتم الإشارة إلى الهامش والإحالات أسفل كل صفحة، على أن تعرض قائمة المصادر والمراجع في نهاية المقال مرتبة هجائيا بحسب اسم الشهرة.

5 – أن تترك مسافة 1 سم بين الأسطر، وتكون هوامش الصفحة 2 سم من كل الجهات، وحجم الورقة عادي (A4).

6 – تتضمن الورقة الأولى لمادة النشر المعلومات الشخصية للباحث: اسمه ولقبه، رتبته الأكاديمية، تخصصه، الهيئة التي يتبع لها، رقم هاتفه وبريده الإلكتروني.

7 – مادة النشر تكون موثقة وفق النموذج المرجعي المعروف بـ «نموذج شيكاغو».

8 – أن يتم وضع الصور، الخرائط، الجداول والرسوم البيانية في متن المقال، على أن تتضمن مصادرها والروابط المشيرة لها.

9 – المقالات المنشورة في المجلة لا تعبر إلا عن رأي صاحبها.

10 – كل مقال لا تتوفر فيه الشروط لا ينشر مهما كانت قيمته العلمية.

11 – إخضاع مادة النشر للتدقيق اللغوي قبل إرسالها للمجلة.

-12 يكون حجم البحث بمعدل عشر صفحات إلى عشرين صفحة بما في ذلك الجداول والمرفقات من هوامش ومصادرومراجع.

-13 يرفق مع البحث تعهدا بجهد الباحث الشخصي

14– يحق لهيئة التحرير إجراء بعض التعديلات الشكلية على المادة المقدمة متى لزم الأمر دون المساس بالموضوع.

14 – المقالات المرسلة لا تعاد إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

15 – يحكم البحوث أساتذة مختصون في الجامعات ومراكز البحوث والدراسات.

16 – في حالة إبداء ملاحظات من طرف المحكمين، ترسل الملاحظات إلى الباحثين لإجراء التعديلات اللازمة خلال مدة أقصاها أسبوعان.

17– يتلقى صاحب المقال المنشور نسخة من العدد، إضافة إلى شهادة نشر.

19 – يسمح بالنقل أو الاقتباس مما تنشره المجلة، شريطة الإشارة إلى ذلك حسب القواعد العلمية المعمول بها في هذا الشأن.

20 – ترسل المقالات إلى العنوان الالكتروني التالي: madjala-madarat@gmail.com

كلمة رئيس التحرير

إنه لمن دواعي سرورنا أن نضع بين أيديكم العدد الثاني من مجلة مدارات في اللغة والأدب للسداسي الثاني في شهر مارس ،هذه المجلة الفتية التي نريدها واجهة لإبداع وتطوير البحث العلمي في مجال اللغة والأدب والنقد ،وذلك برعاية من لجنة علمية موقرة يمثلها أساتذة من الجزائر ومن مختل ربوع الوطن العربي وهيأة تحرير تسهر على جودة المجلة وإخراجها في ثوب حسن .

وتسعى هذه المجلة إلى استمرار سياستها في السعي إلى أن تحتل الريادة على المستوى الوطني والدولي وأن تصبح مصنفة ضمن أشهر المجلات العالمية الرائدة في مجال النشر.

ولا يفوتنا –من خلال هذا العدد- أن نتقدم إلى المساهمين الذين شرفونا بالنشر فيه والذين أثروا المجلة بموضوعاتهم القيمة والتي تعتبر مفاتيح للولوج إلى امتيازات علمية رائدة في مجال البحث العلمي.

د. علية بيبية

كلمة مدير مركز المدار المعرفي للأبحاث والدراسات
أ. عبد الوهاب باشا

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه أما بعد:

فيسر هيئة تحرير مجلة مدارات في اللغة والأدب أن تقدم لقرائها الكرام داخل الوطن وخارجه، وللمهتمين بقضايا الأدب واللغة ، العدد الثاني من المجلة، آملين أن يكون في المستوى المطلوب من الإخراج والإتقان، وأن يلقى القبول عندكم، ويجد فيه الباحثون والمهتمون ما يفيدهم في الدراسات اللغوية والأدبية.

وقد حمل هذا العدد بين طياته جملة من الأبحاث القيمة لأساتذة وباحثين أفذاذ من مختلف الدول والتي منها: الجزائر، المغرب، تونس، العراق .

وهذا إن دل فإنما يدل على أن صرح هذه المجلة لا يبنى إلا بجهودكم واهتمامكم، وسعيكم لنشر العلم، لتكون مجلة مدارات في اللغة والأدب منارة للدراسات والأبحاث التي يشد لها المشاركون رباط الهمة والعزيمة.

وفي الأخير لا يسع أسرة المجلة ككل من رئيسها الشرفي، وهيئة التحرير والهيئة العلمية، وكل من قام بمساعدتنا من قريب ومن بعيد، إلا أن تجزل لكم جميل عبارات الشكر والعرفان لكم أنتم أيها الباحثون والمشاركون معنا في هذاالعدد أو في العدد الأول أو فيما يأتي من الأعداد.

كما تجدد اسرة المجلة دعوتها لكل الباحثين في قضايا الأدب واللغة للمشاركة بإسهاماتهم العلمية والمعرفية والبحثية ، وتقبلوا منا أسمى عبارات الشكر والتقدير.

أ. عبد الوهاب باشا

الفـــهـــرس

أثر البنية اللسانية في التحليل النحوي المعياري

د. سليمان بن سمعون جامعة غرداية - الجزائر-

الملخص:

شهدت الدراسات اللغوية تطوّرا كبيرا مع ظهور اللسانيات؛ فانشغل اللغويون بمستجدات الدرس اللساني الحديث فحاولوا بذلك أنْ يبيّنوا حدود الدراسة اللغوية المتمثلة في النحو، والصرف، والمعجم، والمعنى، بما يقابلها من مصطلحات في اللسانيات(علم اللغة الحديث)، فأصبحت المفاهيم التي تقابل علوم اللغة كالتالي : التركيب هو النحو، والمورفولوجيا هي الصرف، و المعجمية تتقاطع مع المعجم؛ من حيث تهتم بدراسة مفردات المعجم، والدلالة هي المعنى.

وإذا ما قمنا بالتفصيل في خصائص كل علم على حدة ؛ وجدنا أنّ اللسانيات اهتمت بالجوانب الشكلية، ومن ثمَّ أصبح كل علم من العلوم يحتوي سمات بنيوية شكلية ، وأخرى معنوية دلالية، ولسنا في هذا المقال بصدد إثبات تلك السمات في جانبيها الشكلي ، والدلالي، وإنما ينصبُّ هذا البحث على أثر البنية اللسانية في التحليل النحوي المعياري، وتوضيحها في قسمها النحوي فهو أساس التركيب،وخصوصا في البحث عن الخصائص البنيوية لأقسام الكلم: الاسم، والفعل.

وسنركّزُ على الخصائص البنيوية وعلاقتها بالمعيار في بناء الاسم والفعل؛ لأنهما القسمان اللذان يشكّلان بنية الجملة العربية في الإسناد الاسمي والفعلي، ونترك دراسة الحرف لدراسة مستقبلية نتبيّن فيها الخصائص البنيوية له من منطلق لساني.

ولذلك سنشتغل على خطة تتلخص في النقاط التالية: البحث عن أثر البنية اللسانية ؛ وعلاقتها بالتحليل النحوي المعياري ، من خلال البحث في البنية وشروطها الشكلية والعلمية.

RÉSUMÉ DE LA RECHERCHE L'EFFET DE LA STRUCTURE LINGUISTIQUE DANS L'ANALYSE GRAMMATICALE

LES ÉTUDES LINGUISTIQUES ONT ÉTÉ UN DÉVELOPPEMENT MAJEUR AVEC L'ÉMERGENCE DE LA LINGUISTIQUE: LES LINGUISTES SE SONT INTÉRESSÉS À LA LEÇON LINGUISTIQUE MODERNE ET ONT TENTÉ D'EXPLIQUER LES LIMITES DE L'ÉTUDE LINGUISTIQUE DE LA SYNTAXE, DE LA MORPHOLOGIE ET DU LEXIQUE, AINSI QUE SON SENS, AVEC LA TERMINOLOGIE CORRESPONDANTE EN LINGUISTIQUE. COMME SUIT: LA COMPOSITION EST LA GRAMMAIRE, LA MORPHOLOGIE EST LE DRAINAGE, LE LEXIQUE SE CROISENT AVEC LE LEXIQUE, EN TERMES D'INTÉRÊT POUR L'ÉTUDE DU VOCABULAIRE DU LEXIQUE ET LA SIGNIFICATION EST LE SENS.

SI NOUS DÉTAILLONS LES CARACTÉRISTIQUES DE CHAQUE SCIENCE SÉPARÉMENT, NOUS AVONS CONSTATÉ QUE LA LINGUISTIQUE S'INTÉRESSAIT AUX ASPECTS FORMELS ET QUE CHAQUE SCIENCE AVAIT DES CARACTÉRISTIQUES STRUC-

TURELLES DE FORMALITÉ ET DE MORALITÉ MORALE, ET NOUS NE SOMMES PAS DANS CET ARTICLE ALLONS PROUVER CES CARACTÉRISTIQUES TANT FORMELLES QUE SÉMANTIQUES. CETTE RECHERCHE SUR L'EFFET DE LA STRUCTURE LINGUISTIQUE DANS L'ANALYSE NORMATIVE DE LA GRAMMAIRE ET SA CLARIFICATION DANS SA SECTION GRAMMATICALE CONSTITUENT LA BASE DE LA COMPOSITION, EN PARTICULIER DANS LA RECHERCHE DES PROPRIÉTÉS STRUCTURELLES DES SECTIONS DU MOT: LE NOM ET LE VERBE.

NOUS NOUS CONCENTRERONS SUR LES CARACTÉRISTIQUES STRUCTURELLES ET LEUR RELATION AVEC LE CRITÈRE DANS LA CONSTRUCTION DU NOM ET DU VERBE, CAR CE SONT LES DEUX SECTIONS QUI FORMENT LA STRUCTURE DE LA PHRASE ARABE DANS L'ATTRIBUTION NOMINALE ET RÉELLE, ET NOUS LAISSONS L'ÉTUDE DE LA LETTRE À UNE ÉTUDE FUTURE DANS LAQUELLE NOUS EN TROUVONS LES CARACTÉRISTIQUES STRUCTURELLES EN TERMES LINGUISTIQUES.

NOUS ALLONS DONC TRAVAILLER SUR UN PLAN COMPRENANT LES POINTS SUIVANTS: LA RECHERCHE DE L'EFFET DE LA STRUCTURE LINGUISTIQUE ET SA RELATION AVEC L'ANALYSE GRAMMATICALE NORMATIVE, EN EXAMINANT LA STRUCTURE ET SES CONDITIONS FORMELLES ET SCIENTIFIQUES.

لئن كان مفهوم البنية مفهومًا لسانيا يحيلُ إلى مصطلحين أساسيين في اللسانيات البنيوية؛ وهما المكونات: وهي العلامات اللسانية، والعلاقات: وهي التي تربط بين المكونات، فإنّ الرغبة في خوض غمار هذه الورقة البحثية يكمنُ في البحث عن الأثر الذي يمكن أنْ تتركه البنية اللسانية في التحليل النحوي المعياري من منطلق مفهوم الوصف، وصولا إلى المعيار الذي يقتضيه النحو، وربما لا نستطيع في هذه الورقة المختصرة؛ أنْ نلمّ بكل القضايا النحوية التي يشملها التحليل النحوي المعياري.

لذلك سنقف على مجموعة من العلاقات النحوية التي يتطلّبها البناء النحوي من منطلق أقسام الكلم،ولن يكون همّنا التطبيق بقدر؛ما نرصد مظاهر العلمية في التحليل المعياري؛ على الرغم من اختلاف توجّهات الدراستين النحوية واللسانية،وقد يتساءلُ متسائلٌ عن الهدف من هذه الدراسة، وعن الأسباب التي أدّت بنا إلى إنجازها؟

والجوابُ لن يكون جوابا قطعيًا محاولة منّا لفتح المجال لمثل هذه الدراسات التي تبحثُ في التداخل بين العلوم _علاقة اللسانيات بالنحو_، وتحاول الإجابة عن التساؤلات العلمية؛ في مجال التحليل اللساني، وعلاقته بالنحو.

وإذا ما رُمنا طلب الدقّة العلمية في التأسيس لنظرية نحوية عربية، أو موقع تلك النظرية من اللسانيات البنيوية؛ ربما أمكننا هذا الطلب من الإجابة عن سبب اختيار الخوض في هذه الدراسة ، وهدفها المتمثّل في البحث عن الأثر الذي يخلّفه مصطلح بنية في التحليل النحوي.

وعليه فقد اخترتُ الخوض في هذا المجال العلمي الابستمولوجي المهم؛ على الرغم من وجود دراسات مشابهة وسابقة لهذه الدراسة، وقد كانت تلك الدراسات تأسيسية، ومنها الدراسات القيّمة التي أنجزها كل من الباحث خليل عمايرة في كتابه في نحو اللغة وتراكيبها، والباحث نهاد الموسى في كتابه نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، والباحث حلمي خليل في كتابة العربية وعلم اللغة البنيوي،والباحث عبد الرحمن حاج صالح في كتبه اللسانية ومنها: كتاب اللسانيات، والباحث عبد السلام المسدّي في كتابة العربية والإعراب...وغيرها من الدراسات القيّمة ، والتي لا يمكن حصرها في هذا المقام.

ولكي نلتزم بالدقّة العلمية التي اشترطناها على أنفسنا اخترنا مجموعة من العناصر التي قدّمنا فيها تصوّرنا للأثر الذي تخلّفه البنية اللسانية في التحليل النحوي المعياري، أو بعبارة أخرى هل يمكننا الحديث عن قيام نظرية نحوية عربية؟؟

وللبحث في العناصر التي تُحقق تلك النظرية، وتسعى إلى قيام علاقة مبرّرة بين اللسانيات والنحو اخترنا مايلي : فأمّا التي تبيّن حدود دراسة البنية ، والتي نتقصّى بها حضور الأثر اللساني في النحو المعياري؛ فتتمثّل في التالي:

مفهوم البنية اللسانية، وشروط الدراسة العلمية للبنية اللسانية، و القيمة اللسانية ،وأمّا التي نتحقق بها من إمكانية رصد التعالق بين ما هو لساني، وما هو نحوي ؛ فيمكن أنْ يرتبط بالعناصر التالية: معيــار التحليل النحوي، والبنية اللسانية والتحليل النحوي.وقد تتداخل بعض المفاهيم في كلا العلمين، ومن مهامنا البحث في مبرّرات ذلك التداخل.

أوّلا: البنية اللسانية:

لقد لوحظ في تعريف البنية في اللسانيات؛ وجود اتجاهات متعدّدة تبحثُ في خصوصية مفهوم البنية اللسانية، وقد لاحظنا أنّ كل تلك الاتجاهات متمثلة في مجموعة مدارس لسانية غربية _مدرسة جنيف، المدرسة الوظيفية الصوتية (فلم ماتيسيوس) (حلقة براغ)، المدرسة الإنجليزية (دانيال جونز، جون فيرث)، المدرسة الوظيفية التركيبية (مارتيني،لوسيان تينيير)، المدرسة الجلوسيمية (لويس هيلمسليف)_ ولو اختلفت تلك المدارس ظاهريا؛ فإنها تلتقي في الطرح السوسيري، وهو اعتبار البنية نظام، لأنّ اللغة بمفهومه _دي سوسير_ شكل وليست مادّة، وأنّ حديثنا عن البنية سيكون حديثا عن المكوّنات؛ وهي العلامات اللسانية، وأيضا العلاقات القائمة بينها، ولذلك اقترح دي سوسير دراسة الجانب الشكلي في اللغة، وهو العلاقة بين الدال والمدلول، لأنّ أي علامة لسانية؛ هي عبارة عن المكونين مجتمعين معاً، ولا يمكن أن تكون الدراسة الشكلية للغة هي دراسة للدال بمعزل عن المدلول.

إنّ منظور دي سوسير للبنية على أنها العلاقات بين المكوّنات _ على الرغم من اختياره لمفهوم النظام_ يجعل منها مفهوما مركزيا تدور حوله أغلب الدراسات اللسانية البنيوية، وقد تساءل الباحث عبد الجليل مرتاض قائلا :هل من تعريف شامل للبنية اللسانية؟ مُشيراً إلى أنّ» البنية اللسانية هي البنية التجريدية التي تمثّلها وقائع لسانية عبر شبكة علاقات التعارض بين عناصرها

التي تمكّنُ اللغة من أداء وظيفتها الأساس أي وظيفة التبليغ»[1] .

صحيح أنّ دي سوسيريلحُّ على المفهوم التجريدي للبنية ؛ وبمفهومه (النظام) ، ولكن مع ذلك يستحضرأهمية المكوّنات في الاضطلاع بمهمة التحليل التجريدي الذي تتصف به البنية،وهوما يشعرنا دائما بأنّ هناك ترابطا بين الجانب الصوتي المادي الذي يعبّرعنه الدال، والجانب النفسي المعنوي أوالصورة الذهنية التي يعبّرعنها المدلول «ولا تقوم الوظيفة المميزة للسان إزاء الفكرفي خلق وسيلة فونيطيقية ماديّة من أجل التعبيرعن المعاني والأفكاروإنما يكمن دور اللسان في كونه يستخدمُ وسيطا بين الفكروالصوت في شروط وأحوال يؤدّي اجتماعهما فيها بالضرورة إلى ضروب من التحديدات المتبادلة المنعكسة للوحدات »[2].

فما هي إذن تلك الضروب من التحديدات المتبادلة المنعكسة للوحدات؟

والإجابة أنّ تلك الضروب متعدّدة ؛وقد ناقشها دي سوسيرحينما أشارإلى العلاقات التي تجمع بين الوحدات، وهذه العلاقات مختلفة منها ما يكون مرتبطا بالدوال، ومنها ما له علاقة بالمدلولات، وقد أخبرنا عبد الجليل مرتاض في قراءته لمناهج اللسانيات الحديثة في تحديده لمفهوم البنية قائلا: « وأعتقد أنّ الإدراك الأفضل للبنية اللغوية أنْ نتحدّث عنها انطلاقا من لغتنا المتواصل بها كظاهرة تبليغية مستقلة، لا من مناهج لسانية لم تحدّد هي بذاتها نفسها تحديدا مجمعا عليه بين المنظرين اللسانيين»[3].

وعلى الرغم من الحكم الذي أطلقه عبد الجليل مرتاض على واقع الدراسات والمناهج اللسانية لتحديد مفهوم البنية، إلا أننا نجد أنّ أغلب تلك المناهج اللسانية قد انطلقت من ثوابت دافع عنها دي سوسير ؛ فاستقرّت في تلك النظريات، واستطاعت أنْ تُثبت أهمية البنية اللسانية في تحليل اللغة، ومن ثمّ الحكم على الدراسة الموضوعية العلمية للعلامات اللسانية ، وكيفيات انتظامها ، «فلماّ كانت اللغة نسقا من الرموز والصور الدالة؛ فكلّ شيء نزلت عليه هذه الصّور والرموز يصيرُ متشكّلا على وفقها، والبنائية إنما هي هذا التشكّل عينه»[4].

وإذا كانت البنائية _ المصطلح لطه عبد الرحمن_ هي ذلك التشكل من الرموز و الصور، فهذا يعني استحضارمفهوم البنية في أبسط صورها، وهو إمكانية تشكّلها من علاقة بين الدال والمدلول؛ لكوها تقتضي علاقة بين طرفين متعالقين، ومع ذلك يصرُّ دي سوسيرعلى مفهوم النظام، ويعبّرُ النظام عن الجانب الثابت في اللغة، ولذلك يمكننا وصفه بأنّه معيارلنظامية اللغة، ولا يمكننا هنا أن نعتبرالنحو نظاما لغويا منفصلا عن النظام اللساني بمفهومه في اللسانيات؟

وعليه يكون النحو نظاما لغويا يتقاطع مع النظام اللساني؛ ولكن ما يميّزالنحو أنه يرتبط بالمعنى وخاصة المعنى النحوي،و الذي هو « محصّلة العلاقات القائمة بين الكلمات في الجملة، وهوما تدلُّ عليه الكلمة باعتبارها رموزا للأشياء والأحداث والأفكار ،كما يتمثلها المتحدّثُ باللغة»[5]

1- عبد الجليل مرتاض، البنية اللغوية في ضوء المناهج اللسانية، مجلّة اللغة العربية المجلس الأعلى للغة العربية،الجزائر، العدد31، 2015، ، ص 23.

2- فرديناند دي سوسير، محاضرات في علم اللسان العام، افريقيا الشرق، الدارالبيضاء المغرب، دط، 2008، ص 167.

3- عبد الجليل مرتاض، البنية اللغوية في ضوء المناهج اللسانية، ، ص 32.

4- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثرالعقلي، المركزالثقافي العربي، الدارالبيضاء المغرب، ط3، 2012، ص 65.

5- حلمي خليل، الكلمة دراسة لغوية معجمية، دارالمعرفة الجامعية، الإسكندرية مصر، دط، 2011، ص 104.

وعندما نتكلّمُ على المعنى النحوي؛ نجد أن النحو يختلف عن اللسانيات في اهتمامه بالمعاني المختلفة الناتجة عن التراكيب النحوية، في حين لا تهتم اللسانيات البنيوية بالمعنى ، وهو ما يجعلنا نبحث في علاقات التأثيروالتأثربين البنية اللسانية والتحليل المعياري النحوي،ولنلاحظ مبدئيا أنّ تلك العلاقة تنشأ حين الاتفاق على معاني العلامات اللسانية، ومن حيثُ إنّ بنية أي علامة تتكوّن من دال ومدلول ، ومع ذلك يمكن أنْ نصفها بأنها بنية ثابتة من خلال أحد المعاني المنوطة بها، والتي من بينها المعنى النحوي، ولا تناقض في ذلك، ويتأكّدُ التعالق بين اللسانيات والنحو؛ عندما يتعرّف المحلّل اللساني، واللغوي النحوي على تلك العلاقات المشتركة بين العلمين، ولا شكّ أن من بين أهمها العلاقات الصرفية و النحوية، وهو ما دعا تمّام حسّان في كتابه الخلاصة النحوية عند تقسيمه لأقسام الكلم إلى القول: «سنجدُ أنّ الكلمات تتفقُ وتختلف في صورها ووظائفها، ومواقعها في السياق ، وفي طرق تغيّرها وتقلّبها كذلك، فما اتفق منها في الصّورة أو الوظيفة إلخ؛ وضع في قسم بعينه من أقسام الكلم ، وما اختلف منها اختلفت به الأقسام... وكثيرا ما نُطلق على هذه الكلمات لفظ المفردات، فنشيربهذا اللفظ إلى إمكان تعريف الكلمة بأنّها ما صلح من عناصر اللغة للإفراد»[1].

ولمّا كان التعريف الذي قدّمه تمام حسّان يبيّنُ أنّ هناك علاقة ثابتة بين القسم الذي تنتمي إليه الكلمات، وبين ما يمكن أنْ تُسهم به مع غيرها في أداء المعنى النحوي، فإنّ هذا التعريف يُحيلنا بالضرورة إلى نظامية اللغة؛ بوصفها شكلا ، ويتمُّ هذا من حيثُ المحوران الاستبدالي والتركيبي في اللسانيات.

ثانيا: شروط الدراسة العلمية للبنية اللسانية

من بين شروط الدراسة العلمية للبنية اللسانية توفّرمفاهيم الوصف ، والتصنيف، والتعميم، والتجريد، وهي ربّما الشروط التي يمكن توافرها أيضا في قيام النظرية اللسانية، ولمّا كان المحوران الاستبدالي والتركيبي في اللسانيات البنيوية ؛ يثبتان معا الأهمية الكبرى لما تضطلع به العلامات اللسانية في توافقها وتواجدها دون تناقض _وذلك عند النظرإلى تلك العلامات اللسانية_ في أحد المحورين دون الآخر ، ربّما يتأكّد بذلك أنّ هناك علاقة وطيدة بين البنيوية والسمات اللغوية في علاقتها ببنية النظام اللغوي» ذلك لأنّ اللغويين منذ أيّام العالم اللساني المشهور دي سوسير ...في أوائل القرن العشرين، درسوا عناصر اللغة والسّمات المميّزة لعلاقاتها بوصفها أنساقا لا علاقة لها بالعالم الذي تعبّرُ عنه أوتدلُّ عليه»[2].

ومهما يكن الطرح الذي تقدّم به دي سوسير ، ومنطلقه أنّ اللغة شكل وليست مادة، فإنّه في المحصّلة لا يمكننا البحث أو الانطلاق في الدراسة العلمية الموضوعية للغة من فراغ، ودليلنا على ذلك هو أنّ دي سوسيرقد أقصى المرجع فقط في التحليل الشكلي الذي يرتضيه؛حتى يحقّق التوجه العلمي الصارم في التحليل الشكلي للغة، ومع ذلك لو وضعنا تلك الشروط في ميزان التحليل الشكلي ؛لوجدنا أنها تميل إلى كونها تُدرس في محتواها، أي في جانبها المادي أوّلا ، ثم بعد ذلك توظّف

1- تمام حسان، الخلاصة النحوية، عالم الكتب، القاهرة مصر، ط3، 2009، ص 39.

2- فؤاد زكريا، الجذور الفلسفية للبنائية، دار قرطبة للطباعة والنشر، الدار البيضاء المغرب، ط2، 1986، ص 06.

في التحليل الشكلي، الذي يتوافق مع منهج الدراسة التزامنية للغة.

وعليه فإن الجمع بين الشرطين الوصف والتصنيف مثلا لا يؤدّي إلى تناقض، فنحن حينما نصنّف أقسام الكلم إلى اسم ، وفعل ، وحرف، فإننا بديهيا قمنا بوضع تصنيف نحوي في الأساس ،حيثُ لا يمكن أنْ يقوم تركيب لغوي، دون التأكّد من الخصائص الشكلية والدلالية (المضمون) لكلّ قسم على حدة، وعندما نصف تلك الأقسام فإنّ وصفها لا يتجاوز بنيتها المعجمية، والصرفية، والنحوية أساسا، وهو ما يعني أنّ هذين الإجراءين يوظّفان في المحور الاستبدالي دون إشكال منهجي ولا علمي، ولكن في المقابل عند الحديث عن الشرطين الآخرين؛ وهما التعميم والتجريد، فيمكن أنْ يوظفا في المحور التركيبي بسهولة ، لأنّ التعميم والتجريد سيتعلّق بالقاعدة النحوية، والتي تتطلّب دراسة علمية مفصّلة لأحوال التراكيب، وهو ما لم تحقّقه الدراسة اللسانية البنيوية إلا في الجانب الشكلي منها، ومع ذلك يمكن أنْ تكون هذه الشروط بمثابة القاعدة الأساس التي توضّحُ أثر البنية اللسانية في دراسة النحو، ومن ثمّ قيام نظرية نحوية عربية، تتحقق من خلال نفس الشروط التي تعتمدها الدراسة العلمية للغة.

إنّ التوصّل إلى وضع شروط عامة تحقق قيام نظرية لسانية ؛ منشؤها البنية اللسانية؛ سيُسهم دون عناء في قيام نظرية نحوية عربية، تعتمد نفس الشروط، وتقوم على متطلبات البنية اللسانية وشروطها، وهو ما يجعلنا نتكلّم عن أنماط الاختلاف بين الأبنية،» لذلك يقف المتعامل مع اللغة عامةً... على نمطين من الاختلاف بين الأبنية على مستوى معانيها: نمط نوعي، وآخر كمّي:

1_ النمط النوعي: ويتّصلُ بالعلاقات الخلافية بين معاني الأبنية التي تتشاكل إلى حدّ كبير...

2_ النمط الكمي: ويتصلُ بدرجة دنيا من الاختلاف بين أبنية الكلمات إذ يُوجدُ معنى جامع ترجعُ إليه كل التنويعات البنيوية»[1].

وإذا كانت اللسانيات البنيوية قد قامت في تحليلها للعلامات اللسانية على مبدأ التشاكل والتقابل ، فإنّ هذه الخاصية أثبتت استخلاص قيمة العلامات اللسانية ؛ بالمنظور اللساني البنيوي.

3_ قيمة العلامة اللسانية:

يقصد دي سوسير بمفهوم القيمة أنْ تضطلع العلامات اللسانية بمعنى ثابت ينشأ من علاقتها مع غيرها من العلامات الأخرى في التركيب اللغوي، وماذا يقصد دي سوسير بالتركيب، إنّْ لم يكن يقصدُ النحو هنا؟

إننا إذا نظرنا للنحو في علاقته المباشرة باللسانيات البنيوية ؛ وجدناه يتمّمُ التصوّرات الشكلية للبنى اللسانية في التركيب، وهو ما تُدافع عنه اللسانيات البنيوية، ولكن في المقابل يجبُ أنْ نبحث عن إمكانية الحديث عن الشكل فقط، وهل هذا ممكن؟

يمكننا أنْ نسير في هذا الاتجاه عند مناقشتنا علاقة بنية ببنية أخرى ،و «يتّضحُ في إطار هذه العلاقة وجود مستويين من الأبنية. أبنية ظاهرة، وأخرى خفية، لذلك لا يمكن الوصول إلى المعنى إلاّ عبر مسلك غير مباشر على نحو من التكنية، فبنية الكلمة تقودُ إلى بنية أخرى، هي التي تبوح

1- أحمد الودرني، أصول النظرية النقدية القديمة من خلال قضية اللفظ والمعنى، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت لبنان، ط1، 2006 ،ص ص 32،33.

بالمعنى»[1]

ولنأخذ مثالا بسيطا الجملة التالية: هذا أمـرٌ جلـلٌ، إنّ هذه الجملة مكوّنة من ثلاث كلمات وهي اسـم الإشـارة هـذا، واسـم معنـى : أمـر، وصفـة : جلـل، ومـن حيـثُ البنيـة النحويـة، يمكـن الحديث عن جملة اسـمية مكوّنة من اسـم الإشـارة مبتدأ، والاسـم الموالي خبـر(أمر)، وصفة تمثّلت في كلمة جلـل، والتحليـل بهـذا الشـكل يمكـن أنْ يتشـابه مع أي جملة ؛ تنسـج على منوالها، لإمكانيـة أنْ يحلّ اسـم الإشـارة محلّ الاسـم الظاهـر المبتـدأ ، وأن يضطلـع بنفس الوظيفـة النحوية، ولكـن مع ذلك لا يمكننـا القـول إنّ هـذه الجملـة قـدْ حـدّدت صفـة ذلـك الأمـر لعـدم وجود قرينـة دالة على تخصيص الأمر بشيء محدّد ، فهو معنى مفتوح، إمّا أنْ نقصد بذلك الأمر أنْ يكون عظيما، وإما أنْ يُفهم على أنّـه أمرٌ حقير، وهـذا انطلاقا، من المعنى المعجمي، حيثُ يُخبرنا المعجم بأنّ هذه الكلمة من المشـترك اللفظي، الـذي يمثّـل في هذا التركيب معنيين إيجابي وسـلبي، وهو ما يشـير إلى التقابل في اللسـانيات.

إن العلاقـات التركيبيـة التي يصفهـا المحـور التركيبي في اللسـانيات لا تخـرج عـن كونهـا في المثـال السـابق: اسـم زائد اسـم زائد صفة، وهو تركيب نحوي صحيح لسـانيا ونحويا، ولذلك « يظلُّ التنوّع البنيـوي للكلمـة التي نصـلُ إلى معناهـا عبر غيرهـا؛ مصدرا يمكن اسـتغلاله أسـلوبيا وجماليـا، بذلك تُوجدُ ألفاظٌ أولٌ وألفاظٌ ثوان، ومن ثمّ معان مباشـرة، وأخرى مصاحبة»[2].

إننا بهذا الصدّد نتكلّم عن النظرية اللغوية، ومع ذلك يجبُ أنْ نوكّد موقع تلك النظرية من تراثنا العربي؛ وربمـا قـد أجـاب عـن ذلـك الموقـع الباحـث محمد عبـد العزيز عبـد الدايم في كتابـه النظرية اللغويـة في التراث العربي ، يقـول :« إنّ نظريات التراث اللغوي جديرة بدراسـات جادّة تسـتوفي ثلاثة شـروط، هي:_ أنْ تكون نظريـات التراث اللغـوي صوتيـا أو صرفيـا أو نحويا...إلخ هي العنـوان العـام الـذي يقـدّم التراث النحـوي من خلاله، وذلك لإعادة تقديم التراث اللغوي العربي في صورة نظريات لغوية...

_أنْ تستوفي النظريات اللغوية المختلفة لكلّ علم من العلوم العربية على نحو جامع.

_أنْ تُقدّم هذه النظريات في إطار عام يبيّن علاقتها بعضها ببعض»[3].

فما يرتضيه الباحث محمد عبد العزيز عبد الدايم هو إمكانية البحث في التراث العربي من منطلق لساني، ولذلك نجده يبحث في وضع إجراءات النظرية اللغوية الخاصّة بالنظام؛ لاستنباط الأنظمة بتطبيق الإجراءات الخمسة التالية:التصنيف، التعميم، التحليل، الشرح،التفسير [4] .

كمـا نجـد باحثـا آخـر يحلّـلُ العلاقـات القائمة بين القيمة اللسـانية ؛ والنحو وهو ربيع عبد السـلام خلـف يقـول:» وتتنـوع الوسـائل التي يسـتخدمها المتكلم في إبراز قيمة الحـرف أو الكلمة أو العبارة، أو الجملـة أو النـص، فهي إمّا بمقابلـة الوحدة مع غيرها من الوحـدات، وإمّا باسـتبدالها بها، مما يترتّبُ عليـه تعـدّد معنى الوحـدة، وتنـوّع قيمتها؛ بتنـوّع السـياقات الـواردة فيهـا، فالقيـم اللغويـة تتواجـد

1- المرجع نفسه، ص 35.

2- أحمد الودرني، المرجع السابق، ص 38.

3- محمد عبد العزيز عبد الدايم، النظرية اللغوية في التراث العربي،دار السلام، القاهرة مصر،ط1 ، 2006، ص 50.

4- ينظر المرجع نفسه، ص 41.

بالتقابل والتعارض بين الوحدات»[1].

فالقيمة اللسانية إذن تنشأ من مقابلة الوحدة بأخرى ،أو استبدالها بها على المستويين الاستبدالي والتركيبي .

ولقد اجتهد اللغويون العرب في تقديم رؤاهم اللسانية شرحا لما تقدّم به دو سوسير ، ولذلك فإنّ المقابلة بين الوحدات أو استبدال وحدة بأخرى يحقّقُ ما ذهب إليه دوسوسير في استدعاء المحورين الاستبدالي والتركيبي، ويرى الباحث ربيع عبد السلام خلف « أنّ قيمة الوحدة في اللغة تتضح بمقابلتها مع غيرها من الوحدات، وهذه المقابلة تظهر ضروب التباين، والاختلاف والتمايز بينها، وهذا التباين والاختلاف هو الذي يعطيها قيمها المتنوعة »[2].

وإذا كانت هذه الضروب المتمثلة في التباين والاختلاف والتمايز ؛ هي ما يشكّل التقابل بين الوحدات ،فإنّ هذا التباين مؤسسٌ على العلاقات النحوية للوحدات مثلا نجد الكلمة قد تدرس من الناحيتين الاشتقاقية والتركيبية، فإذا حدّدنا المعنى الاشتقاقي فيها قلنا بأنها ذات معنى عند الإفراد، ثمّ قمنا بتفصيل ذلك المعنى إلى ما له علاقة بالمادة أي المعنى المعجمي، وما له علاقة بالصيغة المعنى الصرفي الوظيفي،وهو ما تتعالق به الأسماء والأفعال والأوصاف.

وفي المقابل إذا حلّلنا الكلمة من حيث بُنيتها التركيبية، اكتسبت وظيفة في التركيب، ومن ذلك مثلا الضمائر ، والموصولات، والإشارات والظروف الجامدة، والحروف...[3]

ويُحيلنا دراسة الكلمة اشتقاقا وتركيبا إلى البحث في معيار التحليل النحوي، وهو ما يأتي تفصيله في التالي:

رابعا: معيار التحليل النحوي (أو التحليل النحوي المعياري):

يبدو البحث في معيار للتحليل النحوي أشبه بالبحث عن مجموعة علاقات نحوية ترجع في مجملها إلى علاقة واحدة، وربما لا نجاوز الصواب؛ إذا قلنا إننا سنحاول إثبات وجود معيار انطلاقا من متطلبات النظرية النحوية المبنية أساسا على القياس والتعليل.

والواقع أنّ النحو العربي، وربما نظرية النحو العربي تنطلق من القياس مادام هناك ثوابت تبرزُ العلاقات القائمة بين أقسام الكلم، ومن ذلك ما قدّمه الخليل بن أحمد الفراهيدي في منهج القياس، وهو ما ورد عن الباحث زهير غادي زاهد في ما نقله عن أبي المكارم في كتابه أصول التفكير النحوي، حيثُ يرى « أنّ منهج الخليل في القياس منهج استقرائي؛ مبني على استقراء لكلام العرب، وأساليبهم، وهو منهج شيخه أبي عمرو، واستمر بعده لدى جيل تلامذته حتى القرن الثالث» [4].

والواقع أنّ القياس لا ينفصل عن التعليل، ولذلك أمكننا اعتبار أنّ المعيار الكفيل بقيام مفهوم للتحليل النحوي، هو وجود علاقة بين القياس والتعليل من جهة، والبنية اللسانية من جهة أخرى، وهو أمرٌ ليس مستبعدا مادام الانطلاق في دراسة البنية جوهره وجود علاقات بين العلامات

1- ربيع عبد السلام خلف، القيم المتنوعة للحرف والكلمة في اللغة العربية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة مصر، ط1 ،2010،ص 02.

2- المرجع نفسه، ص 04.

3- ينظر المرجع نفسه، ص 77.

4- زهير غازي زاهد، موضوعات في نظرية النحو العربي دراسات موازنة بين القديم والحديث،دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد العراق، ط1، 2010، ص 60.

اللسانية أو الكلمات؛ ومواضعها في التركيب، والمحلل النحوي سيقف عند مفهومي القياس ثمّ التعليل لأنّ « الغاية من التعليل تفسير الظواهر اللغوية، وتبرير القواعد لفهم كلام العرب، وإدراك أسرار تركيبه»[1].

والواقع أنّ البنية اللسانية على الرغم من اشتغالها بمنظور مخالف للتحليل النحوي_ لأنها مصطلح لساني_ إلا أنها مع ذلك يمكن أنْ تُبرز تلك العلاقة الموجودة بين القياس والتعليل النحويين المعياريين، ودليل ذلك أنّ المحلل اللساني لا يمكنه أنْ يتبنّى مفهوم الوصف، وثبات بنى الوحدات لسانيا ، وأنْ ينطلق في ذلك من فراغ، لأنه إذا وقعت القطيعة بين العلمين النحو واللسانيات فلا يمكن مناقشة ما هو الجانب الوصفي في اللسانيات، وفي المقابل ما هو الجانب المعياري في النحو؟

وهو ما يمكن أنْ نستشفه من قول إبراهيم عبادة في حديثه عن نشأة النحو العربي: «فيغلُبُ على ظنّنا أنّ النحو في مراحله الأولى كان فكرة عامة ممثّلة في استنكار لحن، واستهجان خطأ، وردّ إلى صواب، وسوق دليل على صحة عبارة، أو إجابة عن سؤال ، ومناقشات حول ضبط لفظ في القرآن الكريم، أو في شعر، ويغلبُ على الظن أيضا أنّهم حاولوا إدراك العلاقات بين عناصر التركيب اللغوي، والتمسوا سببا لتغيُّر نهايات المفردات، من ضمّ إلى فتح إلى كسر »[2].

والواقع أنّ البنية اللسانية حاضرة في العلاقات بين عناصر التركيب اللغوي، وهو ما لا يعني أبدا انفصالها عن مفهومي القياس والتعليل ، ولذلك نجد « أنّ النحو العربي بالمعنى الدقيق كان منذ الخليل بن أحمد، وعلى أيدي كل علماء النحو؛ علم بناء الجملة العربية، وليس علم أحوال الإعراب كما قيل»(3)

وبهذا ربما يتوافق معنى البنية اللسانية تركيبيا مع ضرورة الاكتفاء بالمفهوم النحوي للجملة « وإلغاء التصنيف المزدوج إلى جملة اسمية، وجملة فعلية، وكذلك ضرورة أنْ يحُلّ محل مفهوم الركنين الأساسيين لكل نوع منهما...هذان الركنان الوحيدان للجملة هما المسند إليه، والمسند «(4)

ولذلك حرص اللغويون الأوائل على القياس « الذي يتخذه اللغويون العرب وسيلة يخرجون بها من آحاد الشواهد إلى القواعد العامة؛ التي تخضع لها هذه الشواهد... القياس الذي هو تجريد للمادة المسموعة واستنباط قواعدها»(5)

إنّ استنباط القواعد من القياس، ثم تعليل ترابط الكلمات في التركيب النحوي ؛ يستدعي مفهوم البنية اللسانية، وهنا لابدّ من التنبيه على أنّ البنية اللسانية لا ترتبط فقط بالتركيب أي الجملة، لأنّ المحلل اللساني سيلاحظ العلاقات القائمة بين الكلمات في ذاتها في بنيتها الصرفية، وأمّا العلاقات النحوية فما هي إلا مؤشر دال على صحّة التركيب النحوي من عدمها، حيثُ يمكننا ملاحظة بنية الكلمة في حالتها الإفرادية ؛ مثلا من حيثُ الإشتقاق ، أو من حيثُ معناها المعجمي

1- المرجع نفسه، ص 62.

2- محمد إبراهيم عبادة، النحو العربي أصوله وأسسه وقضاياه وكتبه مع ربطه بالدرس اللغوي الحديث، مكتبة الآداب ، القاهرة مصر ،ط1، 2009، ص 06.

3- خليل كلفت، من أجل نحو عربي جديد دراسات في نحو اللغة العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة مصر ،دط،2013، ص 30.

4- المرجع نفسه، ص 51.

5- محمد عبد العزيز عبد الدايم، النظرية اللغوية في التراث العربي، ص 23.

والعلاقات المعجمية كالترادف، أو المشترك اللفظي مثلا، ولأنّ موضوع النظرية اللغوية هو ضبط اللغة، فينبغي البحث في قيود تطبيق القواعد، والمرتبطة بشكل الجملة وهي نوعان:

_الإخفاق في التطبيق بسبب شكل الجملة التي يجري عليها أحد التطبيقات.

_الإخفاق في التطبيق بسبب الشروط الواجبة لكلمة محورية في التركيب[1].

وإذا أخفق المحلل النحوي في تتبع القواعد النحوية، وملاءمة التركيب النحوي للكلمات في تعالقها؛فهذا يعني أنه لم يبحث في خصوصية التقسيم الثلاثي اسم ، فعل ، حرف، ولم يتتبع الخصائص البنيوية لكل قسم على حدة، وفي التمثيل للإخفاق الناتج بسبب شكل الجملة ، والإخفاق بسبب الشروط الواجبة لكلمة محورية يقول عبد العزيزعبد الدايم» في الأولى يمكن التمثيل لذلك بامتناع تأخر أداة الاستفهام، وعدم تصديرها بامتناع أنْ يُقال مثلا (نجح الطالب هل؟) وقد أشار النحاة إلى لزوم تصدير أدوات الاستفهام والشرط، ومن الثانية يمكن التمثيل لذلك بامتناع الابتداء بالنكرة ما لم تُفدْ، لأنّ الشرط اللازم للمبتدأ، وهو التعريف لم يتحقّق »[2].

إنّ مناقشة القواعد النحوية يعني الإشارة إلى ثبات المعيار النحوي، فهل يمكن أنّ نتكلّم عن بنية لسانية مزدوجة بنية صرفية ونحوية في آن واحد؟

والجواب أنّ المعيار النحوي يُقدّم لنا القواعد النحوية في ثباتها ، ومن ثم يُمكننا الحديث عن نظام نحوي ونظام صرفي، وهذا يقتضي وجود بنية لسانية شاملة، وهو ما يعني وجود المشترك بين اللغات» ذلك أنّ ابن اللغة_لاشكّ_ يستخلص لنفسه نظام لغته؛ ليميّز حدود الوحدات اللغوية فيها_على مستوى البنية الصرفية ولا يخلط خلط من تلتبس عليه تلك الحدود ويُميّز دلالات الألفاظ ووجوه استعمالها، ويميّز أصول تركيب الجمل فلا يركّب جملة إلاّ أنْ تكون مقبولة لدى سائر أبناء اللغة.. ويتّفق أبناء اللغة في ذلك على حد سواء»[3].

وعليه يمكننا أنْ نقف في بيان العلاقة بين الوظائف النحوية؛ على مفهوم آخر وهو مفهوم التحليل النحوي والبنية اللسانية.

التحليل النحوي والبنية اللسانية:

ينظر النحويون إلى مفهوم التحليل النحوي على أنّه التحليل الذي يتتبع العلاقة بين الوظائف النحوية للكلمات ومواقعها في التركيب اللغوي، ولكن الغاية من النحو لا يمكن أنْ تقف عند هذا الحد فقط، لذلك وجب علينا هنا أنْ نميّز بين البنية اللسانية والتحليل النحوي، وأنْ نضع في الحسبان أنّ البنية اللسانية هي بنية مفتوحة على التحليل النحوي؛ فتشمله وتتجاوزه في الوقت نفسه، فهي شاملة له من حيث إنها تجمع بين المكوّنات وهي العلامات اللسانية أو الكلمات، بالإضافة إلى العلاقات النحوية التي هي علاقات التركيب، وهي أيضاً أي البنية اللسانية تتجاوز التحليل النحوي ؛من حيثُ إنها تنظر للتركيب في آنيته أي أنها تبحث في التأثيرات المنتظرة من ائتلاف الوحدات في ما بينها تركيبيا، وكيف تؤثر وحدة في وحدة أخرى بنيويا، في حين أنّ المحلل النحوي

1- محمد عبد العزيز عبد الدايم، النظرية اللغوية في التراث العربي، ص 29.

2- المرجع نفسه، ص ن.

3- نهاد الموسى، نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، المؤسّسة العربية للدراسات والنشر ، الأردن، ط1، 1980،ص 12.

يراعي القواعد النحوية الثابتة أو المشتركة، ومع ذلك فهناك تداخل شديد بين المعياري والوصفي في التحليل التركيبي، وهو ما دعا اللسانيين إلى الحديث عن منهج الخانية « ويقوم هذا المنهج على ضبط العلاقة بين الوظيفة النحوية وهي تمثّلُ في العادة خانة، أو موقعا يكون ثابتا ويكون متغيّرا،وبين مفردات الباب التي يمكن أنْ تحتل تلك الخانة، وأنْ تقع ذلك الموقع، وينبني هذا المنهج على اعتبار الأمرين مجتمعين»[1].

ولا يخفى بهذا أنّ التحليل النحوي يضبط الوظائف النحوية؛ والأقسام التي تؤدّي تلك الوظائف، سواءٌ تعلّق الأمر بالأقسام الرئيسية، أو الأقسام الفرعية ،فمثلا إذا قلنا إنّ الاسم هو قسم أصليٌّ من أقسام الكلم، ويكون مرفوعا أو منصوبا أو مجرورا، ثم ناقشنا الأقسام الفرعية للاسم، وهي الضمير والصفة، والظرف فيعني اضطلاع هذه الأقسام الفرعية بالمواقع الإعرابية التي يحل محلّها قسم الاسم ، كأنْ نقول مثلا زيدٌ شجاع، هو شجاعٌ، الجريء شجاعٌ، فالاسم (زيد) وقع مبتدأ ، والضمير المنفصل (هو) وقع مبتدأ، والصفة (الجريء) أيضا وقعت مبتدأ.

فهناك مجموعة من الأقسام الفرعية حلّت محل الاسم ، واضطلعت بأداء نفس الوظيفة النحوية، وهذا التعالق حصل نحويا وبنيويا « فيمكن للمبتدأ أنْ يكون ضميرا ، أو اسما علما، أو مصدرا مؤوّلا، ولكن يتعيّنُ في مفردات الباب عادةً ، ضربٌ من الصيغ يُعرفُ على أنّه ألزم لتلك الوظيفة_الخانة_ وتتعيّنُ في اللغات المعربة، علاقة محدّدة بين مفردات الباب والحالة الإعرابية، فلمفردات المبتدأ مثلا حالة الرفع...إلخ، ويحسُنُ عند فرز الأبواب النحوية ومفرداتها أنْ تُنسّق وفقا لهذا الاعتبار»[2].

والسؤال الذي نطرحه هنا هل البنية اللسانية هي بنية صرفية ونحوية؟ أم تتجاوزهما إلى بنية أخرى؟

ينبغي الانطلاق من أنّ البنية اللسانية هي بنية شاملة، أي قد تأتي على جميع البنى اللغوية ، كأنْ ندرس علاقة البنية النحوية بالبنية الصرفية مثلاً، أو أنْ ندرس العلاقة بين البنيتين، والبنية المعجمية، أو أنْ ننطلق في تحديد الاختلاف بين البنى من حيثُ البنية الصوتية للكلمة مثلا، إذن البنية اللسانية هي بنية شاملة تستوعب البنية النحوية _أي التحليل النحوي_ لأنه تحليلٌ معياري، وقد ذكر الباحث عطا محمد موسى رؤية بعض اللغويين المحدثين ، ومن بينهم حلمي خليل في كتابه القيّم العربية وعلم اللغة البنيوي من « أنّ الأنظار الخاصّة بالمنهج الوصفي بدأت تشقُّ طريقها إلى النحو العربي على يد برجستراستر في إلمامات مُوجزة تخلّلت أحاديثه ومحاضراته عن الدراسات التاريخية المقارنة، وقد عبّر عن الوصفية بالنظامية، تصف الواقع اللغوي دون التعليل لظواهره»[3].

والاختلاف الواضح بين النحو واللسانيات؛ هو أنّ النحو يقوم على مراعاة القواعد النحوية، ويتيح إمكانية التصرّف في مواقع الكلمات بحسب المعاني المقصودة، في حين أنّ اللسانيات تنحو إلى الوصفية، وأنها تتتبّع العلاقات البنيوية بين الكلمات في التركيب اللغوي دون تعليل، أي أنّ النظام اللساني يراعي تلك العلاقات القائمة بين الوظائف النحوية دون البحث في الجانب المادي فيها، أمّا

1- نهاد الموسى، نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، ص ص 42،43.

2- المرجع نفسه، ص43.

3- عطا محمد موسى، مناهج النحوي في العالم العربي في القرن العشرين، دار الإسراء ، عمّان الأردن، ط1، 2002،ص 197.

في التحليل النحوي فعلى « المستوى التطبيقي في استخدام الوظائف النحوية الخاصة، أو معاني الأبواب النحوية في التفريق بين الكلمات، فيمكن أنْ نقول مثلا، إنّ الكلمات التي تمثّلُ الأسماء والصفات والضمائر من بين أقسام الكلم؛ هي التي تصلحُ أنْ تكون فاعلا، وعلى ذلك يمكن القول إنّ الفاعل بابٌ نحويٌّ ، أمّا الفاعلية فهي وظيفته النحوية الخاصة في الكلام،وأمّا بقية أقسام الكلمات ؛كالأفعال والظروف والأدوات، فلا تصلح أنْ تؤدّي وظيفة الفاعلية، وهو تمييز نحوي يُفرّقُ بين أقسام الكلمات وأنواعها»[1].

ولئن كان اللسانيون لا يُعيرون اهتماما بالمعنى، وكان التحليل النحوي في المقابل يعير ذلك الاهتمام للمعنى؛ فإنّ أهم مايتميّز به النحو هو الوقوف على المعاني النحوية أو الدلالة التركيبية « وترتبط الدلالة التركيبية بمفهوم الفائدة، ولا تتحقّقُ إلاّ بائتلاف الكلام وضمّ بعضه إلى بعض على وجه من الوجوه النحوية المألوفة»[2].

والخلاصة التي نستشفها من هذه الدراسة أنّ التحليل النحوي معياري نظرا ؛لأنه يهتم بالكلمات ومواقعها الإعرابية ، ووظائفها النحوية المختلفة، في حين أنّ اللسانيات تسعى إلى رصد مظاهر العلامات اللسانية من حيثُ نظاميتها، أي أنها توظّف العلاقة القائمة بين المحورين الاستبدالي والتركيبي لمعرفة ائتلاف العلامات أو اختلافها، ولكنها؛ في المقابل أثبتت أنها لا يمكنها التخلي عن المعيارية في النحو، ومن المعيارية نشأت الوصفية.

قائمة المصادر والمراجع

1- أحمد الودرني، أصول النظرية النقدية القديمة من خلال قضية اللفظ والمعنى،دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت، ط1، 2006

2- تمام حسان، الخلاصة النحوية، عالم الكتب، القاهرة مصر، ط3، 2009.

حلمي خليل، الكلمة دراسة لغوية معجمية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية مصر، دط، 2011.

3- خليل كلفت، من أجل نحو عربي جديد دراسات في نحو اللغة العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة مصر ،دط،2013.

4- ربيع عبد السلام خلف، القيم المتنوعة للحرف والكلمة في اللغة العربية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة مصر، ط1 ،2010.

5- زهير غازي زاهد، موضوعات في نظرية النحو العربي دراسات موازنة بين القديم والحديث،دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد العراق، ط1، 2010.

6- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط3، 2012.

7- عبد الجليل مرتاض، البنية اللغوية في ضوء المناهج اللسانية،مجلّة اللغة العربية المجلس الأعلى للغة العربية،الجزائر،عدد31.

8- عطا محمد موسى، مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين، دار الإسراء ،

1- حلمي خليل، الكلمة دراسة لغوية معجمية،ص 63.

2- محمد يونس علي، المعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالة في العربية، المدار الإسلامي ، بيروت لبنان، ط2، 2007،ص 315.

عمّان الأردن،ط1، 2002.

9- فردينانـد دي سوسير، محاضـرات في علـم اللسـان العـام، افريقيـا الشـرق، الـدار البيضـاء المغرب، دط، 2008.

10- فـؤاد زكريـا، الجذور الفلسفية للبنائية، دار قرطبة للطباعة والنشر، الدار البيضاء المغرب، ط2، 1986.

11- محمد إبراهيم عبادة، النحو العربي أصوله وأسسه وقضاياه وكتبه مع ربطه بالدرس اللغوي الحديث، مكتبة الآداب ، القاهرة مصر،ط1، 2009.

12- محمـد عبـد العزيـز عبـد الدايـم، النظريـة اللغويـة في التراث العربي،دار السـلام، القاهـرة مصـر،ط1 ، 2006.

13- محمـد يونـس علي، المعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالـة في العربية، المـدار الإسـلامي ، بيروت لبنـان، ط2، 2007

14- نهـاد الموسـى، نظريـة النحـو العربي في ضـوء مناهـج النظر اللغوي الحديث، المؤسّسـة العربية للدراسـات والنشـر ، الأردن، ط1، 1980



أساليب التقويم البيداغوجي في ظل المقاربة بالكفاءات -السنة الأولى من التعليم المتوسط أنموذجا-

سعيدة خالد

المشرف:د.عطاطفة بن عودة.

المركز الجامعي أحمد زبانة غليزان - الجزائر-

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تحديد أساليب التقويم البيداغوجي لدى تلاميذ السنة الأولى من التعليم المتوسط في ظل المقاربة بالكفاءات ،والتي تعتبر التقويم جزء لا يتجزأ من العملية التعليمية،وبذلك يتيح للمعلم معرفة نقاط القوة والضعف لدى المتعلم ليزوده بالتغذية الراجعة التي تساعده على دعم نقاط القوة والتغلب على نقاط الضعف ومعالجتها.

الكلمات المفتاحية:التقويم البيداغوجي،المقاربة بالكفاءات،المرحلة المتوسطة،أساليب التقويم البيداغوجي.

Abstract : The aim of this study is to identify the problems of pedagogic assessment among the first year of intermediate education in light of the compency approach ,the assessment is an integral part of the education process ,this allowing the teacher to know the strengths and weaknesses of the learner to provide feedback that helps him to strengthen his strengths and overcome weaknesses and processed.

Key words :pedagogic evaluation ,approaching ,competencies ,intermediate stage of pedagogic assessment .

مقدمة:

يعدّ التقويم البيداغوجي في ظل المقاربة بالكفاءات جزء لا يتجزأ من العملية التعليمية-التعلمية ،فهو إحدى الركائز الأساسية في عملية تحسين نوعية التعليم ومردود المنظومة التربوية ،وعليه فهو من أهم الموضوعات الحيوية والأساسية ذات الارتباط المباشر بجميع عناصر العملية التربوية والتعليمية ،بحيث يعمل التقويم على تحسين أساليب التقويم الحالية لجعلها تتماشى وروح الإصلاحات التي تشهدها المنظومة التربوية بمختلف مراحلها وأطوارها التعليمية ،ولما كانت العلاقة وطيدة بين ممارسات التقويم وعملية التعليم فإنه من الأهمية أن تكون هذه الممارسات متجانسة وخصوصيات البرامج الجديدة المبنية على أسس المقاربة بالكفاءات ،والتي تركز على بدورها على المتعلم باعتباره العنصر الأساسي في العملية التعليمية-التعلمية،وهذه المقاربة لا تكتفي باكتساب المعارف للمتعلم فقط بل تعتمد بيداغوجية اندماجية تكسب المتعلم كفاءات يستخدمها في حياته اليومية لمواجهة الوضعيات التي تواجهه في محيطه الاجتماعي ،لذلك ينبغي على التقويم أن يدمج

مسارات عملية التعليم والتعلم والتحكم في دينامية التغيير التي تتماشى وأهداف الإصلاح ،بحيث يقدم التقويم تشخيصا للثغرات وأساليب جديدة لتقويم تعلمات التلاميذ ،لذلك سوف نحاول في هذه الورقة البحثية الإجابة على التساؤلات الآتية:

ما هي المقاربة بالكفاءات ؟وما هي أهم المبادئ التي تستند عليها هذه المقاربة البيداغوجية الجديدة؟

ماذا نقصد بالتقويم في ظل المقاربة بالكفاءات؟وفيما تتمثل أنواعه؟

وما هي الأساليب المستخدمة في تقويم تعلمات تلاميذ السنة الأولى من التعليم المتوسط؟

1- المقاربة بالكفاءات وأهم مبادئها:

1-1 تعريف المقاربة بالكفاءات:تعرف المقاربة على أنها" تصور وبناء مشروع عمل قابل للإنجاز ،على ضوء خطة أو استراتيجية تأخذ في الحسبان كل العوامل المتداخلة في تحقيق الأداء الفعال والمردود المناسب من طريقة ،،ووسائل ومكان وزمان،، وخصائص المتعلم والوسط والنظريات البيداغوجية"[1]،وتعدّ المقاربة بالكفاءات إحدى البيداغوجيات الحديثة التي تبنتها وزارة التربية الوطنية والتي على أساسها تم بناء المناهج التي شرف في تطبيقها ابتداء من الموسم الدراسي 2003-2004،والمقاربة بالكفاءات هي بيداغوجية تعمل على التحكم في مجريات الحياة بكل ما تحمله من تشابك في العلاقات وتعقيد في الظواهر الاجتماعية،ومن ثم فهي اختيار منهجي يمكن يمكن المتعلم من النجاح في هذه الحياة على صورتها هذه ،وذلك بالسعي إلى تثمين المعارف المدرسية وجعلها صالحة للاستعمال في مختلف مواقف الحياة"[2]،ونستشف من هذا التعريف بأن المقاربة بالكفاءات تركز على ربط المدرسة بالواقع وتعطي للعملية التعليمية بعدها الوظيفي،بحيث يمكن أن يستغلها المتعلم وأن يوظفها داخل المدرسة وخارجها،حيث "تشكل هذه المقاربة المؤسسة على البناء الفكري والبنيوية الاجتماعية المحور الرئيس للمناهج الجديدة ،وذلك بغرض استدراك نقائص المقاربة بالأهداف ،وهذه الأخيرة (أي البنيوية الاجتماعية)تقدم الاستراتيجيات التي تمكن المتعلم من بناء معارفه في وضعيات تفاعلية ذات دلالة ،وتتيح له فرصة مساهمته في مجموعة من أقرانه"[3]،حيث يقع اختيار التدريس عن طريق المقاربة بالكفاءات في سياق الانتقال من منطق التعليم الذي يركز على المادة المعرفية إلى منطق التعلم الذي يركز على المتعلم ويجعل دوره محوريا في الفعل التربوي حيث[4]:

-تحتل المعرفة في هذه المقاربة دور الوسيلة التي تضمن تحقيق الأهداف المتوخاة من التربية ،وهي بذلك تندرج ضمن وسائل متعددة تعالج في إطار شامل تتكفل بالأنشطة وتبرز التكامل بينها.

-تسمح المقاربة بالكفاءات بتجاوز الواقع الحالي المعتمد فيه على الحفظ والاسترجاع وعلى منهج المواد الدراسية المنفصلة.

1- فريد حاجي،التدريس والتقييم وفق المقاربة بالكفاءت،دار الخلدونية،الجزائر ،2013-1434،ط2،ص10

2- فريد حاجي،التدريس بالكفاءات –الأبعاد والمتطلبات،دار الخلدونية،الجزائر ،دط،ص11.

3- اللجنة الوطنية للمناهج،المجموعات المتخصصة للمواد،مناهج مرحلة التعليم الابتدائي،2016،ص4.

4- وزارة التربية الوطنية،المجموعة المتخصصة للمناهج/جغرافيا،مديرية التعليم الثانوي،منهاج الجغرافيا،السنة الأولى من التعليم الثانوي،جانفي 2005،ص36.

-يتفادى هذا الطرح التجزئة الحالية التي تقع على الفعل التعليمي التعلمي باعتباره كما لا متناهيا من السيرورات المترابطة والمتداخلة والمنسجمة فيما بينها.

-يؤدي بناء المناهج بهذه المقاربة إلى إعطاء مرونة أكثروقابلية أكبرللانفتاح على كل جديد في المعرفة وكل ماله علاقة بتطور شخصية الطفل.

-تستجيب المقاربة بالكفاءات للتغيرات الكبرى الحاصلة في المحيط الاقتصادي والثقافي،كما تتوخى الوصول إلى مواطن ماهر يترك التعلم فيه أثرا دائما ويمكنه من التكيف مع مختلف اشكاليات الحياة.وعليه ترتكز المقاربة بالكفاءات على المتعلم باعتباره المحور الرئيسي للعملية التعليمية –التعلمية،و"تقوم على استهداف الكفاءات لبناء تعلم شامل تجعل المتعلم يتصرف بالمكتسبات ويوظفها وقت الحاجة في جميع المواقف،وتهدف إلى إنجازواستخدام توظيف جملة من المهارات المندمجة بغرض إعداد المتعلم إعدادا نفعيا وتكوينه تكوينا تجعل منه شخصية مبدعة وفاعلة،وتعتمد هذه البيداغوجية على منطق التكوين الذاتي المستمر يتحقق من خلالها مبدأ "نتعلم لنتعلم "لا "نتعلم لنعرف فقط"،وبها يتمكن المتعلم من القدرة على التصرف فيما يتعلمه"[1]

1-2- المرجعيات النظرية للمقاربة بالكفاءات:يستمد التدريس بالكفاءات مرجعيته النظرية من علوم ونظريات مختلفة نذكر بعضها منها كالآتي:

أ-علم النفس الفارقي:"تستند المقاربة بالكفاءات إلى نتائج علم النفس الفارقي التي مؤداها أن الأفراد لا يتشابهون أبدا حتى ولو توفروا بيولوجيا على الرصيد الوراثي نفسه،كما هو الحال بالنسبة للتوائم المتطابقة فهناك دائما فوارق بينهم.إن مجرد حدث وحيد عابر قد يغير مجرى حياة الفرد فما بالنا إذا علمنا أن الأفراد يمرون بتجارب وخبرات لا حصر لها لا بد ا، يكون لها أثر على شخصياتهم،تبعا لهذا فإن لكل متعلم خبرته وتجربته الخاصة واستراتيجيته الخاصة بالتعلم،وهذا سببا في ظهور اتجاه بيداغوجي يقوم على تفريد التعلمات تبعا لحاجات وإستراتيجية كل فرد"[2].

ب-النظرية البنائية:من رواد هذه المدرسة جون بياجي "ويتجه أصحاب هذه النظرية إلى أن المعرفة تنتج من أعمال حقيقية يقوم المتعلم باستنتاجها ،لذلك وجه الاهتمام إلى الدور النشط الذي يؤديه المتعلم في عملية تعلمه.إن المعارف بناء على هذا الاتجاه تبنى في الذهن بالاعتماد على المكتسبات القبلية وليس من فراغ أوفي شكل تراكمي تكديسي مستقل الحلقات،كما يؤكدون على أنه يجب أن تكون هذه المعارف ذات معنى جديد في توظيفها ونفعيتها،وبناء المعرفة في هذا السياق ينبغي أن يعتمد على تصورات المتعلم وفهمه لواقع المشكلة ولا تأتيه من الخارج عن طريق المعلم"[3].

ج-النظرية المعرفية:تنظر هذه النظرية للتعلم من زاوية السياقات المعرفية الداخلية للمتعلم ،وتعطي أهمية خاصة لمصادر المعرفة واستراتيجيات التعلم(معالجة المعلومات،الفهم،التخزين في الذاكرة،توظيف المعارف...)،فوعي المتعلم بما اكتسبه من معرفة وبطريقة اكتسابها يزيد من

1- عبد الحميد قادري،مسلكية اللغة العربية في التعليم المتوسط،دارهومة،الجزائر،2014،ص21.

2- محمد الصالح حثروبي،الدليل البيداغوجي لمرحلة التعليم الابتدائي وفق النصوص المرجعية والمناهج الرسمية،دار الهدى،الجزائر، 2012،ص33.

3- خير الدين هني،مقاربة التدريس بالكفاءات،مطبعة ع/بن،الجزائر،ط1،2005،ص91.

نشاطه لتطوير جودة التعلمات[1].

د-البنائية الاجتماعية:هي "تيار معرفي من رواده الباحث الروسي"فيقوتسكي"و"دواز"و"موني" يذهب هذا الفريق في تحليه لعملية التعلم إلى أن مفهوم الوساطة المعرفية التي يؤمنها الآخر إلى جانب المعرفة والمتعلم يؤدي الوسيط المعرفي سواء أكان كهلا أم صغيرا دورا هاما في البناء المعرفي ،ومعنى ذلك أن البنائية الاجتماعية تعتبر بناء المعرفة يحدث من طريق التفاعل الاجتماعي الذي يقوم بدور فعال في تطور السيرورة الذهنية للمتعلم،حيث تصبح صمام الآمان للدخول في تفاعلات اجتماعية جديدة تكون أرقى من سباقاتها"[2].

1-3 - أهداف ومبادئ المقاربة بالكفاءات:تعمل المقاربة بالكفاءات على تحقيق جملة من الأهداف من بينها[3]:

-إفساح المجال أمام ما لدى المتعلم من طاقات وقدرات لتظهر وتتفتح وتعبر عن ذاتها.

-بلورة استعداداته وتوجيهها التي تتناسب وما تيسره له الفطرة.

-تدريبه على كفاءات التفكير المتشعب والربط بين المعارف في المجال الواحد، والاشتقاق من الحقول المختلفة عند سعيه إلى حل مشكلة أو مناقشة قضية أو مواجهة وضعية.

-تجسيد الكفاءات المتنوعة التي يكتسبها من تعلمه في سياقات واقعية، وزيادة قدرته على إدراك تكامل المعرفة والتبصر بالتداخل والاندماج بين الحقول المعرفية المختلفة.

-الاستبصار والوعي بدور العلم والتعليم في تغيير الواقع وتحسين نوعية الحياة،وتستند المقاربة بالكفاءات على جملة من المبادئ أهمها:

*مبدأ البناء:أي استرجاع التلميذ لمعلوماته السابقة قصد ربطها بمكتسباته الجديدة وحفظها في ذاكرته الطويلة.

*مبدأ التكرار:أي تكليف المتعلم بنفس المهام الإدماجية عدة مرات قصد الوصول به إلى الاكتساب المعمق للكفاءات والمحتويات.

*مبدأ التطبيق:يعني ممارسة الكفاءة بغرض التحكم فيها.

*مبدأ الإدماج:يسمح الإدماج بممارسة الكفاءة عندما تقترن بأخرى ،كما تتيح التمييز بين مكونات الكفاءة وذلك ليدرك الغرض من تعلمه.

*مبدأ الترابط:يسمح هذا المبدأ لكل من المعلم والمتعلم بالربط بين أنشطة التعليم وأنشطة التعلم وأنشطة التقويم التي ترمي كلها إلى تنمية الكفاءة.

2- التعليم المتوسط:"يشكل المرحلة الأخيرة من التعليم الإلزامي وله غاياته الخاصة، ويهدف إلى جعل كل تلميذ يتحكم في قاعدة (غير قابلة للتقليص)من الكفاءات التربوية والثقافية التي تمكنه من مواصلة الدراسة والتكوين بعد التعليم الإلزامي أو الاندماج في الحياة العملية،ولا ينبغي

1- محمد الصالح حثروبي،الدليل البيداغوجي لمرحلة التعليم الابتدائي وفق النصوص المرجعية والمناهج الرسمية ،مرجع سابق،ص34.

2 - أنظر،خير الدين هني،التدريس بالكفاءات،مرجع سابق،ص92.

3- فريد حاجي،التدريس والتقييم وفق المقاربة بالكفاءت،مرجع سابق،ص26.

اعتبار التعليم المتوسط على أنه مرحلة تحضيرية للتعليم الثانوي فقط"[1]،ويتم هذا التعليم في مؤسسة التعليم المتوسط(المتوسطة)،حيث "تجزأ سنوات التعليم المتوسط الأربع إلى ثلاثة أطوار تتميز بأهداف محددة ،فالطور الأول أو طور التجانس والتكيف ويمثل السنة الأولى،سنة ترسيخ المكتسبات والتجانس والتكيف مع تعليم يتميز باعتماده على المادة المستقلة أكثر وبإدماج اللغة الأجنبية الثانية وهي غايتنا في هذا البحث،أما الطور الثاني أو طور الدعم والتعميق ويمثل السنتين والثالثة ويخصص لدعم الكفاءات ورفع المستوى الثقافي والعلمي والتكنولوجي،أما الطور الثالث أو طور التعميق والتوجيه فيمثل السنة الرابعة فيتم فيها تحضير توجيه التلاميذ نحو شعب التعليم ما بعد الإلزامي أو الحياة العملية"[2].

3- التقويم في ظل المقاربة بالكفاءات:

يشكل التقويم أحد المكونات الأساسية في المنهاج التعليمي، باعتباره لحظة تساؤل حول إمكانيات المتعلم ودرجة اكتسابه للموارد ومدى امتلاكه للقدرات المستهدفة ومستوى تملكه للكفاءة المتوخاة،سواء تعلق الأمر بهذه المكتسبات كمدخلات في بداية العملية التعليمية –التعلمية أو ضمن سياقها أو في ختامها ،ولما كان التقويم البيداغوجي في صلب العملية التربوية فإنه يشكل حجر الزاوية في الإصلاح التربوي الشامل قصد[3]:

-تطوير ممارسات التقويم بمختلف أشكاله بحيث تنسجم مع أهداف وروح المناهج التعليمية الجديدة المبنية وفق المقاربة بالكفاءات.

-تحسين نوعية التعليم الممنوح وتقليص عوامل الفشل الدراسي،والرفع من مردود منظومتنا التربوية على اعتبار أن التقويم بتعدد مجالات تطبيقه ووظائفه يعد ركيزة في الفعل التربوي

-إعطاء دور نشيط للمتعلم في تقويم مساراته واستراتيجياته التعليمية التي تنمي استقلاليته وقدراته المعرفية،بالإضافة إلى توجيه الممارسات التقويمية نحو ضبط التعلمات وتكييفها مع حاجات المتعلمين الذين يعانون صعوبات أو الذين يجدون سهولة في التعلم،ويعرف التقويم في مجال التربية على أنه "العملية التي يتم بها الحكم القيمي على مدى نجاح العملية التعليمية بكافة عناصرها على تحقيق الأهداف المرجوة"[4]،أما في مجال المدرسة فيعرف التقويم بأنه"عملية منظمة لجمع وتحليل المعلومات حول البرامج المتعلقة بالمتعلم والمعلم والإدارة والمرافق والوسائل والنشاطات التي تشكل بمجموعها وحدة عملية التعلم والتعليم ،وذلك للتأكد من مدى تحقيق الأهداف واتخاذ القرارات بشأن هذا البرنامج"[5]،بالإضافة إلى أن التقويم "مجموعة من العمليات التي يتم من خلالها جمع بيانات متعلقة بالمجال التعليمي المراد تقويمه ،ومعالجة تلك البيانات بطريقة مناسبة للحكم

1- اللجنة الوطنية للمناهج،المرجعية العامة للمناهج ،مارس،2009،ص36.

2- المرجع نفسه،ص36.

3- محمد الصالح حثروبي،الدليل البيداغوجي لمرحلة التعليم الابتدائي وفق النصوص المرجعية والمناهج الرسمية ،دارالهدى،عين مليلة،الجزائر،2012،دط،ص291.

4- سهيلة محسن كاظم الفتلاوي،المنهاج التعليمي والتدريس الفاعل،دار الشروق،عمان،الأردن،2006،ص102.

5- نبيل عبد الهادي، القياس والتقويم واستخدامه في مجال التدريس الصفي، داروائل، عمان، الأردن، 2001،ط2،ص68 .

على مدى تحقيق الأهداف التي وضعت لها والعوامل على التحسين والعلاج المستمر"[1]،وعليه يهتم التقويم بتفسير البيانات وإصدار الأحكام واتخاذ القرارات المناسبة ،فهو وسيلة لمعرفة ما تحقق من الأهداف المنشودة في العملية التربوية ووسيلة تحديد مواطن القوة والضعف بتشخيص المعوقات التي تحول دون الوصول إلى الأهداف ،والطريقة المثلى في تقديم المقترحات لتصحيح مسار العملية التربوية والتعليمية وتحقيق أهدافها المرسومة،فينبغي على التقويم أن يشمل جميع جوانب التعلم ومنها الجانب المعرفي والجانب المهاري ،واكتساب الاتجاهات والميول وكل ما يتعلق بجوانب الشخصية الإنسانية،وبذلك يكون التقويم أهم حلقات منظومة التعليم"[2]،وينقسم التقويم البيداغوجي إلى ثلاثة أنواع والتي تتمثل في التقويم التشخيصي(الأولي)"ويتم قبل بداية عملية التعلم ويتضمن تحديد المستوى والقدرات الذهنية والاستعدادات الخاصة بالمتعلمين ،كما يهتم هذا النوع من التقويم بالكشف عن الصعوبات في عملية تحصيل المعلومات وتنمية الكفاءات ،كما يساعد هذا التقويم على جمع البيانات والمعلومات عن التلاميذ بخصوص وضعهم الاجتماعي وظروفهم المدرسية ،ويمكن المعلم من معرفة وضعية الانطلاق بناء على المعرفة الدقيقة لمستوى المتعلمين والحصيلة النهائية لما تلقوه من تعلم سابق "[3].وهناك التقويم التكويني الذي "يساير العملية التعليمية-التعلمية أي أثناء بناء التعلمات ويندرج في صميمها ،ويقصد به التعرف المستمر على تحصيل المتعلمين وكيفية تدرجهم في التعلم ،ويرمي بذلك إلى قياس مدى تمكنهم من الأهداف المرحلية"[4].أما التقويم التحصيلي فإنه "ينصب اهتمامه على الكفاءة الختامية المنتظر اكتسابها من طرف متعلمين في نهاية فترة تعليمية أو طور أو مقرر دراسي،فهو يرمي إلى تسيير مكتسبات المتعلم المعرفية والمهارية والوجدانية للتعرف على مدى بلوغه الملمح المستهدف في نهاية مرحلة أو طور أو سنة"[5]،ويسعى التقويم البيداغوجي إلى تحقيق وظيفتين أساسيتين هما الوظيفة التكوينية للضبط البيداغوجي الذي يتم على مستوى التلاميذ فيسهل لهم تصحيح استراتيجيات تعلمهم وعلى مستوى المدرس فيساعده على تكييف تعليمه ،أما الوظيفة الثانية فهي وظيفة تحصيلية لمعرفة مستوى اكتساب الكفاءات فتمكن من الحصول على عناصر التقدير المضبوط والدقيق والعادل لنتائج المتعلمين وعلى نجاعة المناهج وتطبيقها.

4- أساليب التقويم البيداغوجي للسنة الأولى من التعليم المتوسط:

نقصد بأساليب التقويم الطرق والإجراءات التي يتبعها المقوم لتنفيذ عملية التقويم ،ويستعان بهذه الطرق والإجراءات بعدد من ا أدوات أو الوسائل التي تمكن من الحصول على المعلومات والبيانات التي تعين إجراء عملية التقويم،حيث "يقدر الحجم الساعي لمادة اللغة العربية للسنة الأولى متوسط 5ساو30د،وأما بالنسبة لأنشطة اللغة العربية فتقدر مواقيتها بالنسبة لفهم

1- حسين حسن موسى، القياس والتقويم والتطوير في بناء مناهج الدراسات الاجتماعية،دار الكتاب الحديث،،القاهرة،-1436 2015،ط1،ص11.

2- سعاد أحمد شاهين، طرق تدريس تكنولوجيا التعليم،دار الكتاب الحديث،القاهرة،2011-1432،ط1،ص223.

3- محمد الصالح حثروبي،المدخل إلى التدريس بالكفاءات،دار الهدى عين مليلة،الجزائر،ص 125.

4- محمد الصالح حثروبي،الدليل البيداغوجي لمرحلة التعليم الابتدائي وفق النصوص المرجعية والمناهج الرسمية،مرجع سابق،ص294.

5- ينظر،المرجع نفسه،ص294.

المنطوق يقدر 1سا وفهم المكتوب (قراءة مشروحة والظواهر اللغوية)1سا1+سا،وفهم المكتوب (دراسة النص)1سا،وإنتاج المكتوب 1سا وأعمال موجهة 1سا [1]"،ومن بين الأساليب المستخدمة في تقويم تعلمات تلاميذ السنة الأولى من التعليم المتوسط ما يلي:

أ-الاختبارات:تعد الاختبارات على اختلاف أنواعها وأساليبها جزء أساسيا من عملية التقويم فهي التي تحدد نمو الجانب المعرفي والنفسي في شخصية المتعلم ،وهي أكثر الوسائل تداولا في حقل تدريس الغة العربية لتقويم مناهجها وتحديد مستوى دارسيها،فالاختبار" عملية مرتبطة بأهداف محددة تتم في أحوال معينة وفق قواعد خاصة ،يترتب عليها النجاح أو الرسوب وما يعقب من انتقال من صف إلى آخر أو من مرحلة إلى أخرى"[2]،وفي حال تقييم كفاءات التلميذ فإن "الاختبار التقويمي يبرهن التلميذ من خلاله كفاءاته خلال وضعيات مشكلة ،لكن ينبغي أن تستجيب هذه الوضعيات لعدة شروط ثلاث أساسية وهي أن تناسب الكفاءة المستهدفة بالتقويم ،وأن تكون ذات دلالة بالنسبة للتلميذ أي تحفزه على العمل وأن تحمل قيما ايجابية" [3]،وتكون هذه الاختبارات فصلية تتوزع على ثلاثة فصول بحيث تمنح علامات للتلاميذ من خلال إجراء هذه الاختبارات.

ب-الواجبات المنزلية:هي "تلك الأعمال المدرسية الهادفة المنظمة التي يكلف بها التلاميذ ليقوموا بتأديتها في البيت، سواء أقاموا بها أنفسهم أم بمساعدة أهليهم القادرين على توجيهم وإرشادهم"[4]،فالهدف من الواجبات المنزلية هو خلق الاستعداد القبلي للتلاميذ وتهيئتهم في الدرس الجديد،ويتأكد المعلم من إنجاز التلاميذ للواجبات قبل ا انطلاق في الدرس.

ج-الملاحظة اليومية:"تعتبر الملاحظة من بين وسائل التقويم البيداغوجي وهي جزء لا يتجزأ من عمل المعلم اليومي مع التلاميذ يعلمهم ويوجههم ويصحح أخطائهم"[5]،فهي إذن وسيلة من وسائل التقويم المباشر بحيث يرى المعلم من خلالها مدى تقدم التلاميذ في مشوارهم الدراسي كالمشاركة في طرح الأسئلة والإجابة عنها.

-5شبكة التقويم:تعتبر شبكات التقويم من ا أدوات الهامة التي تساعد على تقويم مختلف المعارف والمهارات والسلوكات وبالتالي الكفاءات التي يطلب من التلميذ تحقيقها،ولإجراء التقويم في القسم يستخدم المدرس شبكات تقويمية تتمثل في شبكات بمعايير التصحيح وشبكات تقويمية تتمثل في شبكات بمعايير التصحيح وشبكات الملاحظة والمتابعة (خاصة بالتلميذ وأخرى بالقسم).

5-1- شبكات الملاحظة والمتابعة:"بطاقة المؤشرات لمركبات الكفاءات الختامية مرتبطة بالوضعية الجزئية ،ويتم إعدادها عند صياغة المقطع التعلمي وتهدف لضبط سيرورات التعلم"[6].

1- ينظر،المجموعة المتخصصة لمادة الغة العربية ،الوثيقة المرافقة لمنهاج مادة اللغة العربية،مرحلة التعليم المتوسط،جويلية 2015،ص21.

2- ينظر،نايف محمود معروف،خصائص اللغة العربية وطرائق تدريسها،دار النفائس ،بيروت،لبنان،2008-1429،ط6،ص208.

3- اللجنة الوطنية للمناهج،المجموعة المتخصصة للمواد،مناهج مرحلة التعليم الابتدائي،2016،ص28.

4- نايف محمود معروف،خصائص اللغة العربية وطرائق تدريسها،مرجع سابق،ص 232.

5- عبد الله قلي،اللغة العربية وآدابها ،جامعة التكوين المتواصل والمدرسة العليا للأساتذة ،بوزريعة،الكتاب الثاني،السنة الرابعة،ص132.

6- المجموعة المتخصصة لمادة اللغة العربية،اللجنة الوطنية للمناهج،الوثيقة المرافقة لمنهاج اللغة العربية،مرحلة التعليم المتوسط،مرجع سابق،ص19.

5-2- شبكات الملاحظة والمتابعة الخاصة بالقسم:"يرتبط هذا النوع من الشبكات بالوضعيات الجزئية والتي تساير التعلم حيث يحدد فيها ا أستاذ مؤشرات لتحقق مركبات كل ميدان ،ويعتمد فيها على معايير ومؤشرات تناول مركبات الكفاءة الختامية ويتم صبها لاحقا في شبكة الملاحظة والمتابعة الخاصة بالقسم"[1].

5-3-شبكات الملاحظة والمتابعة الخاصة بالمتعلم: "ترتبط بأنشطة الإدماج والتقويم في الميدان الواحد، وتتميز بكونها وسيلة فحص تبرز مدى اكتساب وتحكم المتعلم في الموارد المعرفية والمنهجية والكفاءات العرضية المرتبطة بالميدان الواحد، وتتشكل من معايير ومؤشرات خاصة بكل ميدان وتوظف للتقويم المستمر"[2]..

الوضعية ا إدماجية التقويمية:

قرر مدير المدرسة إنشاء مجلة حائطية فكتب الإعلان الأتي[3]

إعلان لتلاميذ المدرسة:

تنشيطا للحياة الثقافية المدرسية سيتم إنشاء مجلة حائطية، فعلى الراغبين في المشاركة تقديم مواضيعهم للأستاذ المشرف في موضوع الشهر تحت عنوان"مستقبلي بيدي".

التعليمية:استجابة لهذا الإعلان طلب منكم أستاذ اللغة العربية المشاركة في المجلة الحائطية بموضوع يتناول رسم مسار لمستقبلك في 10أسطر متبعا الخطوات الآتية :

1- وصف حالتك الحالية .

2- رسم خطوات المستقبل.

3- تحديد هدف مستقبلي يؤشر على نجاحك.

ملاحظة:تنشر أحسن المواضيع في المجلة الحائطية.

حيث تحتوي شبكة التصحيح بالمعايير خاصة بالمتعلم المعايير والمؤشرات (نعم أو لا)،حيث يحتوي المعيار على الوجاهة(3)نقاط والاستعمال الصحيح لأدوات المادة(3)والانسجام (3) والأصالة(1)،وهذه المعايير تحتوي على مجموعة من المؤشرات وتضع العلامة (نعم)إذا رعيت هذه المعايير وعلامة (لا)إذا لم تراع.

خاتمة:نخلص من خلال دراستنا بأن التقويم في ظل المقاربة بالكفاءات يعدّ عملية أساسية من عمليات التعليم، ويهدف إلى الرفع المستمر من جودة التربية والتعليم عبر تشخيص مشكلات التعلم والتدخل لعلاجها ،وقد تنوعت أساليب التقويم البيداغوجي في ظل المقاربة بالكفاءات بالنسبة لتلاميذ السنة الأولى متوسط مابين الاختبارات بمختلف أنواعها والواجبات المنزلية وذلك لمعرفة مستواهم الدراسي بالإضافة إلى الملاحظة اليومية التي ترافقهم على مدى الحصص التعليمية ،ولذلك يعتمد المعلم على شبكة تقويمية التي تعد من أهم الأدوات التي يستخدمها المعلم لتقويم تعلمات التلاميذ ،وعليه فالتقويم ضروري في العملية التعليمية –التعلمية بمختلف أطوارها ومراحلها.

1- المرجع نفسه،ص20

2- المرجع نفسه،ص21.

3- المرجع السابق،ص18.

قائمة المصادر والمراجع:

1- حسين حسن موسى،القياس والتقويم والتطوير في بناء مناهج الدراسات الاجتماعية،دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2015-1436، ط 1.

2- خير الدين هني،مقاربة التدريس بالكفاءات،مطبعة ع/بن،الجزائر، 2005،ط1.

3- سعاد أحمد شاهين،طرق التدريس تكنولوجيا التعليم،دار الكتاب الحديث،القاهرة،2011-1432،ط1.

4- سهيلة محسن كاظم الفتلاوي ،المنهاج التعليمي والتدريس الفاعل،دار الشروق،عمان،الأردن،2006.

5- عبد الحميد ابراهيم قادري،مسلكية اللغة العربية في التعليم المتوسط،دار الهومة،الجزائر، 2014.

6- عبد الله قلي،اللغة العربية وآدابها،جامعة التكوين المتواصل والمدرسة العليا للأساتذة،بوزريعة،الكتاب الثاني،السنة الرابعة.

7- فريد حاجي ،بيداغوجيا التدريس بالكفاءات الأبعاد والمتطلبات،دار الخلدونية،الجزائر، دت،دط.

8- فريد حاجي،التدريس والتقييم وفق المقاربة بالكفاءات،دار الخلدونية،الجزائر، 2013-1434.

9- محمد الصالح حثروبي،المدخل إلى التدريس بالكفاءات،دار الهدى،عين مليلة،الجزائر،2002.

10- محمد الصالح حثروبي،الدليل البيداغوجي لمرحلة التعليم الابتدائي وفق النصوص المرجعية والمناهج الرسمية،دار الهدى،عين مليلة،الجزائر، 2012.

11- نايف محمود معروف،خصائص اللغة العربية وطرائق تدريسها،دار النفائس،بيروت،لبنان،2008-1429.

12- نبيل عبد الهادي، القياس والتقويم الصفي،دار وائل،عمان،الأردن،2001،ط2.

*المناهج:

1- اللجنة الوطنية للمناهج،المجموعات المتخصصة للمواد ،مناهج مرحلة التعليم الابتدائي،2016.

2- وزارة التربية الوطنية،المجموعة المتخصصة للمناهج/جغرافيا،مديرية التعليم الثانوي،منهاج الجغرافيا،السنة الأولى من التعليم الثانوي،جانفي2005.

3- اللجنة الوطنية للمناهج،المرجعية العامة للمناهج،مارس2009.

4- الوثيقة المرافقة لمنهاج اللغة العربية ،مرحلة التعليم المتوسط،جويلية،2015.

إشكالية التفاعل مع الدرس النقدي لدى الطالب الجامعي.

حيزية كروش - جامعة حسيبة بن بوعلي- الشلف - الجزائر.

ملخص:

غالبا ما نجد الطلاب ينفرون من الدرس النقدي، ويبتعدون عن التخصص فيه، جراء جملة من الأسباب التي تسهم في خلق نوع من النفور المبرر وغير المبرر، حيث أنهم يرونها مادة جافة لا حياة فيه، وتعتمد على الحفظ أكثر من الفهم، فهم في الغالب يبحثون عن التخصصات المختصرة التي تقوم على الفهم العام، أو الحفظ النسبي.

الطالب الجامعي حتى وإن كان منخرطا ضمن الدرس النقدي إلا أننا نلحظ عدم التفاعل مع المادة النقدية التي يتلقاها، بل ونجد أن هنالك فجوة كبيرة بين الأستاذ والطالب، وهنا تتوارد الأسئلة وتتناسل لكن الإجابة تبقى متأرجحة، فهل السبب يعود إلى طريقة أو أسلوب الأستاذ في عرض المادة؟ أم يعود إلى الطالب الذي ليس تأسيس ذاتي يحفزه على تلقي النقد بصفة عامة؟

الكلمات المفتاحية: الدرس النقدي، الأستاذ، الطالب، النقد التعليمي.

Abstract:

Often students find themselves distancing themselves from the critical lesson, and away from specialization, because of a number of reasons that contribute to creating a kind of justified and unjustifiable aversion, as they see it as a dry, lifeless substance, and rely more on conservation than understanding. Abbreviated disciplines based on general understanding, or relative conservation.

Even if it is involved in the critical lesson, but we notice the lack of interaction with the monetary material received, but we find that there is a large gap between the professor and the student, and here the questions are begging and begging but the answer remains swing, is it due to the method or method of the professor in the presentation of the article ? Or is it due to the student who is not self-established and motivated to receive criticism in general?

Keywords: critical lesson, professor, student, educational criticism.

تمهيد:

النقد من بين أهم الميادين التي يجب على كل مثقف أن يتميز بها، لذا نجد العلماء ينكبون على تطويره وصنع القالب المناسب لجعله علما مستقلا بذاته، له إحداثياته وأطره الثابتة، "ولو أمعنا النظر في طبيعة هذا النشاط النقدي لوجدناها مركبة من مجموعة من الثقافات والعلوم (علم النفس،علم اللغة،علم الاجتماع، والفلسفة والجمال...) تصقلها دقة في الحس ورهافة في الذوق

وعمق في الرؤية.فالناقد مثقف حقيقي يمتلك مرونة فكرية تنأى به عن القوالب الجامدة وتجعله أكثر انفتاحا على الثقافات وأكثر قبولا للرأي المعارض والذوق المختلف"[1] .

- مفهوم النقد: النقد: خلاف النسيئة، أي: النقود. ورد في الحديث الشريف أن زيد بن أرقم والبراء بن عازم كان قد اشتريا فضة بنقد و نسيئة، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فأمرهما: "أن ما كان بنقد فأجيزوه و ما كان بنسيئة فردوه".[2] ويقال النقدان:الذهب و الفضة. والنقد:تمييز صحيح الدراهم و إخراج الزيف منها،كالتنقاد والتنقد،وقد نقدها ينقدها نقدا وانتقدها، وتنقدها،إذا ميز جيدها من رديئها.أنشد سيبويه بيتا للفرزدق في وصف الناقة:

تنفي يداها الحصى في كل هاجرة***نفي الدنانير تنقاد الصياريف

و النقد من نقد الشيء ينقده نقدا إذا نقره بإصبعه كما تنقر الجوزة.

و النقد من ناقدت فلانا إذا ناقشته في الأمر.

و النقد بمعنى العيب.ورد ذلك في حديث أبي الدرداء الذي يقول فيه "إن نقدت الناس نقدوك وإن تركتهم تركوك" و معنى نقدتهم أي عبتهم واغتبتهم.

إذن فقد ظل معنى كلمة (نقد) يدور في مفهومه حول نقد الدراهم،وتمييز جيدها من رديئها،ثم نجد مفهوما آخر انتقل من تمييز الدراهم إلى الطعام وذلك عن طريق انتقائه و اختياره.

لقد استخدمت لفظة(النقد) بالاستعمالين الآتيين:

- تمييز الجيد من الرديء.

- إظهار العيب و المساوئ.

ثم أخذ الشعراء يرددون مفهوم النقد في أشعارهم،فهذا أحدهم يقول:

إنَّ نقد الدينار على الصي*رف صعبٌ فكيف نقد الكلام**

و هذا آخر يقول:

رب شعر نقدته مثلما ين * قد رأس الصيارف الدينارا**

- النقد اصطلاحا:

لعل المعنى اللغوي الأول أنسب المعاني و أَلْيَقِها بالمراد من كلمة "النقد" في الاصطلاح الحديث من ناحية وفي اصطلاح أكثر المتقدمين من ناحية أخرى.ففيه معنى الفحص والموازنة و التمييز و الحكم.[3]

يحاول قدامة بن جعفر (ت337ه) في كتابه" نقد الشعر" تحديد مفهوم النقد في مقدمة الكتاب فيقول "ولم أجد أحدا وضع في نقد الشعر وتخليص جيده من رديئه كتابا، وكان الكلام عندي في هذا القسم أولى بالشعر من سائر الأقسام"[4]. و يوضح الصولي(ت335ه) مفهوم النقد حين يعلق على البحتري فيقول: "هذا شاعر حاذق مميز ناقد،مهذب الألفاظ".

و إذا استعرضنا جملة الأخبار السابقة تبين لنا أن نقد الشعر و تمييزه قد أصبح واضح المعالم في القرن الثالث.لقد وقف النقاد عند لفظة "نقد" محاولين تعريفها تعريفا اصطلاحيا، وجميع هذه

1- ينظر: ماجدة حمود، علاقة النقد بالإبداع الأدبي، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، دط،1997 ص10.

2- مسند الإمام أحمد،المكتب الإسلامي ،بيروت،ط5، 1985 ،ص 371.

3- ينظر أحمد الشايب:أصول النقد الأدبي، مكتبة النهضة العربية،القاهرة، مصر، ط8، 1973،ص115.

4- قدامة بن جعفر:نقد الشعر، تح محمد عبد المنعم خفاجي ،دار الكتب العلمية،ص89

المحاولات اختلفت لفظا واتفقت معنى.من ذلك مثلا:

-النقد دراسة الأشياء وتفسيرها وتحليلها وموازنتها بغيرها المشابهة لها أوالمقابلة،ثم الحكم عليها ببيان قيمتها ودرجتها[1]. أوهو التقدير الصحيح لأي أثرفني وبيان قيمته في ذاته ودرجته بالنسبة إلى سواه[2].

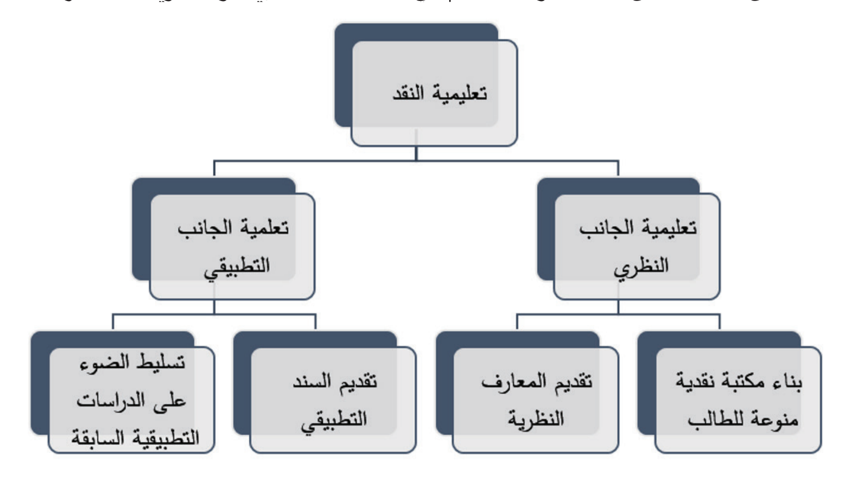
-والنقد في أدق معانيه هوفن دراسة الأساليب وتمييزها وذلك على أن نفهم لفظة الأسلوب بمعناها الواسع، وهومنحى الكاتب العام،وطريقته في التأليف، والتعبير والتفكير والإحساس على السواء[3].

-أوهو مجموعة الأساليب المتبعة(مع اختلافها باختلاف النقاد) لفحص الآثار الأدبية والمؤلفين القدامى والمحدثين بقصد كشف الغامض وتفسير النص الأدبي والإدلاء بحكم عليه في ضوء مبادئ أومناهج بحث يختص بها النقاد[4].

تعليمية النقد:

يمارس الأستاذ عملية الوصف والتحليل والتفسيروالحكم على الأعمال الإبداعية الأدبية، ونقل المعارف التطبيقية للطلاب، لتعليمهم الطريقة النقدية الصحيحة، عن طريق المناقشة واستخدام المفاهيم والمصطلحات النقدية، واستثمار النظريات التي قالت بها المدارس النقدية الغربية والعربية، مع مراعاة القدرات الفكرية والعقلية لكل طالب.

تقوم تعليمية النقد على الربط الفعلي بين التراث النقدي القديم، والدراسات النقدية الحديثة، حيث تتولد شرنقة من التوالف المعارفي التي تسهم في توسيع الرقعة التعليمية للنقد، وبذلك يتمكن الطالب من شد خيوط التعلم فى مجال النقد، ويتكون تكوينا مخضرما[5].



1- أحمد الشايب:أصول النقد الأدبي، ص115.

2- المرجع نفسه،ص116

3- محمد مندور:في الأدب والنقد،دار النهضة،مصر،ط3، 1994،ص14.

4- مجدي كامل وهبة:معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب،مكتبة لبنان،بيروت،1979،ص228/229.

5- رشيد خيري، الدرس النقدي صعوبة التلقي وإشكالية المنهج، مجلة ما يسطرون، 2016-8-22،

.https //:emagasine.nohe.govKcom. 12-1-2019

3.أهداف تدريس النقد:

تمكّن الطلبة من تحديد المعايير الأساسية المعوّل عليها في الحكم على العمل الأدبي ككل: أي أن الطالب يصبح قادرا على إعطاء حكم موضوعي للنص الأدبي أو العمل الإبداعي الذي بين يديه، وبالتالي فهو اكتساب لمهارة النقد السليم الذي يقوم على التدقيق والقراءة المتأنية، والانضباط بمعايير علمية محددة.

ضبط حركة الفكر الثقافي وتحديد الأطر والمسارات التي ينبغي الالتزام بها في كتابات الكتاب والمبدعين.

تعريف الطلبة بالنقاد والمذاهب النقدية: وهنا يكون التكوين الثقافي، وبناء الإيديولوجيات المعرفية، والإحاطة الشاملة بتطورات الدرس النقدي، والتطرق لكل المدارس والمذاهب التي شيدت صرح النقد على اختلاف مناهله، وبالتالي يتمكن من الربط، والتوفيق بين المعلومات النظرية، والإجراءات التطبيقية.

تنمية القدرة على تحليل النصوص الأدبية لدى الطلبة، وتذوقهم جمال النص الأدبي: اكتساب الذوق الفني، والتلمس الأدبي، هو من بين الأهداف التي يرمي إليها النقد التعليمي، فقدرة الطالب على تمييز الجيد من الرديء، وتخيُّر الحسن من الجيد، والأجود من الجيد، لا يمكن أن تبنى عشوائيا، بل لابد من تدريب وتعليم من قبل أساتذة متمكنين.

تكوين حاسة التذوق والتمييز لدى الطلاب عن طريق التدريب المستمر على فهم النص وتحليله ثم اكتساب القدرة فيما بعد على تكوين منهج تحليلي يقوم على الذوق.

يعين الطالب على الاستمتاع بما يقرأ، ويشجعه على معرفة تراثه وحسن إدراك ما فيه وفهمه على النحو الصحيح[1].

قدرته على تنظيم المفاهيم والأفكار وفق منطقي علمي وجمالي.

إكساب الطالب معيار الحكم والمفاضلة.

اكتساب القدرة على تنمية الإبداع والابتكار في الأشكال والرموز والأنساق[2].

تمرس النقد من قبل الطالب، وانكبابه على التطبيق الفعلي للجانب النظري الذي يتلقاه من شأنه أن ينمي ملكته النقدية، حيث إنه يصبح قادرات على التعامل مع النصوص الإبداعية بشيء من الرقي والفنية الذوقية المتميزة، على اعتبار أنه يملك المؤهلات المناسبة لكي ينقد النص الذي بين يديه، فهو يملك المخزون المعرفي، والأداة الناقدة التي تتغلغل في أعماق النص لتستخرج خيوطه، وتفكك أنسجته، وتدرس العلائق التي تربط بناه، وعليه فالنقد التعليمي هو من بين أهم التخصصات التي تسهم في فتح النص، ودمج المتلقي بما يقرأ، لهذا لابد على الطالب أن يكون حريصا على تلقي هذا الفن قبل أن أقول عنه علما.

4. واقع تعليمية النقد في المحيط الجامعي:

أصبحت مقاييس النقد تمثل هاجسا مرعبا بالنسبة لبعض الطلاب، فهم يحاولون التفلت من هذه المادة بالهروب إلى تخصصات أخرى تكون فيها هذه الأخيرة مجرد مادة ثانوية، فلربما كانت رؤية

1 - توفيق الزيدي، في علوم النقد الأدبي، المنهج أولا، قرطاج، 2000، ص20-19.

2 - المرجع نفسه، ص20.

الطالب الضيقة التي تتعامل مع المادة النقدية على أنها مادة مجترة لابد من الحفظ المطلق فيها، إذ أنهم يعتقدون أنها تستنزف الجهد والوقت، لكنهم غفلوا عن الجانب التطبيقي الذي يجعلهم في غنى عن التلقي الخاطئ للمادة، والاعتماد على التخزين المعرفي من غير استيعاب، وهذه المحدودية في التفكير من بين الأسباب الرئيسة التي رسخت المفهوم الخاطئ للمقياس النقدي، وكونت ثقافة مغلطة عنه.

"غالباً ما يجد طُلاب الجامعات والمعاهد العربية صعوبة في فهم وتلقي المتن النقدي العربي، وقد يتطور الأمر إلى حالة من النفور المبرر أحياناً والغير المبرر في أحايين كثيرة، ذلك أننا نعترف، أن ثمة صعوبات تجعل من تلقي الدرس النقدي العربي مادةً غير مرغوب فيها، إلا في حالات استثنائية، تهم الطالب بالدرجة الأساس ومدى قدرته على الفهم والاستيعاب والانخراط الكلي في الشرط المعرفي، وكثيرة هي المرات التي اشتكى فيها أغلب الطلاب بصعوبة هذا التلقي"[1]

إلا أن هذا الكلام لا يعطي الحق للطالب بأن يتعامل مع النقد على أنه مادة لا يجب دراستها أو التخصص فيها، فكل اختصاص له صعوباته، بل لابد من جرأة علمية تجعله يدخل في مضمار الدرس النقدي، فهو بكل ما فيه من صعوبات إلا انه استثمار فعال وفاعل للقدرات العقلية التي تقوم على الاستقراء والاستنباط المقنن للمفاهيم المختلفة التي تتضمنها الخطابات الأدبية.

وهذا ما تسعى الهيئات العلمية إلى بناءه من خلال تكوين طلبة نقديين، وذلك بتدريبهم على استخدام المناهج النقدية على اختلافها، وتعدد آلياتها، إذ أن تعدد المناهج يسمح لكل طالب أن يستثمر قدراته الفكرية والنفسية في الغوص في الأعمال الإبداعية، بل ولربما تجعله قادرا على تحليل المحيط الخارجي الذي يتعامل به فما هو إلا خطابات منطوقة ومرئية.

عدم اهتمام الباحثين بتقديم بحوث مفصلة تشرح ما يسمى بتعليمية النقد، فتوعية الطالب بأهمية الأخذ بهذا المقياس، وتحفيزه على التعامل معه تعاملا جديا هو من واجب الباحثين، فمن الملاحظ أن " تعليمية النقد عزوفا من قبل الطلاب، ويعود ذلك إلى بعض الأبحاث الأكاديمية ذات المواضيع المخصوصة، كما يعود إلى أنّ تلك الأبحاث بحدّ ذاتها قد كتبت في سياقات معينة ولجمهور معين، وهذا ما يدعو المشرفين إلى إعادة النظر في مقياس اختيار المواضيع، إذ لا فائدة لتلك المواضيع التي لا يكون لها مردود كبير في حياة المجتمع والطالب بصفة خاصة وبأوجهها المختلفة"[2].

هذا التقصير في حق البحث في تعليمية النقد جعل الطلاب عشوائيين في اختيار المادة النقدية التي يستهلكونها، إذ نجدهم يختارون كتبا تناسب حاجتهم الفردية فقط، من غير التطرق إلى الكتب النقدية الأخرى التي من شأنها تزويدهم بالمعارف الشاملة، يقول توفيق اليزيدي في هذا الصدد: "يقابل هذا العزوف إقبال طلاب وطلبة العلم خاصة على نوع من الكتابات التي تلبي حاجاتهم، وهو أمر يشكل ظاهرة في سلوك الفرد اليوم، أو ما نسميه بالقارئ الجديد، بحيث أنّ له مطالب، وما على الباحثين إلا الاستجابة لها، لكن الكثير من تلك الكتب التي كانت، وسادت لم تعد تواكب العصر ولم تعد تنفع الطالب، لأنّ أصحابها لم يقدروا القراء حقّ قدرهم وبالتالي فقد أطاحوا

1 - ينظر: طه حسين الدليمي، سعاد عبد الكريم الوائلي، الطرائق العلمية في تدريس اللغة العربية، دار الشروق، ط1، 2003، ص171.

2 -إبراهيم محمد عطا، المرجع في تدريس اللغة العربية، مركز الكتاب، ص359.

بطرف مهم في عملية الكتابة/ القراءة[1]

يرى "توفيق الزيدي" أن ما يعانيه الطالب أو القارئ الجديد ليس هو حديثا عاما في الأدب والحداثة الشعرية أو النقد سواء الحديث أو المعاصر، (حياة النقاد) بل يريد كتبا منهجية تبين له كيف يميز مثلا الشعر من غيره، وكيف تكون الحداثة الشعرية وكيف تشرح القصيدة القديمة والحديثة، كما لا يريد حديثا عاما في المناهج النقدية الحديثة أو المعاصرة، بل يريد أن نبين له كيف يستفيد منها، أي ما يتعلق بخصائص الثقافة الغربية وما يتعلق بثقافته هو...وعليه فإن القارئ الجديد - كما يسميه "توفيق الزيدي" - ليس بالقارئ الأمس فحاجته مختلفة عن سابقه، فإن كان قارئ الأمس يكتفي بالقراءة الصامتة، فإنّ قارئ اليوم (الجديد) مشاركا فعالا بل سائلا إلى حدّ الإحراج، وما على الكاتب أو الأستاذ إلا أن يستعد ويعيد استراتجياته لتقديم الجديد لهذا المتعلم أو القارئ حتى يقنعه بما هو أفضل

ارتكاز مناهج النقد بشكل كبير على الجوانب التاريخية للنقد الأدبي من دون التركيزي على الأدوات النقدية التي تنمي حاسة النقد والتذوق لدى الطلبة، غرست مفهوم الحفظ والاستظهار لأجل النجاح لديهم، دون الوقوف أو فهم الجوانب الفنية والجمالية في النصوص الأدبية التي يدرسونها.

5.أساليب تعزيز ملكة النقد لدى الطالب:

الفهم الدقيق للمفردات اللغوية ثم استخراج الفكرة العامة والأفكار الفرعية، باعتبارها أمرا ضروريا في النص لتعزيز قدرة النقد لدى الطالب.

فهم هذه الأفكار التي يتم التعبير عنها بلغة الطالب، أي بأسلوبه الخاص، وذلك من خلال إلمامه بجو النص وموازنة لغته باللغة الفنية التي استخدمت في النص تعبيرا وتصويرا، أما الطريقة الثالثة فتتمثل في الطريقة الأنموذجية المعبرة عن ذلك النص إلى جانب مراعاة التأني من خلال إخراج الحروف من مخارجها وضبط الكلمات والتعبير عن الانفعالات بصوت واضح مع تحديد مواطن الجمال في الكلمات والعبارات والصور

وتُعنى الطريقة الأخيرة بتحديد مضامين النص ومواطن الجمال في اللفظ والتعبير ثم مناقشته مناقشة جماعية[2]

- تزويد الطلبة بالأساليب الدقيقة والرفيعة لتمكينهم من إنشاء الكلام الجيد.
- تنمية قدرة الطلبة على الموازنة ودقة الملاحظة والحكم الصحيح بين نتاج الأدباء.
- معرفة الطلبة أساسيات النقد الأدبي والمصطلحات العامة الصحيحة التي يرجع إليها الناقد في نقد نصوصه.
- تعليم الطلاب كيفية تخير النصوص من عيون الأدب.

خاتمة:

تمخضت هذه الدراسة عن جملة من النتائج وهي:

النقد هو من بين التخصصات التي ينفر منها الطالب الجامعي، جراء الرؤية الخاطئة والتعامل السلبي مع المادة الموجهة إليه.

1 - ينظر: محسن علي عطية، الكافي في أساليب تدريس اللغة العربية، دار الشروق، عمان، الأردن، ط1، ص370.

2 - محمد زكي العشماوي، الرؤية المعاصرة في الأدب والنقد، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ص138.

يتمحور جوهر النقد في تمييز الجيد من الرديء كما عرفه العلماء القدماء في المعاجم.

النقد التعليمي هو جملة الآليات التدريسية، والبيداغوجيات التي يعتمدها الأستاذ لتدريس مادة النقد، وإعطاءها صبغة معينة لكي يتمكن الطالب من تلقيها وفقا للقدرات العقلية والفكرية التي يمتلكها، فهي تعتمد على تبسيط المحاور النقدية، وتشكيل الإحداثيات العامة للمقاييس النقدية.

الإحاطة بالمقياس النقدي يكسب متعلمه قدرة على التمييز، وتعطيه صفة التذوق الأدبي، فهو يروض الملكة الفنية الأدبية التي تؤهله للحكم على الأعمال الإبداعية بشيء من الموضوعية المبنية على إيديولوجيات ذوقية.

يعتمد الأستاذ شتى الأساليب لتبسيط الدروس في مجال النقد، وذلك لتفرعها وتشعبها وأحيانا تداخلها مما يؤدي إلى حدوث نوع من الالتباس لدى الطالب.

قائمة المصادروالمراجع:

إبراهيم محمد عطا، المرجع في تدريس اللغة العربية، مركز الكتاب.

توفيق الزيدي، في علوم النقد الأدبي، المنهج أولا، قرطاج، 2000 .

رشيد خيري، الدرس النقدي صعوبة التلقي وإشكالية المنهج، مجلة ما يسطرون، 2016-8-22، 12-1-2019 ،https //:emagasine.nohe.govKcom.

طه حسين الدليمي، سعاد عبد الكريم الوائلي، الطرائق العلمية في تدريس اللغة العربية، دار الشروق، ط1، 2003.

قدامة بن جعفر:نقد الشعر، تح محمد عبد المنعم خفاجي ،دار الكتب العلمية،

ماجدة حمود، علاقة النقد بالإبداع الأدبي، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، دط،1997.

مجدي كامل وهبة:معجم المصطلحات العربية في اللغة و الأدب،مكتبة لبنان،بيروت،1979

محسن علي عطية، الكافي في أساليب تدريس اللغة العربية، دار الشروق، عمان، الأردن، ط1.

محمد زكي العشماوي، الرؤية المعاصرة في الأدب والنقد، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.

محمد مندور:في الأدب و النقد،دار النهضة،مصر،ط3، 1994

مسند الإمام أحمد،المكتب الإسلامي ،بيروت،ط5، 1985.

ينظر أحمد الشايب:أصول النقد الأدبي، مكتبة النهضة العربية،القاهرة، مصر، ط8، 1973.

التعليم : ملابساته و مقوّمات نجاحه في القرن العاشر الهجري بالجزائر
قراءة في كتاب "جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض بين المعلمين وآباء الصبيان"- لأحمد بن أبي جمعة المغراوي، الوهراني، المالكي (ت920هـ / 1514م)

أ/د.عبد القادر سلاّمي جامعة تلمسان - الجزائر-
د. أمينة بلهاشمي المركز الجامعي بالنعامة - الجزائر-

ملخص:

إنّ عملية التعليم لا بدّ فيها من معلّم ومتعلِّم ومادة يُرادُ تبليغها يعضدها في كلّ ذلك منهج قائم على أن أفْهِمْ نفسكَ ما تقول ثمّ رُمْ أن يفهَمَ عنك غيرُك. وقد يسلك المعلّم الطريقة الكلية من منطلق أن العلم يؤخذ دفعة واحدة، وقد يعمد فيه إلى اعتماد الطريقة الجزئية وقد يُقرن بينهما على اعتبار أنّ في كلّ خير.

وتسعى المداخلة التالية إلى عرض مقدمة في التعليميّة العربية من منظور تراثي يعدّ توطئة لجهد الأخلاف، وذلك بالوقوف على الطرق المعتمدة عند الأسلاف في التعليم في تربية الصِّبْيَان وتربية الأطفال التلاميذ المُوكَلَةٌ إلى المعلِّم الحاذق ، وما ينبغي أن يكون المتعلّم عليه من استعداد لتلقي المادة المقرّرة.

Abstract:

The process of education required a teacher and learner and a discipline to be communicated, supported by a method based on that you understand what are you saying, and then to be understood by others . Therefore, the teacher may apply the overall method from the premise that science must be taken at once, and may adopt the partial method, and may associate them for that the two ones are useful .

So this paper seeks to expose an introduction in the Arab didactic from a heritage perspective which is a preparation for the effort of the descendants, by standing on the methods adopted by the ancestors in education , for raising the boys and the pupils assigned to the skilled teacher, and that the learner should be prepared to receive the prescribed discipline .

أولاً- التعليم في اللغة والاصطلاح:

-1لغةً:

التعليم من علّم، "يقال: علَّمُ المتعلِّمَ العِلْمَ تعليماً فتعلَّمَهُ: أي عَلِمهُ وأتقنَهُ. وتعلَّمْ ، بصيغة الأمر، اعلَمْ.والمعْلَم: خلاف المَجْهَلُ والمعلِّمُ : من يتَّخذ مهنة التَّعليم. والمعلَّمُ: المُلْهَمُ الصّواب والخير.

والعِلْمُ : نقيض الجَهل،وقيل في حدِّه:معرفة المعلوم على ما هو عليه، فاعترض بلزوم الدَّور، فقيل العلم صفة توجب تمييزاً لا يحتمل النَّقيض؛وعلى هذا، فهو الجزم المطابق للحق؛ وقيَاسُه قياس العَلَم والعلامة، والدّليل على أنّهما من قياس واحد قراءة بعض القُرّاء:)وإنَّهُ لَعَلَمٌ للسَّاعة(.[1](*) قالوا: يُرادُ به نُزُول عيسى عليه السَّلام، وإنَ بذلك يُعلَمُ قُرْبُ السَّاعة. ومن الباب: العَالَمُون، وذلك أنَّ كلَّ جِنْسٍ من الخَلْق فهو في نفسه مَعْلَمٌ وعَلَمٌ."[2]

-2 اصطلاحاً:

يرى علماء النفس والتربية أن التعليم المفضي إلى التعلَّم هو ذلك التغيير الذي يحدث في سلوك الإنسان، وفي معاملاته مع الآخرين وفي اتصالاته بهم، وفي اكتسابه مهارات جديدة وتنمية أخرى سابقة. والعمل على إنماء ما لديه من خلفيات معرفية، سواء كانت غريزية أو مكتسبة.

وممّا تقدم نصل إلى نتيجة وهي أن التعلم تغيير في السلوك، وفي الخبرات السابقة، فيضيف عليها أشياء، أو يعدل بعضها حتى يتحسن سلوك الإنسان. فالتعلم إذن تحسّن[3] وتحصيل واكتساب معرفة عن موضوع أو مهارة عن طريق الدراسة أو الخبرة. كما أنه يكتسب عن طريق التعلم المستمر- نسبيا - في الميل السلوكي، وهو نتيجة لممارسة معززة[4].

يتبين مما سبق أن التّعليم والتعلّم و الاكتساب مفاهيم تشترك في معنى العِلْم واكتساب المعرفة و الحثّ على تحصيلها.

ثانياً-خلاصة« جامع جوامع الاختصاروالتبيان «وقيمته التعليمية:

يُعد كتاب « جامع جوامع الاختصاروالتبيان ، فيما يعرض بين المعلمين وآباء الصبيان »،[5](*) تأليف العالم المقرئ الأديب والفقيه « أحمد بن أبي جمعة المغراوي، الوهراني، المالكي (ت920هـ / 1514م) »[6] مُتمِّماً لكتاب ابن سُحنون ((آداب المعلمين)) وكتاب القابسي ((الرسالة المفصلة)) وشارحاً لكثير من مسائلهما، مع زيادات مهمة لكثير من المسائل والأبواب، ونقول كثيرة عن أئمة المذهب المالكي[7].

ذكر المؤلف - رحمه الله - في مطلع كتابه هذا أنّه ألّفه حول أحكام المعلمين والمتعلمين وآبائهم، ودرس فيه الحقوق والواجبات التي تتصل بهم، كما فصّل أحكام "الحذقة" (حفظ القرآن الكريم

1(*) في قوله تعالى:]وإنَّهُ لَعِلْمٌ للسَّاعة[.من الآية61 من سورة الزخرف.

2-ينظر:ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة،4/109-110،مادة(علم) و الفيروز آبادي ، القاموس المحيط،4/155، مادة(علم)و إبراهيم أنيس وآخرون ، المعجم الوسيط، 2/624، مادة(علم) و أبو القاسم محمد بن أحمد الغرناطي ، تقريب الوصول إلى علم الأصول ، ص45.

3-ينظر: محمد وطاس ، الوسائل التعليمية في عملية التعلم ،ص20.

4- ينظر: دوجلاس براون ، أسس تعلم اللغة وتعليمها،ص25.

5 (*)ذكر المغراوي أنه أتم تأليفه في 14ذي الحجة من عام 898هـ/1492.1493م.وأما تاريخ نسخه فقد حدد في المخطوط بتاريخ 16 ذي القعدة من عام 1148هـ /1735.1736م. .ينظر: أحمد بن أبي جمعة المغراوي :جامع جوامع الاختصاروالتبيان ، فيما يعرض بين المعلمين وآباء الصبيان ص56.

6- حاول محققا الكتاب جاهدين أن يجدا له ترجمة كافية في تصانيف التراجم المختلفة فلم يتيسّر لهما إلاّ ما وُجد في(كتاب" اليواقيت الثمينة" للسيوطي ، ط مصر، 1/16) أن المؤلف عاش في القرن التاسع أو العاشر الهجريين وتوفي سنة 920هـ/ 1514م وتتلمذ على يد الإمام محمد بن يوسف السنوسي المتوفى سنة885هـ/1481-1480م، وعلى غيره من علماء تلمسان، كما أخذ عن شيوخ تونس حسبما يُفهم من كتابه ينظر: المرجع نفسه ،ص6.

7-ينظر: المرجع نفسه ،ص5-6.

وقراءته مع اعتبارحسن لخطّ) ، وعليه فإنّ المؤلف قد حدد خطة كتابه بالمباحث التي لها علاقة بالجانب الفقهي في مجال التعليم. 6[1]

وتتجلى أهمية كتاب « جامع جوامع الاختصاروالتبيان ، فيما يعرض بين المعلمين وآباء الصبيان »، في دراسة أساليب التعليم وطرقه، وخاصة في اعطائه صورة حية عن واقع تاريخي للتعليم الإبتدائي بتلمسان والمغرب عامة.كما تتجلى أهميته في دراسة الأحكام الفقهية التي تتصل بالمعلمين والمتعلمين وعلاقة الآباء بذلك، وهذا ما جعل الطابع الفقهي يغلب على هذا الكتاب، ورغم ذلك نجد فيه نظرات تعليمية كما كان يفهمها المربّون في القرن التاسع هجري وما قبله.7[2]

أولاً: المُعلِّم وما يجب أن يتوفَّرعليه:

-1الاقتناع بما سخّره الله له:

قال المغراوي قال ابن عرفة(ت 803هـ):" ولا ينبغي له(أي المعلِّم(أن يتشاغل عن تعليمهم بشيء. فأمّا خياطة الثّوب وغيرها من الأعمال الطائلة الشّغل فلاً، وأعظم منه إهمالهم بحضور الجنائز وصاحبها رياءً مع تركه فرض العين فيهم....وإنْ نزلتْ به ضرورة استناب مثله فيما قرُبَ."وقال الزّناتي:" وله أن يستخلفَ عليهم منهم إذا خرج لحاجة تعرِضُ لهُ،ولا يصرفهُم في ذلك إلاّ فيما يعرِضُ له نادراً". 8[3]

وإيماناً من السَّلف بأنّ المعلِّم قدوة تلميذه" كتب ابن حبيب كتاباً لمعلِّم بَنيه، فقال فيه: بسم الله، أمّا فلتكُن أوّل ما تُؤدّبُ نفسك، فإنّ عيني متعلّقة بهم ، وأعيُنهم متعلّقة بك فالحسنُ عندهم ما استحسنتَه، والقبيح ما استقبحته، وعلّمهم كتاب الله ولا تكرْهُهم عليه فيملُّوه".9[4]

وعن ذلك قال أبوبكربن مجاهد (ت324هـ): قال ثعلب (ت291هـ): يا أبا بكر، اشتغل أصحاب القرآن بالقرآن ففازوا، وأصحاب الحديث بالحديث ففازوا، وأصحاب الفقه بالفقه ففازوا؛ واشتغلت بزيد وعمرو، فليت شعري ما يكون حالي! فانصرفت من عنده فرأيت النّبي صلى الله عليه وسلّم، تلك اللّيلة فقال لي: أقرئ أبا العبّاس منّي السّلام، وقلْ له: أنت صاحب العلم المُستَطيل[5](*) [6]10".

-2من أخلاقيات مهنة المعلِّم:

أورد المغراوي في كتابه وصية ابن حبيب لمعلّم ولده، وقد جاء فيها: «إنّ على المعلّم أن يُحسن أخلاقه مع تلاميذه؛ لأنّهم يتأثّرون به وعليه أن يعلّمهم كتاب الله الكريم بأسلوب يُحبّبُه إليهم...وأن يعلّمهم من الشّعر أعفّه، ومن الحديث أشرفه، وأن يجنّبهم من الشّعر ما فيه الغزَل، وما يُتغنّى به؛ لأنّ ذلك يُلهبُ شهواتهم... وأنْ يدرّب الأولاد على أداء الصلوات لسبع من أعمارهم، وأن يَربهم على تركها لعشرٍ كما جاء في الحديث ...وكنْ لهم كالطّبيب الذي لا يَدَعُ الدّواء إلاّ في موضع الداء،

1 -ينظر: المرجع نفسه ،مقدمة التحقيق،ص15-14.

2 -ينظر: المرجع نفسه ،ص7.

3 -ينظر: المرجع نفسه ،ص47-46.

4 -أبو جمعة المغراوي:جامع جوامع الاختصار،ص 39.

5 (*)قال أبوعبد الله الرّوذباري أحمد بن عطاء(369هـ):" أراد أن الكلام به،(أي النحو)، يكمل والخطاب به يجمل، أو أراد أن جميع العلوم مفتقرة إليه".ابن خلكان: وفيات الأعيان،1/ 119.

6 -السيوطي :بغيةالوعاة، 1/397.

وهدّدهم واضربهُم دوني يزاددُوا بذلك صلاحاً." 11[1]

لذا،فإنَّ " آداب الصِّبْيَان و تربية الأطفال التلاميذ موكلَةٌ إلى المعلِّم الذي "ينبغي أنْ يُؤدِّبَهُم على الكذِب والسبِّ والهَرَب منَ المسْجد واليَمين بالطَّلاق والحَرَام وغيره، وعلى المعاملَة بالرِّبَا، ويَمدَحُ لهُم السَّخَاء والشَّجاعة والكَرَم ويذُمُّ لهُم الشُّحَّ والطَّمَعَ، ويتولَّى حُكْمَهُم ولا يَحمل بَعْضَهُم على بعضٍ لئلاَّ يُؤدِّي إلى فسادهم إذْ يَخافُ بَعْضُهُم من بعضٍ فيؤدِّي إلى أنْ يُغْرِه عليه الشَّيْطانُ فيطلب منه الفسَادَ، ولا يَفْضل بعضهم على بعضٍ في تعليمهم، ولا في جُلُوسِهم" 11[2] وأنْ يعزّر منْ يَسُوءُ سُلُوكهُ منهم أو منْ يُجالِسُ أهلَ السُّوء منهم،"وأنْ يزجر المُتخاذل في حفظه وصفه كتُبَه بالوعيد والتقريع، لا بالشَّتْم كقول بعض المعلّمين : يا فرْد[3](*)". 12[4]

لذا وجب التفريق عند الإمام زين الدين بن رجب الحنبلي(ت 795هـ(بين "النّصيحة" و"التعيير"؛ "وهو أنّ النّصح يقترنُ به السّتْر ، والتّعييرُ يقترنُ به الإعلانُ... ومن هذا الباب أن يقال للرّجل في وجهه ما يكرهه فإنْ كان هذا على وجه النُّصح فهو حسَنٌ ... فإذا أخبرَ الرّجل أخاه بعيبٍ ليتجنّبه كان ذلك حسناً لمَن أخِبر بعيْب من عيوبه أنْ يعتذر منها إنْ كان له عُذرٌ ، وإنْ كان ذلك على وجه التّوبيخ بالذنب فهو قبيحٌ مذمومٌ." 13[5]

على أنّه ينبغي لطالب العلم "أن يتميّز في عامّة أموره عن طرائق القوم، باستعماله آثار رسول الله –صلى الله عليه وسلّم-ما أمكنه، وتوظيف السُّنَن على نفسه،...وأن يتجنّب اللّعب والعبَث والتبذُّل في المجالس، بالسُّخْف والضَّحك والقهقهة وكثرة التّناذُر، وإدمان المزاح والإكثار منه، لإنّه يُسْتَجازُ من المزاح يسيرُه ونادرُه وطَريفُه الذي لا يخرُجُ عن حدِّ الأدب وطريقة العلْم.فأمّا مُتّصلُه وفاحشُه وسخيفُه وما أوْغَرَ منه الصُّدُور وجلَبَ الشرّ، فإنّه مذْمُومٌ. وكثرةُ المزاح والضّحك يضَعُ من القَدْر ، ويُزيل المُرُوءة".14[6]

فقد حكى أبو العبّاس المبرّد (ت285هـ) عن أبي عثمان المازني، (ت249هـ) فقال":كنت عند أبي عبيدة (ت210هـ) فسألَه رجل:كيف تقول: عُنيتُ بالأمر ؟ قال:كما قلت عُنيت (بالأمر)،قال:فكيف الأمرُ منه؟ قال: فغلط وقال:أُعْنُ بالأمر، فأومأت إلى الرّجل أنْ ليس كما قال: فرآني أبو عبيدة(ت210هـ) فأمهلني قليلا،ثمّ قال: ما تصنع عندي؟ قلت: ما يَصْنع غيري،قال:لستَ كغيرك،لاتَجْلِسْ

---

1 - أبو جمعة المغراوي:جامع جوامع الاختصار،ص 40-39

2 - ينظر: المرجع نفسه ،ص39.والقول فيه لأبي عبد الله الجُزوليّ(ت870هـ). .

3(*)فَرد : ثور في عامية الجزائر.

4 - المرجع نفسه ،ص35.

5 - زين الدين بن رجب الحنبلي: الفرق بين النصيحة و التعيير، ،ص 17-16.

6 -أحمد بن علي الخطيب: آداب طالب الحديث من الجامع.،ص14.

إليَّ،قلت:ولمَ؟ قال: لأنّي رأيتك مع إنسان خُوزيّ[1](*)سرق منّي قطيفة[2](*).فانصرفت وتحمَّلت عليه بإخوانه،فلمّا جئته قال:أدِّبْ نفسَك أوّلا ثمّ تعلّم الأدب".15[3]

-3 إتْقان مبادئ العلوم:

من ذلك أنّه على المعلِّم إتقان مبادئ العلم الذي يتصدّرمنبره، قالأبو علي الشوشاوي(ت899هـ(قال التونسي" المعلّم الذي لا يعرف الإظهاروالإدغام والإهمال والإعجام والتفخيم والترقيق وغير ذلك من أحكام القرآن لا تجوز له الحذقة. قلتُ: وقد استفتى شيخنا وبركتُنا سيدي محمد بن سيدي يوسف السنوسي(ت 895 هـ(حتى مثل هذا، فأجاب:...معناه أنّه لا يجوز إقراؤه إن لم يكن مخارج الحروف وإن جميع ما يأخذه سَمْتٌ". 16[4]

وقد بيّن الجاحظ (ت255هـ(فوائد التنغيم وهو يشير إلى قوّة صوت العبّاس بن عبد المطّلب وارتفاعه وجهارته في عملية التوصيل، فقال:" وقد كان العبّاس بن عبد المطّلب(ت32هـ)جهيراً[5](*) جهيرَ الصّوت، وقد مُدِحَ بذلك ، وقد نفع الله المسلمين بجهارة صوته يوم حُنَيْن حين ذهب النّاس عن رسول الله –صلى الله عليه وسلّم- فنادى العبّاس: يا أصحاب سورة البقرة، هذا رسول الله. فتراجع القوم وأنزل الله عزّ وجلّ النّصرَ وأتى بالفتح". 17[6]

كما دللّ ابن جنّي(ت392هـ(في خصائصه على أنّ من أهمّ العوامل المؤثّرة في المعنى وعموم الدّلالة مراعاة:النَّبر[7](*) (Prominence)والتنغيم[8](*)(Intonation)والاستعانة بإشارة من الوجه أو اليدين أو غير ذلك. يقول ابن جنّي:"وقد حذفت الصّفة ودلّت الحال عليها وذلك فيما حكاه

1(*) خوزي: نسبة إلى الخُوز، وهي اسم لجميع بلاد خُوزسْتَان.وهي البلاد التي تمتدّ بين فارس والبصرة، وهي بلاد كبيرة وعَمَل فيسح وماؤها صحيح .يتكلّم أهلها بالفارسيّة والعربيّة ولسان آخر يستعملونه بينهم،وزيُّهم زيّ أهل العراق يلبَسُون القُمُص والطيالسة(*). وفي أنفسهم وطباعهم الشرّ والتنافس بعضهم على بعض وفي ألوانهم صُفرة وسُمرة. ينظر: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص225، مادة(خوزستان)، والفيروزآبادي،القاموس المحيط، 2/182، مادة(الخوز).(*)والطيالسة:جمع الطَّيْلَسان أعجميّ معرّب أصلُه تَالِسَانُ،وهو ضربٌ من الأوشحة يُلْبَسُ على الكتف، أويحيط بالبَدَن ، خالٍ من التفصيل والخياطةوالعمائم، وهو ما يعرف عند العامّة بالشّال. ويقالُ في الشّتم : يا ابن الطَّيْلَسَان أي إنّك أعجمي.وفي الطَّيْلَسان لغتان أخريان" الطَّيْلَسُ " و" الطاَّلِسان". ينظر:المرجع نفسه، 225-2/224و الجواليقي،المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، ص275 وإبراهيم أنيس وآخرون،المعجم الوسيط، 562-2/561، مادة(طلس).

2(*)القطيفة: دِثَارٌ مخمَّلٌ ، أي ثوبٌ أو كساءٌ ذو أهداب،جمع قطائف. ينظر:الفيرزآبادي، القاموس المحيط، 3/192، مادة(قطف) وإبراهيم أنيس وآخرون،المعجم الوسيط، 2/747، مادة(قطف).

3 -السيوطي ، بغية الوعاة، 1/464.

4 - المرجع نفسه ،ص24.

5(*)جهيراً:أي:ذا منظر وهيئةٍ حسنة:ينظر:الفيروزآبادي،القاموس المحيط، 1/409، مادة(الجَهْرَ)

6 - ينظر: الجاحظ:البيان والتبيين،1/123.

7(*)النّبر: أو الارتكاز أو الضّغط وهو درجة قوّة النّفس التي ينطق بها صوت أو مقطعٌ. فدرجة قوّة النّفس في نطق الأصوات والمقاطع المختلفة تتفاوت تفاوتاً بيّناً .فالصوت أو المقطع الذي ينطق بارتكاز أكبر يتضمّن طاقةً أعظم نسبياً ويتطلّب من أعضاء النّطق الخاصّة جهداً أقوى بالإضافة إلى زيادة النَّفَس. (ينظر:محمودالسعران،علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص -189 190 وتمام حسان ، مناهج البحث في اللغة،ص197-194 وكارل بروكلمان ،فقه اللغات السّامية،ص47-45 و برجستراسر ، التطوّر النحوي للغة العربية، ص 73-71). وهو ما عالج ابن جنّي بعض أمثلته ضمن (باب مَطْلِ الحركات) ، فقال:" وحكى الفرّاء عنهم :" أكلت لحم شاةٍ" أراد لحما شاة فمطَلَ الفتحة، فأنشأ عنها ألفاً".ابن جني،الخصائص،3/123.

8(*)التنغيم: هو المصطلح الصوتي الدالّ على الارتفاع (الصّعود) والانخفاض(الهبُوط) في درجة الجهر في الكلام . وهذا التغيّر في الدرجة يرجع إلى التغيّر في نسبة ذبذبة الوترين الصوتيين التي تحدث نغمةً موسيقية. .محمود السعران،علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص 192وينظر: برجستراسر ،التطور النحوي للغة العربية، ص73-71 وتمام حسان،مناهج البحث في اللغة، ص 204-198. ينظر: أمينة بن مالك،ظاهرة التنغيم في البحث الصوتي بين القديم والحديث،ص33 و ماريو باي ،علم اللغة،ص 93.

صاحب الكتاب(يقصد سيبويه) من قولهم: "سِيرَ عليه ليلٌ"،وهم يريدون :"ليلٌ طويلٌ ".وكأنّ هذا إنّما حذفت فيه الصفة لِمَا دلّ من الحال على موضعها.وذلك أنّك تحسّ في كلام القائل لذلك من التطويح[1](*)والتطريح[2](*)والتفخيم[3](*)والتعظيم ما يقوم مقام قوله: طويلٌ أونحو ذلك. وأن تتحسّ هذا من نفسك إذا تأمّلتَهُ.وذلك أن تكون في مدح إنسانٍ والثّناء عليه ، فتقول: كان والله رجُلاً! فتزيد في قوّة اللفظ بـ(الله) هذه الكلمة، وتتمكَّن من تمطيط اللاّم وإطالة الصَّوت بها (وعليها) أي رجُلاً فاضلاً أو شُجاعاً أو كريماً أو نحو ذلك.وكذلك تقول:سألناه فوجدناه إنساناً ! وتمكِّن الصوت بإنسان وتفخِّمه،فتستغني بذلك عن وضعه بقولك:إنساناً سمْحاً أو جواداً أو نحو ذلك،وكذلك إذا ذممْته وصفته بالضِّيق،فقلت:سألناه وكان إنساناً!وتَزْوِي[4](*)وجْهَكَ وتُقَطِّبَهُ، فيغني ذلك عن قولك:إنساناً لئيماً لَحِزاً [5](*)أو مُبَخَّلاً أو نحو ذلك. فعلى هذا وما يجري مجراه تحذف الصفة.فأمّا إن عَرِيَت من الدلالة عليها من اللفظ أو من الحال فإنّ حذفها لا يجوز".18[6]

ثانياً:المتعلِّم وما يجب أن يتوفّر عليه:

-1 طلب العلم وتصدّر حلقاته:

قال الشيخ أبو الحسن القابسي في كتابه المشتمل على بيان أحكام المعلمين و المتعلمين على وجه الإيجاز ،قال:قال صلى الله عليه وسلم :(خيركم من تعلم القرآن وعلّمه (19[7]يشمل الوالد بتعليمه لولده ايّاه ولو بأْجرة وتعليمه المعلم.ولقد أْجاب ابن سحنون: أيّ ولد كان يطلب المعلم عنه عن قوله: إني أتولّى العمل بنفسي ولا أشغله عمّا هو فيه أجرك في ذلك أعظم من الحجج و الرباط و الجهاد .القابسي: إن ترك الأب تعليم ولده لقبح شح وقلة عذر فإن كان للولد مال فلا يدعه دون تعليم وليه أو قاضي بلده أو جماعة إن لم يكن قاض . وإن لم يكن مال توجه حكم الندب على وليه و أمه الأقرب وتعليم من أسلم ما يصلي به فرض كفاية ,ويتعين عاى من انفرد به دون عوض وتعليم الأنثى ما تصلي به كالذكر كذلك ،ويتعين على الولي و الزائدة على ذلك الأنثى أحسن . وكذلك العلم لا الرسائل و الشعر ، وترك تعليمها الخط أصوب قلت: لما عسى أن تستعين به فساد ، فإن الكتابة لا تحتاج مع كتبها إلى رسول لمن تهوى . والمثل في مثل هذه سار للخاصة. 20[8]

وقد روى الجاحظ(ت255هـ(في هذا الصدد قول من قال:"إنَّ الكُتُب لا تُحيي المَوتَى، ولا تُحَوِّلُ الأحْمَقَ عاقِلاً، ولا لبَليدَ ذَكِيّاً،ولكنَّ الطَّبيعة إذا كان فيها أدْنَى قَبُولٍ، فالكُتُبُ تَشْحَذُ وتَفْتِقُ، وتُرهِفُ وتَشْفَى. ومن أرادَ أن يلَمَ كلُّ شيءٍ، فينبَغي لأهله أن يُداووه!فإنَّذلك إنّما تصوُّرَ له بشيء

1(*)التطويح: بعدُ المَهوى و الإلقاء بعيداً في الهواء. ينظر: الفيرزآبادي،القاموس المحيط، 1/247، مادة(طاحَ).

2(*)التطريح:التطويل.يقال : طرّح بناءَه تطريحاً : طوّله. ينظر: المرجع نفسه،1/247، مادة (طَرَحَه).

3 (*)التفخيم: تركُ الإمالة والاستعلاء و التعظيم.ينظر:المرجع نفسه،4/ 160، مادة(فَخُم).

4(*)تزوي:تقبِضُ ، يقال زوى الرَّجُلُ ما بين عينيه: إذا قَبِضَه. ينظر:ابنفارس،معجم مقاييس اللغة، 3/34، مادة (زوى).

5(*) لَحِزاً: الرَّجُلُ الضيِّقُ الخُلُقِ.ينظر: الفيروزآبادي،القاموس المحيط، 2/197، مادة(اللَّحز)و معجم مقاييس اللغة،5/237، مادة(لحز).

6 - ابن جني ، الخصائص، 371-2/370.وهو ما أكّد الجاحظ على أهميته،فقال: "والصَّوتُ هو آلة اللفظ، والجوهرُ الذي يقوم به التقطيعُ، وبه يُوجدُ التأليف. ولن تكونَ حركةُ اللّسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً ولا منثوراً إلاّ بظهور الصّوت ، ولا تكون الحروف كلاماً إلاّ بالتقطيع والتأليف. ينظر: الجاحظ،البيان والتبيين،1/79.

7 – البخاري، صحيح البخاري ،1093(كتاب فضائل القرآن)-.

8-أبو جمعة المغراوي:جامع جوامع الاختصار، ص35-34.

اعتَراهُ!! فَمَنْ كانَ ذكيّاً حافِظاً فليَقْصدْ إلى شيئين، وإلى ثلاثة أشياء، ولا ينزعْ عن الدّرْسِ والمُطارَحَةِ، ولا يَدَعُ أنْ يَمُرَّ على سمعِه وعلى بَصَره وعلى ذهنه، ما قدَرَ عليه من سائر الأصناف، فيكونُ عالماً بخَواصٍّ، وغيرغُفْلٍ من سائرما يجري فيه النَّاسُ ويَخُوضُون فيه. ومن كانَ مع الدَّرْس لا يحفَظُ شيئاً، إلاَّ نسيَ ما هو أكثرُ منه، فهو من الحِفْظ من أفْوَاه الرِّجال أبعدُ". 21[1]

-2الإنفاق في سبيل العلم:

ذكر الشيخ المغراوي أنّ الإجازة على التعليم أجازها الأمام مالك –رضي الله عنه-، ومنعها الإمام أبو جنيفة –رضي الله عنه-، واعتمد مالك في حكمه هذا على ما جاء في حديث رسول الله –صلى الله عليه وسلّم- إذ قال:(أحقُّ ما أخذتُم عليه أجراً كتاب الله(22[2] فقال:" لم يبلغني أنّ أحداً كرِه تعليم القرآن الكريم والكتابة بأجرٍ" وذكر أنّ الإجازة أنواع. فهناك المشاهرة: "أي أخذها شهرياً ؛ لأنّ الشهر معلوم، وهناك المسانهة:أي أخذها سنوياً، وهناك الحذاق أي: الحذقة [3](*): والمرادُ به "حفظ جميع القرآن". 23[4]

وقال ابن عرفة:" والحذَقة حفظ كلِّ القرآن... وحفظ الصبيّ وقراءته مع اعتبار حسن خطّه، فإنْ نقص تعليمُ الصبيّ في أحدهما فلمعلِّمه من الحذقة بقدر ما تعلَّمَ، فإنْ استمرَّ الصبيُّ في القراءة في المصحف أو في الحِفْظ فلا شيء لمُعلِّمه، ويُوقفُ المُعلِّمُ على تفريطه إذا كانَ يُحسِنُ التعليم وعلى تعزيزه إنْ لَمْ يُحسنْهُ، فإنْ اعتذَرَ ببلادة الصبيّ اختُبِرَ ، فإنْ بَانَ صِدَّقهُ فلهُ من الأَجْر بقدر ضَرَره وتأديبِه إلاَّ أنْ يَكُونَ عرفَ أبَاهُ ببَلِهه[5](*)ويَكُونُ الأبُ عرَفَ ذلكَ". 24[6]

ثالثاً- اتّباع الطّريقة الجزئية في تبليغها وتحديد المواد المُقَرَّرة:

ذكر المغراوي ما أوصى به ابن حبيب معلّماً إنّه ينبغي على المعلّم أن يتدرّج بتلامذته في دراسة المواد والفنون ، فلا ينتقل بهم من فنّ إلى آخر، إلاّ بعد أن يحكمُوا الأوّل،"فإنّ ازدحام العلوم مقلّلةٌ للفُهوم". 25[7] ف" لا يأخذ الطّالب نفسه بما لا يُطيقُه، بل يقتصرُ على اليسير الذي يضبطُهُ ويُحكم حفظه ويُتقنَهُ".26[8]

"وممّا جرت العادة به تعليمهم أسماء الشّهور العربية والعجمية وتلقينهم القنوت والتشهُد ، وإقراؤهم تلقيناً من " سبّحُ اسم ربّك" إلى آخر القرآن" من الجنة والناس" ومن انطلاقهم بالعشيّ لينتفع به من كتب الله الخروج إلى صنعة في صلاته كما أنّ شأن أهل البادية تلقينهم الشّهادتيْن والأسماء الحسنى".27[9]

وهو ما انتهى إليه الأسلاف قبله ومنهم الخطيب "أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب

1 -الجاحظ ، الحيوان ،60-1/59 ،(التخصّص بضروب العلم).

2 - البخاريُّ،صحيح البخاري، ص 1232، (باب الشرط في الرقية بقطيعٍ مِنَ الغنم (.

3(*)الحذَق أوِ الحذقة: حفظ الصبيُّ الكريم وختمُه والمهارة فيه مع اعتبار حسن الخطّ. ينظر: الفيروزآبادي:القاموس المحيط، 3/226-227، مادة(حذق).

4 - ينظر: أبو جمعة المغراوي:جامع جوامع الاختصار،ص 34-26.

5(*)- البَلَهُ: ضَعْفُ العَقْل، وهو شبهُ الغَرارَةوالغَفْلَة.ينظر: ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، 1/291،مادة(بله).

6 - ينظر: أبو جمعة المغراوي:جامع جوامع الاختصار،ص 19-18.

7 – ينظر: المرجع نفسه، ص39.

8 - أحمد بن علي الخطيب: آداب طالب الحديث، ص19.

9 - ينظر: المرجع نفسه،ص39.

البغدادي(ت463هـ) الذي تناهى إليه قول ابن عباس(ت68هـ)،رضي الله عنه،: العلمُ كثيرٌ، ولن تعيه قلُوبكم، ولكن ابتغوا أحسنه..."28[1]

ويذكر في هذا الصدد" أنّ أبا زيد الأنصاري(ت215هـ)رأى رجُلاً حسن العلم، كثير الرواية، جيّد الحفظ لِمُلَح الأخبار، لا يتمثّل إلاّ بحسَن، ولا يستشهدُ إلاّ بجيِّد، فقال:كأن والله علمُه من ظهور الدفاتر-قال المعافى بن زكريا الجريري (ت 390هـ): يريد به ظهور الدّفاتر لا يكتبُ عليها إلاّ الأَحسَن ".29[2]

وهو ما حدا بالخليفة المأمون(ت219هـ) أن يوصي بعض بنيه بقوله:"اكتُب أحسَن ما تسمع، واحفظ أحسَن ما تكتُب، وحدّث بأحسن ما تحفظ."30[3]

وقد عقد ابن خلدون(ت 808(في مقدمته فصلاً بعنوان(في أنّ كثرة التأليف في العلوم عائقة عن التحصيل)،جاءفيه:"اعلَمْ أنّهُ ممّا أضَرَّ بالنّاس في تحصيل العلمِ والوقوفِ على غاياتهِ كثرةُ التَّآليفِ واختلافُ الاصطلاحاتِ في التعليم، وتعدُّدُ طُرُقها، ثمّ مطالبَةُ المتعلِّم والتلميذ باستحضار ذلك. 31[4]

فلعلّ ابن خلدون قصد بذلك التّدريب الموزّع الذي يخضع لفترات متباعدة تتخللها فترات من الرّاحة.أما التدريب المركّز, فيتم في وقت واحد وفي دورة واحدة, وقد وجد أنه يؤدي إلى التعب والملل, ويكون عرضة للنسيان؛ وذلك لأن فترات الراحة التي تتخلل التدريب الموزّع تؤدي إلى تثبيت ما يتعلمه الفرد. 32[5]

ثالثاً: المادّة المقرّرة وكيفية تبليغها و أسلوب ذلك:

-مراعاة المقام والعُرف و الظروف المحيطة بالمتعلّمين:

المَقامُ في الاصطلاح : مجموعة الظّروف التي تحيط بالكلام، وجميع القرائن الحالية التي تصبغ الخطاب ودلالته بصبغة خاصّة. 33[6]

وهو ما سمّاه بعض المحدثين بـ "السياق الاجتماعي"39[7]أو"سياق الحال" 34[8]أو ما يعرف في علم الدلالة اليوم باسم"سياقالموقف"؛وهو ما سمّاه قدماء العرب من البلاغيين بـ:"المقام"35[9]وذكره

1 - الخطيب البغدادي، تقييد العلم:141.

2 -المرجع نفسه:141.

3 -المرجع نفسه:141.

4 -ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون،ص 528-527.

5 -عبد الرحمن العيسوي،علم النفس بين النظرية والتطبيق:198-197.

6 - ينظر:محمد محمد يونس علي، وصف اللغة العربية دلالياً في ضوء الدلالة المركزية، دراسة حول المعنى وظلال المعنى، ص102،139و شحدة فارع وآخرون:مقدمة في اللغويات المعاصرة، ، ص 184-183.

7- ينظر:محمد أحمد أبو الفرج،المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، ص121ورياض زكي قاسم،المعجم العربي بحوث في المنهج والمادة والتطبيق،ص 254 ،وأحمد عبد الرحمن حماد،عوامل التطور اللغوي ، ص157.

8 - ينظر:محمودالسعران،علماللغة،مقدمة للقارئ العربي ، ص 310-309 وعبده الراجحي،فقه اللغة في الكتب العربية، ،ص67 وأحمد عبد الرحمن حماد،عوامل التطور اللغوي، ص 156.

9 - لاحظ بعض المحدثين على القدماء في استخدامهم لمصطلح (المقام) أنّ نظرتهم إليه اتّسمت بالمعيارية ، فقضوا أن يأتي الكلام مؤكّداً للمنكر وجوباً وللمتردِّد استحساناً ، كما أوجبوا أن يأتي الكلام خُلْواً من التأكيد إذا لم يكن المخاطب منكراً ولم ينزل منزلته وهكذا. ينظر:محمد محمد يونس علي، وصف اللغة العربية دلالياً ، ص 137.

ابن خلدون باسم"بساط الحال".[1]وهو ما أكَّده ابن جنّي(قبل فيرث (Firth) حين قال بأنّ المعاني قد لا يُتوصَّل إليها إلاّ بالظروف التي أحاطت بها ؛ ومن ثمّ لا ينبغي أن يكتفي اللغوي بالسماع،بل ينبغي أن يجمع إليه الحضور والمشاهدة،أي كلّ ما يحيط بظروف الكلام. 37[2]فالتّحصيل التربوي تحكمه عدّة عوامل نفسية وأخرى اجتماعية،ترجع إلى طبيعة الفروق الفردية أوإلى طبيعة التّوجيه الذي قد يحيي الرّغبة في الدّراسة أو النّفور منها،وكلّ هذا قد يؤثّرعلى نوعيّة التّحصيل سلبا أو إيجابا.38[3]

فإن أوّل ما يلزم الطالب عند السماع أنْ يصمُت ويصغي إلى استماع ما يرويه المحدّث .وذكرهُ بسنده عن الضحّاك بن مزاحم قال:" أوّل باب من العلم: الصّمتُ، والثاني: استماعهُ، والثالث: العملُ به،والرابع نشرُه وتعليمُه. وإنْ عرض للطالب أمرٌ احتاج أنْ يذكره في محلس الحديث، وجَب عليه أنْ يخفض صوتَه لئلاّ يُفسدَ السّماع عليه أوعلى غيره. وإن لم يبلغه صوت الراوي لبعده عنه سأله ،ن يرفع صوته سؤالا لطيفا، لا سمِجا، ولا عنيفا. وليتق اعادة الاستفهام لما قد فهمه ،وسؤال التكرارلما قد سمعه وعلمه، فان ذلك يؤدي الى إضجارالشيوخ. وينبغي أن يكون مقعد الطالب من الحدث بمنزلة مقعد الصبي من المعلم .ويجب أن يقبل على المحدث بوجهه، ولا يلتفت عنه ،ولا يُسارّ أحداً في مجلسه، ولا يحكي عن غيره خلاف روايته". 39[4]

ف"إذا كان في حفظ بعض الطلبة إبطاء ، قدَموا من عرفُوا بسرعة الحفظ وجودته، حتى يحفظ لهم عن الرّاوي ، ثمّ يعيد ذلك عليهم، حتى يُتقنُوا حفظه عنه. وإنْ كتبه بعضُ الطلبة ، وذاكرَ به الباقين حتى يحفظوه جميعاً، لم يكن به بأسٌ". 40[5] لذا ثبُتَت كراهة إملال الشّيُوخ " فإذا أجاب المحّدّثُ الطالب إلى مسألته وحدَّثَه، فيجب أن يأخُذ منه العفوولا يُضجِرَهُ". 41[6]

فإذا كان المحدّث ممن يتمنّع بالرواية ،ويتعسّرفي التحديث ، فينبغي للطالب أن يلاطفه في المسألة ،ويرفق به، ويخاطبه بالسؤدد، والتفدية ، ويديم الدعاء له فإن ذلك سبيل إلى بلوغ أغراضه منه . قال الشيخ الخطيب: ومن الأدب :إذا روى المحدّث حديثا ، فعرض للطالب في خلاله شيء ، أراد السؤال عنه، أن لا يسأل عنه في تلك الحال ،بل يصبرحتّى ينهي الراوي حديثه ، ثمّ يسأل عمّا عرض له . وليتجنب الطالب سؤال المحدّث إذا كان قلبه مشغولا . ولا أن يسأله التحديث وهو قائم ، ولا هو يمشي . لأنّ لكلّ مقام مقالا ،وللحديث مواضع مخصوصة دون الطرقات ، والأماكن الدنيّة".42[7]

قال الجازولي(ت1465هـ(:ويؤدبهم على قدراجتهاده ولا حدّ فيه عند مالك إلا بقدرما يراه المعلم .قال القابسي يضربهم على كل شيء ثلاثة أسواط تحت القدم .وقال أشهب :يضربهم على الهروب من المسجد عشرة أسواط وعلى السي أن يضرب سبعة ،وعلى الحفظ ثلاثة ومحل الضرب تحت

1 - ينظر:عاطف مدكور، علم اللغة بين القديم والحديث،،ص 214.

2 - ابن جني،أبو الفتح، الخصائص، ، 1/248.

3 -عبد الرحمن العيسوي،علم النفس بين النظرية والتطبيق،ص198-197.

4 - أحمد بن علي الخطيب: آداب طالب الحديث من الجامع، ص16.

5 - المرجع نفسه، ص18.

6 - المرجع نفسه ، ص18.

7 - الخطيب: آداب طالب الحديث،ص 17.

القدم.الشيخ : ولا ينبغي للظهر وللبطن كما يفعل من لادين له قلت :وأعظم منه أن يعصر أنثييه ، أو يضربه على مراقه ، أو على مجمع عروق الذكورية فيفسد منه النسل ،وليجبه إلى الخروج لإراقة الماء وقضاء حاجة الإنسان ،ولا يسوف فيورث منه القُولُنْج او يفسد ما حواليه من مثانة وعروق إذ شبه بالنّهر عند الحكماء إذا حصر أو فسد ما حواليه.42[1]

كما لاحظ أبو جمعة المغراوي أ نّ العرف قد جرى في الأندلس في إقراء الولد القرآن في غير ما جرى به العرف في المغرب، فقال شارحاً و معقّباً:" وكانَّه جرى عُرْفُهُم كالأنْدَلُس بالقراءة في المُصْحف لا في الألْوَاح، ولا فَرْقَ بينَهُما .وأمَّا الظَّاهرُ قيل التلقين عن ظاهر قلب والله أعْلَمُ".43[2]

الخاتمة:

اشتمل كتاب "جامع جوامع التبيان" للمغراوي على معلومات مهمّة حول التعليم المكتبي الابتدائي وأساليبه،وواجبات المعلّمين والمتعلّمين في المجتمع العربي المغربي طيلة العصر الوسيط اللامع. 44[3] فلخّص آداب الطّلب والسّماع، وتقييده كتابةً، والإنفاق عليه ، واستعمال السّمت وحسن الهَدْي إزاءَه حين تصدّر مجالس العلماء بعد الإجازة، واعتماد الطريقة الجزئية ما أمكن في عرض المادة المقرّرة ، والأخذ بعين الاعتبار الظروف النفسية المحيطة للطلاّب وحاجاتهم، وظروفهم الصحّية ، ومراعاة المقام، وهو ما يتوافق مع مبدأ التعليمية العام من حيث هي " دراسة علمية لمحتويات التدريس ، وموقف التعليم والتعلّم التي يخضع لها المتعلّم ، بمعنى أنّها تدرسُ كلّ ما يتعلّق بالتعليم والتعلّم من أجل المتعلّم، فهي دراسة تصوغ نماذج ونظريات تطبيقية معيارية للوصول إلى الأهداف المرجوّة"،45[4] إذ يصعب علينا فهمها دون الرجوع إلى أصولها الأكثر تمكُّناً،و التي لم يكن الأسلاف، ومنهم الشيخ أبا جمعة المغراوي، في أمرها مقصّرين.

هذا،ولئنْ كانَ التعطُّشُ إلى دَرْك حقائق أمُور الطِّفل المتعلّم دَأْبُنا ودَيْدَنُا،فلا بُدَّ أن تنحلَّ الكتابةُ لهُ في واقعنا العربي الإسلامي عن رابطَةُ التَّقليد، ذلك أنَّه على قُرْب عَهْد سنِّ الصِّبَا لا يكونُ لصِبْيَانَ النَّصَارى نُشُوءٌ إلاَّ على التنصُّر، وصِبْيَانُ اليَهُود لا نُشُوءَ لهُم إلاَّ التهوُّد، وصِبْيَانُ المُسلمين لا نُشُوءَ لهم إلاَّ على الإسلام، فلا بُدَّ من أنْ يتحرَّك باطنُ الكبار إلى طلَب الفِطْرِة الأصلية فيما يُعلّمون ويُعدُّون ويكتبُون46[5] في أدب الطّفل وتعليمه وتربيته.وللّه درُّ البوصيري(ت 696هـ)حين يقول:47[6]

والنَّفْسُ كالطِّفْل إنْ تُهْمِلْهُ شَبَّ على حُبِّ الرِّضَاع وإنْ تَفْطِمْهُ يَنْفَطِمِ

ولله في خلقه شؤون.

---

1 - المغراوي: جامع جوامع التبيان، ص40.

2- أبو جمعة المغراوي: جامع جوامع الاختصاروالتبيان ، ص19.

3 - ينظر:أبو جمعة المغراوي: جامع جوامع التبيان،مقدمة التحقيق، ص11.

4- فوزية طيب عمارة، الدرس الساني وعلاقته بالتعليمية،مجلة كيرالا ، العدد 12/ 116,

5- ينظر في هذا الصّدد:أبو حامد الغزالي: المنقذ من الضلال،ص27-26.

6- البوصيري: قصيدة البردة،ص5.

المصادروالمراجع:

القرآن الكريم.

- أبو الفرج، محمد أحمد :المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، دار النهضة العربية، للطباعة والنشر ،ط1966،1م.

- أبو القاسم الغرناطي، محمد بن أحمد: تقريب الوصول إلى علم الأصول،دراسة وتحقيق محمد فركوس،دار التراث الإسلامي للنشر والتوزيع،حيدرة،الجزائر ،ط1، 1410هـ- 1990م.

-إبراهيم أنيس وآخرون،المعجم الوسيط، دار الفكر، بيروت، دت.

- ابن جني،أبو الفتح، الخصائص، تحقيق محمد علي النجّار،بيروت،دار الهدى للطباعة والنشر ، ط2،دت.

-ابن خلدون ،عبد الرحمن: مقدمة ابن خلدون، تحقيق درويش الجويدي، المكتبة العصرية،صيدا،بيروت،ط1416،1هـ 1996-م.

- ابن خلكان، أحمد بن محمد: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،تحقيق يوسف علي طويل و مريم قاسم طويل،دار الكتب العلمية،دط، بيروت ، لبنان، 1971م،

- ابن رجب الحنبلي، زين الدين : الفرق بين التعيير، تحقيق علي حسن علي عبد الحميد، دار الشهاب للطباعة والشر،باتنة، الجزائر،دت.

-ابن فارس ،أبو الحسين أحمد :معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون،دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، 1979م.

- ابن مالك، أمينة: ظاهرة التنغيم في البحث الصوتي بين القديم والحديث ،– مجلّة فكرية تصدر عن معهد الآداب واللغة العربية بجامعة قسنطينة، الجزائر، ، 1416هـ1995-م، العدد2.

- ابن منيع الزهري البصري: محمد بن سعد: الطبقات الكبرى، ،دار صادر ،بيروت،دت.

-ابن النديم ، محمد بن إسحاق: الفهرست، تحقيق مصطفى الشويمي، الدار التونسية للنشر، تونس، و المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1406هـ1985-م.

- باي،ماريو :علم اللغة، ترجمة وتعليق أحمد مختار عمر،ط2، القاهرة، 1983م.

-برجستراسر ، التطوّر النحوي للغة العربية ، محاضرات ألقاها في الجامعة المصرية،سنة1929م المستشرق الألماني برجستراسر، أخرجه وصححه وعلق عليه رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض، 1402هـ1982-م.

- بروكلمان ، كارل :فقه اللغات السّامية، فقه اللغات السّامية ،ترجمة عن الألمانية رمضان عبد التوّاب،جامعة عين شمس، 1397هـ- 1977م.

-البخاري، محمد بن إسماعيل : صحيح البخاري،دار السلام للنشر والتوزيع،ط1،الرياض، اللملكة العربية السعودية، 1417هـ1997-م.

- البوصيري، شرف الدين: الدرة اليتيمة المعروفة بقصيدة البردة، مطبعة البمناروكتبتها بتونس،دت.

- تمام، حسان: مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1400هـ- 1979م.

- الجواليقي،أبومنصور:المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم تحقيق أحمد محمد شاكر،مطبعة دار الكتب المصرية،ط2، 1389 هـ- 1969م.

- حماد، أحمد عبد الرحمن :عوامل التطور اللغوي، دراسة في نموّ الثّروة اللغوية ، بيروت، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1983م.

-الجاحظ ، عمرو بن بحر:

* البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،دار الجيل،بيروت،دت.

*الحيوان ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دت.

-الخطيب البغدادي، أحمدبنعلي:

*آداب طالب الحديث من الجامع ، انتقاء بكر بن عبد الله أبو زيد، دار الحجة البالغة، القبة، الجزائر، ط1، 1412 هـ - 1991 م.

*تقييد العلم،:تقييدالعلم،تحقيقى وسف العش،ط 3،دارالوعي،حلب، 1395 هـ، 1988 م.

- الراجحي، عبده :فقه اللغة في الكتب العربية، بيروت،دار النهضة العربية للطباعة والنشر،1979م.

- السيوطي، جلال الدين:بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنحاة ،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،المكتبةالعصرية،صيدا، بيروت.

- الغزالي:أبو حامد: المنقذ من الضلال،تحقيق وتعليق عبد الكريم المرّاق،المؤسسة لوطنية للكتاب،الجزائر، الدار التونسية للنشر،تونس ،1984م.

-الفيروزآبادي ،مجد الدين: القاموس المحيط، مؤسسة فن الطباعة، مصر، دت.

- براون، دوجلاس، أسس تعلّم اللغة وتعليمها، ترجمة عبده، الراجحي وعلي، أحمد شعبان، بيروت-لبنان، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،1994م.

- السعران، محمود :علم اللغة،مقدمة للقارئ العربي،بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر،دت.

- طيب عمارة، فوزية: الدرس الساني وعلاقته بالتعليمية،مجلة كيرالا، قسم اللغة العربية بجامعة كيلارا ترنفاندم،الهند ، العدد 12،جويلية، 2018م.

-العيسوي،عبدالرحمن:علم النفس بين النظرية والتطبيق،دط،دارالنهضة للطباعة والنشر، بيروت،1984م.

- فارع،شحدةوآخرون:مقدمة في اللغويات المعاصرة، عمان،داروائل للنشر والتوزيع،، ط1، 2000م.

- قاسم،رياض زكي :المعجم العربي بحوث في المنهج والمادة والتطبيق،لبنان، بيروت، دار المعرفة ، ط1 ، 1407هـ - 1987م.

- مدكور، عاطف: علم اللغة بين القديم والحديث، القاهرة،دار الثقافة ،1986م.

- المغراوي، أحمد بن أبي جمعة: جامع جوامع الاختصاروالتبيان ، فيما يعرض بين المعلمين وآباء الصبيان ،تحقيق وتعليق أحمد جلولي البدوي ورابح بونار،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر،دت.

- وطاس ،محمد: الوسائل التعليمية في عملية التعلم عامة وفي تعليم اللغة العربية للأجانب خاصة ، المؤسسة الوطنية للكتاب، د ط، الجزائر، 1988م.

- يونس علي، محمد محمد: وصف اللغة العربية دلالياً في ضوء الدلالة المركزية، دراسة حول المعنى وظلال المعنى، ليبيا،طرابلس،منشورات جامعة الفاتح، ط1 1993م.



التفسير الصوتي والصّواتي للنص القرآني سورة العصر نموذجا

د. حمادي الموقت

الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين بني ملال - خنيفرة - المغرب-

الملخص

تروم هذه الورقة تسليط الضوء على النظام الصوتي والصواتي لسورة العصر، وما تسعى فيه مخراجاته من تأكيد القوة والصرامة التي تحويها القضايا المصيرية للسورة انطلاقا من بنيتها المقطعية الصوتية والتطريزية لتبرير توجه السورة وغايتها المنهجية، ومن ثم محاولة جادة لسبر أغوارها وبعدها الإعجازي استنادا إلى النسق الصوتي نفسه وباستقلالية شبه تامة عن المكونات اللغوية الأخرى: الصرفية والنحوية والمعجمية والبلاغية...، من منطلق أن الصوت باستطاعته وحده استيعاب النص القرآني وتأويل دلالات سوره؛ انطلاقا مما تحدثه ظواهره من تأثير بَيّن على السامع في طريقة التشكيل الصوتي والإيقاع العالي. ولتفعيل هذا المسعى؛ جاءت هذه الدراسة لتبرز دور الخصائص النطقية لأصوات اللغة في توجيه المعنى القرآني: سورة العصر نموذجا، مُبَلْوِرِين فكرتها من خلال ملاحظتنا لحضور أصوات صامتة متباينة على مستوى الصفات والمخارج، لكن تباينها هذا؛ حَوَى تناغما تاما على مستوى التركيب الداخلي لمفرداتها كما توضح ذلك دَفّتَاهَا "العصر" و "الصبر"، اللتان تفصحان عن تناسقهما وتجانسهما الصرف-صوتيين وفي تحديد دلالات السورة ومعانيها الربانية الموجِّهة.

ABSTRACT

This This paper aims to shed light on the phonic and phonological system of the Surat AL-Asr,and the endeavour of its output to assert the strength and rigour of the fateful issues of the Surat,based on its sonic and prosodic structure to justify the direction and purpose of the Surat.And almost independently of the other linguistic components : morphological,grammatical,lexicon and rhetorical...From the perspective that the sound alone can absorb the Quranic text and interpret the meanings of its Surats ,based on the clear effects of its phenomena on the hearer in the sound configuration and high rhythm.In order to activate this endeavour,this study aims to highlight the role of the linguistic characteristics of the voices of the language in guiding the Quranic meaning :Al-Asr as a model,explaining its idea by observing the presence of different silent voices on the level of attributes and exits .However,this variation is completely consistent with the internal structure of its vocabulary as it is manifest in its first and last words:"Asr" and "Sabr" ,which reveal their harmony and homogeneity in their acoustic aspect and in determining the significance of the Surat and its divine guiding meanings.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾

توطئة:

سورة العصر المباركة من السور المكية القصار، يبلغ عدد آياتها ثلاثٌ (3)، وتأتي في الرتبة الثالثة بعد المائة (103) من ترتيب سور القرآن الكريم، بين سورتي التكاثر والهمزة المكيتين كذلك؛ تأكيدا على قضايا العقيدة واليوم الآخر، والبعث والحساب، والجنة والنار، والإيمان والكفر، خلافا للسور المدنية التي تركز خطابها على المسلمين والمؤمنين موجهة إياهم إلى العبادات والمعاملات وحسن الأخلاق...

في حين تجلي سورة العصر المكية موضوع الورقة "منهجا كاملا للحياة البشرية كما يريدها الإسلام، إذ تُبرز معالم التصور الإيماني بحقيقته الكبيرة الشاملة في أوضح وأدق صورة"[1]. وذلك بوضع الدستور الإسلامي كلِّه في كلماتٍ معدوداتٍ تصف حقيقة الأمة المسلمة ووظيفتها، وغايتها، ومنهجها الوحيد. لتكون بذلك قد حوت بين آياتها أعظم موعظة، وبأوجز عبارة، مُصَدَّرة بقَسَمٍ إلهي بواحد من مخلوقاته وهو "العصر" مما يوضح سبب سعادة الإنسان أو شقاوته، ونجاحه في هذه الحياة أو خسرانه[2]، إذا ما رغب في أو عن منهج الإيمان والعمل الصالح الذي سطرته السورة في قيمتي الحق والصبر.

والحق أن الاجتراء على تفسير النص القرآني، وتأكيد معانيه في منأى عن نظام لغوي متماسك تشترك فيه وحدات محكومة بمعايير وقوانين متماسكة مع بعضها بالشكل الذي لا يمكن فصل عُراها، لهو أمر محفوف بمخاطر اللحن ومجانبة الصواب، إذ لا يمكن فصل مستوى عن آخر، ذلك لأن النظام القرآني له طبيعة إلهية تعمد التنسيق والتنظيم بشكل أعجز معاصريه ولاحقيه على الإتيان بمثله. وحسبُ الذي يشفع لنا في خوض تحدي التفسير الصوتي للنموذج القرآني المطروح؛ على اعتبار أننا نرى أنه سيسعفنا في التأكيد على الوجه الإعجازي للسورة الكريمة ولآياتها، هو حديث الترغيب والحث على مدارسة النص القرآني ومحاولة تدبر دلالاته حيث قال فيه المصطفى صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو هريرة: "قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ..."[3] أما الإشكال الذي تطرحه السورة في ذاتها -ودفعنا إلى الخوض فيه- فيرتبط بخصوصيتها الإيجازية، وكفايتها اللفظية، في تلخيص حياة الإنسان وتوجيهه إلى ما ينبغي القيام به، من زاوية ما تسعى الأسئلة التالية طرحه:

هل التحليل الصوتي كفيل بفهم واستيعاب إعجازية السورة؟

وإلى أي حد يسهم البناء المقطعي للسورة على مستوى النوع والقصر والطول والتوسط والفتح والغلق في جذب السمات الإيقاعية من النبر والتنغيم وبالتالي تأكيد دلالة السورة وتزكية

1- رفيق، محمد بن أحمد، مكامن الدرر في محاور السور، دار الكتب العلمية، 2014، ص673.

2- الصابوني، صفوة التفاسير ، ج3، دار الصابوني، ص600.

3- رواه مسلم. حديث رقم : 4996.

مقصدياتها ؟

كيف يمكن للصوائت أن تكون علامة فارقة في التشكيل الدلالي والمقصدي للسورة؟

إلى غيرها من الإشكالات التي تسعى هذه الدراسة في الإجابة عنها، وبالتالي تحقيق الأهداف التي رسمنا خطوطها فيما يلي:

إبراز دور الأصوات الموظفة في سورة العصر في ترجمة المعاني والمقاصد الشرعية التي احتوت عليها السورة؛

الكشف عن السر الإعجازي للسورة استنادا إلى المكون الصوتي باعتباره أبسط المكونات اللغوية وأولاها في تشكيل الكلمات على الإطلاق؛

ربط أصوات السورة بمعاني آياتها العتاق؛

ثم أخيرا؛ إبراز دور التشكيل الصوتي في تحقيق جماليات اللفظ القرآني، وقوته، وبلاغته.

وعلى هذا؛ ارتأينا أن نعالج موضوع دراستنا، من خلال ثلاثة محاور نراها معتبرة: خصصنا أولاها للإجابة عن تساؤل: لم الاقتصار في تحليل السورة على المستوى الصوتي دون مستويات أخرى؟ على أننا سنبين في المحور الثاني الخصائص الصوتية أو الصرف-صوتية النطقية للأصوات اللغوية التي ركّبت نسق السورة الداخلي ودورَها في توجيه معانيها؛ في حين انكب المحور الثالث على دراسة البعد الصواتي للظواهر التطريزية المؤثثة للسورة بناءً على مقاطعها ونغماتها ونبراتها ووقفاتها وترددتها .... وغير ذلك مما يجلي الرؤية التفسيرية لمعاني سورة العصر.

لماذا المستوى الصوتي؟

لقد تأكد لعلماء اللغة عموما؛ و علماء الأصوات على وجه التحديد أن المرحلة الأولى لإنتاج الحرف أو المقطع هو المادة الخام والصوت النابع من الهواء الخارج من آلة الإنسان المصوِّتة، فقد جاء ذلك على لسان ابن جني عندما عرّف الصوت في كتابه"سر صناعة الإعراب" قائلا: "اعلم أن الصوت عرضٌ يخرج مع النّفَسِ مستطيلا متصلا حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطعُ تُثنيه عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطعُ أينما عُرِض له حرفا"[1]. ليفهم من نص ابن جني هذا؛ أن المقطع له دلالتان[2]: واحدة تعني مخرج الحرف؛ وثانية تعني الحرف نفسه، والحرف في رأيي أولى. إذ مِن توالي الحروف تتشكل المقاطع، ومن المقاطع تتركب الكلمات، ومن الكلمات تُبنى الجمل والعبارات. ليكون الصوت بهذا سببا رئيسا " يُظهر الكلام الملفوظ، كما يظهر الحبر الكلام المكتوب".[3]

ولما كان الالتباس حاصلا بين الصوت والحرف جاء التفريق بينهما كما عند ابن سنان الخفاجي حين قال:" فالحرف في كلام العرب يراد به حد الشيء وحدته، ومن ذلك حرف السيف إنما هو حده وناحيته... وسميت الحروف حروفا لأن الحروف حد منقطع الصوت، وقد قيل: إنها سميت بذلك لأنها جهات للكلام ونواح، كحروف الشيء وجهاته"[4]. فكان الوجود الفعلي للحرف تترجمه الكتابة،

1- ابن جني، سر صناعة الإعراب، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، و أحمد رشدي شحاتة عامر، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1، بيروت، 2000، ج1،ص19.

2- الحربي، مشعل صنت هليل، التفكير الصوتي عند الفارابي، رسالة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط، 2015، ص98.

3- بناني، محمد الصغير ، النظرية اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال "البيان والتبيين، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1994)، ص. 111.

4- الرازي ، الفخر، التفسير الكبير، ج1، ط2، دار الكتب العلمية، طهران، ص29.

أما الوجود الفعلي للصوت فيترجمه النطق.

وقد أثبتت الدراسات اللغوية أثر الصوت في يقظة النفس وفعله البالغ في بعث رؤاها وذكرياتها ، وقد أكد علماؤنا السلف أن الأصوات وإيقاعاتها أفعل في النفس من الصور والمعاني والأفكار، ف"الكلمة التي تقع في النفس الهادئة ، فتحيلها هادرة كغصة الموت، أو تقع في النفس الهادرة، فتحيلها وادعة ساكنة ، لم تكن الكلمة لتفعل ذلك إلا لأن كل صوت فيها وكأنه نفثة من نفثات السحر تفعل في الروح فعل الأعاجيب، فما بالك إن كانت الكلمات ربانية، بثها إعجازها الصوتي والنحوي، والبلاغي، والصرفي والدلالي، وإلا ما الذي سحر الوليد بن المغيرة حتى يصف النص القرآني بقسمه:" والله إن لِقوله الذي يقولُ حلاوةٌ، وإن عليه لَطلاوةٌ، وإنه لمثمرٌ أعلاهُ، مغدقٌ أسفله، وإنه ليعلو وما يُعلى، وإنه ليحطم ما تحته."[1]، وإن أردنا اختبار النص القرآني بأنفسنا وعلى المستوى الأصواتي فقط، فلنتبصر قَوْلَه تَعَالَى: ﴿ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[هود/48]. ففيه نلفي تَكْرَار حرف الميم ستّ عشْرةَ مرةً، دون أن نشعر في ذلك بشيء من العُسر عند النطق بها، ولا بشيء من الثقل عند سماعها. ولو أردنا أن نضيف إلى هذا قوله تَعَالَى: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾[المائدة/27]، لوجدنا فيه تَكْرار حرف القاف عَشْرَ مراتٍ، ولا نكاد نشعر بتوالي هذا الحرف مع شدته وقلقلته، وجهره، واستعلائه، إلا بسهولة النطق، وسلاسة الألفاظ. وصدق الله تعالى حين قال: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴾[القمر/22]. فها نحن – كما ترى في هذه الورقة- نحاول ادِّكَار بعضٍ من آياته المعجزة البليغة، من خلال سورة العصر، وبالاستناد إلى مستواها الصوتي فحسب، علنا نستنشق من عبق عطرها ما يفتح علينا أبواب الفهم والمعرفة المكنونة في سطورها.

البنية الداخلية للوحدات الصوتية في السورة وخصائصها النطقية

بناءً على نظرية هالي (1973) في تكوين الجذور في اللغات الطبيعية[2]، والصيغ الصرفية، والجذوع، الذي اقترح فيها مكونا صرافيا مستقلا في إطار النظرية المعجمية ، يَعتبر هالي أن الصرفيات وحدات أساسية في المعجم يتم التمثيل لها بمتوالية من القطعات الصواتية التي تخصص بتقويسات معنونة بالنظر إلى بعض الخصائص النحوية، أما الكلمات التي لا يمكن التعبير عنها بواسطة سيرورات مطردة فتمنع "المصفاة" التي تشكل المكون الأخير في النموذج الصرافي توليدها، حيث تقوم بتصفية الكلمات الشاذة. و قد ميز هالي بين نوعين من قواعد تكوين الكلمة:

قواعد تنطبق على الجذوع: و تشكل متوالية خطية و يمكنها أن تتوفر على بنية داخلية؛

وقواعد تنطبق على الكلمات: تقوم على إعادة الكتابة وذلك بإلحاق بعض الخاصيات بالكلمات المشتقة، و ذلك حين تتميز بخصائص تركيبية و دلالية مختلفة عن الكلمات التي اشتقت منها.

هذه القواعد تعمل بالطريقة نفسها في الصرافة الاشتقاقية، و الصرافة التصريفية و هي أقوى من القواعد الصواتية لأنها تعمل في جميع مراحل الاشتقاق بما فيها المعجم و خرج المكون الصواتي.

1- رواه الحاكم وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

2- تتساوق هذه النظرية مع نظرية الصرف الموزع التي تعتبر أن الصياغة الصرفية ليست ثابتة في المعجم كجذور، وإنما تظل موزعة بين مكونات النحو. 1993) (M. Halle and A. Marantz: Distributed Morphology and the Pieces of Inflection.

وإذا كان المعجم يتوقف على الصرفيات و قواعد تكوين الكلمة و مصفاة الشذوذ، فهذا لا يؤدي بالضرورة إلى افتراض أن هذه الأجهزة تشتغل بشكل دائم في كل إنجازلغوي، بل إن جزءا كبيرا من المعجم يوجد مخزونا في ذاكرة المتكلم و لا يستعمل قواعد تكوين الكلمة إلا عند سماعه لكلمة غير متداولة.

وفي سياق هذا الاشتقاق؛ نحاول اللحظة التوقف مع الكيفية التي تَمّ بها تحديد البنية الداخلية للوحدات اللغوية في المكون الصِّرافي لسورة العصر استنادا إلى قواعد تكوين الكلمة، ويقتضي الأمر مجموعة من المراحل نوردها في القيود التالية:

تكوين جذور لا تخرق قيود التأليف[1]

العصر = ع ص ر√

الإنسان = ن س ي√

خسر = خ س ر√

آمنوا= أ م ن√

عملوا = ع م ل√

الصالحات = ص ل ح√

تواصوا= و صَ ى√

الحق= ح ق ي√

الصبر= ص ب ر√

تكوين صيغ صرفية:

العصر = / ف ـِ ع ل/

الإنسان = /إ ف ع ـِ ا ل/

خسر = / ف ـِ ع ل/

آمنوا= /ف ـَ ا ع ـِ ل ـُ و ا/

عملوا = /ف ـِ ع ـِ ل ـُ وا/

الصالحات = /ف ـَ ا ع ـِ ل ـَ ا ت/

تواصوا= / ت ـَ ف ـَ ا ع ل/

الحق= /ف ـَ ع /

الصبر= /ف ـَ ع ل/

تكوين الجذوع بإفراغ الجذور في الصيغ الصرفية:

أمكننا بعد هذا التقعيد أن نحدد جذوع المعطيات الواردة أعلاه كما يلي:

العصر = / ع -ـَـ ص - ر/

الإنسان = /إ -ـِ ن - س -ـَ- ا - ن/

خسر = / خ-ـِ س ر/

1- مبدأ حظر تجاور المثلين المطلقين. أي منع التأليف بين صامتين مثلين في الجذر نفسه(ليبن 1973، وماكارثي 1979)، وابن دريد في الجمهرة 1/46.

آمنوا= /ء-ِــ ا- م-ـِ ن ـُـ و- ا/

عملوا = /ع - ـِ- م ــِـ ل ـُ- وا/

الصالحات = /ص ص-ِا- ل-ـِ ح--ِا ت/

تواصوا= / ت-ـِو-ـِا-ص-ـِوا/

الحق= /ح-ـِ ق ق/

الصبر= /ص ص-ـِ ب ر/

الخصائص الصوتية النطقية لصوامت السورة

استهل الله عزوجل سورة العصر بأسلوب القسم ﴿والعصر﴾ فكان المقسِم هو الله سبحانه وتعالى لأنه الأنا المتحدثة في لحظة إنزال النص. وابتداؤه بهذا القسم الإلهي هدفه تعظيم المقسَم به ولفت الانتباه إلى إشاراته وإيحاءاته، ومن ثمّ دفع الشك والريب اللذان قد يخالطا قلب الإنسان سواء المؤمن منه أم الكافر، ذلك أن الخطاب موجه للإنسان، وهو ما ينسجم مع مبدأ السور المكية التي كانت تركز في بداية الدعوة على العقيدة والتوحيد وبالتالي على الإنسان من كونه إنسان بغض النظر عن معتقده ودينه. ليأتي التأكيد على المقسَم به في قوله تعالى ﴿إنّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ بمؤكدين اثنين على مذهب البلاغيين حين يُنكِر المخاطَب الخبر ، والمؤكدان هما: الأداة ﴿إنّ﴾ وصوت اللام في عبارة ﴿لفي﴾ ليستثني الله تعالى من قسمه وتأكيده هذين: المؤمنينَ الذين يعملون الصالحات ويتواصون بالحق ويتواصون بالصبر، في إشارة بليغة إلى أن الإنسان الحقيقي هو المؤمن الذي يدخل في زمرة من عمل عملا صالحا ودعا إلى الحق والصبر، بل كانت حياته كلَّها مُعطرة بمسك الأعمال الصالحة، و مُسَيَّجَة بقيمتي الحق والصبر. فكان الإيمان والعمل الصالح و قيمتا الحق والصبر – وفق هذا- ما يميز إنسانية الإنسان، ولا شيء غير ذلك.

وتماشيا مع هذا السياق الرباني، وفي تناغم تام مع دلالته؛ تنجلي - وبشكل بليغ مُعجِر- أدوار الأصوات اللغوية في السورة وما تحويه من سمات الضعف والقوة، والشدة والتوسط، والجهر والهمس، والاستعلاء والاستفال... كما بين الحاء والقاف في ﴿الحق﴾ ، حيث صوت الحاء المهموس المستفل الضعيف وكأنه يعبر عن غرابته وضعفه في المنطلق، ثم يتدرج في الإبانة والظهور والعلو الذي تعبر عنه سمات صوت القاف القويّ الوقفيّ، بل وتقفية وحدته اللفظية على ما هو وقفيٌّ بالذات أي صوت وقفي؛ يحمل في ثناياه ملحظا رمزيا رهيبا، مفاده الأمر الرباني بضرورة الوقوف عند معنى الحق والعمل به دون مُواربة كقيمة محمودة مرغوبة، وكونه مجهورا لأنه كما يقول علماء الأصوات "حرف أُشبع الاعتماد من موضعه، ومُنِع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد، ويجري الصوت"[1]، ثم إنه –فضلا عن ذلك- شديدٌ لمنعه:" الصوتَ من أن يجري فيه"[2]، كما يمنع الحقُّ شكوك الباطل من أن تجري فيه تماما بتمام. في حين تبدو أصوات الصاد والباء والراء في ملفوظ ﴿الصبر﴾ متباينة على مستوى سماتها الصوتية، بين الاحتكاك والاستعلاء والهمس والصفير كما في الصاد، والشدة والانفجار والجهر والاستفال كما في الباء، ثم الاحتكاك والجهر

1- ابن جني، سر صناعة الإعراب، تحقيق محمد حسن إسماعيل، وأحمد عامر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2007، ج1، ص75.

2- نفسه ، 1/75.

والتكرار كما في الراء، وهذا بتباين الأجناس البشرية في تقبلهم وتفاعلهم مع قيمة الصبر ودرجته، على عكس مخارجها المتقاربة التي تمثلت في: أسلة اللسان، والشفتين، وذلق اللسان على التوالي، كثلاثية تكفي للتوكيد على وجوب اعتياد اللسان البشري ذِكرَ الصبر مع ترطب الشفتين به، كقيمة مرغوب فيها إلى جانب الحق، بل ولعل ما يرمز إلى ذلك تكرار ويؤكد عليه صوت الراء نفسُه الذي يقفو اللفظة، ويسير بها نحو مسارات إثبات الإيمان والربح للعبد إنْ عمل به وبالحق معا: أي وقفا مع الحق حتى لا يظهر الباطل عليه، وتكرارا للصبر حتى لا يتسرب الجزع فيه نفسه.

ولو تأملنا – أكثر- السمات الصوتية للأصوات الصامتة كلِّها؛ تلك التي تدخل ضمن النسيج الداخلي لتركيب السورة نلفي أنها تتوزع على 17 صوتا صامتا هي :(و، ل، ع، ص، ر، ء، ن، س، ف، ي، خ، ذ، م، ح، ت، ب، ق) اتسمت أولاها المكونة لكلمة ﴿والعصر﴾: (و،ل،ع،ص،ر) بالجهر والاحتكاك والقوة وهذا تناغم تام مع مقام القسم بالعصر الذي يمتح قوته وصرامته من قضية الخسران التي نبه الله تعالى خلقه إليها في حالة ما إذا لم يُعمل بأمر الإيمان والعمل الصالح والتواصي بقيمتي الحق والصبر :

أما الأصوات التي نسجت قوله تعالى: ﴿إنّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾، فليست بمنأى عن موضوع السورة، أو صلب وسائل التعبير فيها. ذلك أن أغلبها تفرد بسمة الضعف المتجلية في الرخاوة والهمس والاستفال ثم الاحتكاك ، وكل هذا يصب في سعي الإنسان الحثيث من أجل الخروج من دائرة الهوان والخسران، التي حشر نفسه فيها ظلما وجهلا منذ أن قبل بتحمل الأمانة التي أبت السماوات والأرض والجبال حملها كما صرح بذلك الله عز وجل في سورة الأحزاب بقوله: ﴿إنّا عَرَضنا الأمَانة عَلى السّماواتِ والأرض والجِبال فأَبَيْنَ أنْ يَحْملنها وأشْفَقْنَ مِنها وحَمَلها الإنَسَان إنه كانَ ظلُوماً جَهُولاً﴾، الأحزاب/72.

والقصد في هذا؛ أن دائرة خُسر الإنسان محاطة بمؤكدين لفظيين اثنين، من جهة، وبصوت ضعيف تمركز في قلب لفظتي "الإنسان" و"الخسر"، هو صوت السين –كما أسلفنا- من جهة ثانية، باعتباره صوتا مهموسا"يضعف الاعتماد عليه عند خروجه مع النفس"[1] فضلا عن أنه لا يمنع الصوت أن يجري فيه، [2]ناهيك عن كون دلالة الخسران مستمرة ومتكررة بتكرار صوت الراء الذي أقفلَ اللفظة، والنون ليس ببعيد عن تواضع هذا الواقع سواء على مستوى استفاله أو انفتاحه أو توسطه.

لكن لا شك أن هناك استثناءً صوتيا، ينبثق من دنيا ربانية جديدة، محله الذين صدّقوا الله ووحَّدوه، وآمنوا به وأطاعوه، وعملوا الصالحات، وأدّوا ما لزمهم من فرائض، واجتنبوا ما نهاهم عنه من معاصي[3]، فهؤلاء يمثلهم جنس الإنسان بصيغة الجمع لا بصيغة المفرد. فأصوات الذال ، واللام، والنون، والميم، والعين، والصاد، والحاء، والتاء كلها تتماشى و سياق آية الاستثناء التي قال فيها تعالى: ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾، ؛ وبالتالي

1- انظر، القيسي، الرعاية لتجويد القراءة، تحقيق أحمد حسن فرحات، دار عمار، ط3، 1996، ص116. والخفاجي، ابن سنان، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1982، ص30.

2- نفسه، ص30.

3- راجع تفسير الطبري.

سياق السورة كلها، من باب أن الأصوات –كما يعتقد جون فيرث زعيم النظرية السياقية- هي من أجدى المستويات اللغوية وأشدها تأثيرا في معنى السياق الدلالي للنص[1]، بل ويرى أن النظام الصوتي في أي لغة يتكون من مجموعة نُظم من الاختيارات التبادلية ومن المعنى، لأن هناك تلازما ما بين الصوت والمعنى، فكل اختيار لصوتٍ ماهو إلا اختيار لمعنًى.[2]

ولعل شيئا من هذا؛ دفع الجرجاني قبله، إلى التمييز بين نظم الحروف ونظم الكلم "ذلك أن نظم الحروف-كما يقول- هو توالها في النطق، وليس نظمها بمقتضى عن معنى، ولا الناظم لها بمقتفٍ في ذلك رسما من العقل اقتضى أن يتحرى في نظمه لها ما تحراه. فلو أن واضع اللغة كان قد قال(ربض) مكان (ضرب) لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد. وأما نظم الكلم فليس الأمر فيه كذلك، لأنك تقتفي في نظمها آثار المعاني، وترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس. فهو إذن نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض، وليس هو النظم الذي معناه ضم الشيء إلى الشيء كيف جاء واتفق"[3] فالحرف-وفق هذا- لا يحقق دلالة إلا مضمومًا لبقية حروف الكلمة بطريقة مخصوصة؛ من ذلك عدم الجمع بين حروف متقاربة في المخرج لئلا يحدث الثقل والتنافر لأن العربية لغة تجانس وخفة[4].

1- تومي، غنيمة، السياق اللغوي في الدرس اللساني الحديث، مجلة المخبر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، العدد6، 2010، ص4.

2- نفسه، ص4.

3- الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، ط 5،القاهرة: مكتبة الخانجي، 2004، ص. 4

4- النوي، مليكة، الإعجاز الصوتي في سورة الفاتحة، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، ع23، 2010، جامعة باتنة، الجزائر، ص120.

و /
+ مجهور
-احتكاكي
+طبقي
- مقطعي
+رنيني
-أمامي

ل /
+ مجهور
+أنفي
+غاري
+رنيني
+أمامي

ع /
+ مجهور
+احتكاكي
+حلقي
-مقطعي
- رنيني
- أمامي

ص /
-مجهور
+صفيري
+احتكاكي
+أمامي
+أسلي

ر /
+مجهور
+تكراري
+احتكاكي
+منفتح
+ذلقي

ء /
+ مجهور
+حلقي
-أمامي
-احتكاكي
- رنيني

ن /
+مجهور
+أنفي
+ذلقي
+أمامي
+احتكاكي

س /
-مجهور
+أسلي
-مستعلي
+صفيري
+أمامي

ف /
-مجهور
+احتكاكي
+شفوي أسناني
-مقطعي
-رنيني
+أمامي

ي /
+مجهور
+شجري
+ جوفي
-أمامي
+احتكاكي

ح /
-مجهور
+احتكاكي
+حلقي
-مقطعي
-رنيني
-أمامي

ق /
+مجهور
+لهوي
-احتكاكي
-أمامي
+مستعل

ص /
-مجهور
+صفيري
+احتكاكي
+أمامي
+أسلي

ب /
+ مجهور
+شفوي
-احتكاكي
+أمامي
-مستعل

ر /
+مجهور
+تكراري
+احتكاكي
+منفتح
+ذلقي

ذ /
+مجهور
+وقفي
+لثوي
-رنيني
+أمامي

م /
+مجهور
-وقفي
+أنفي
+مقطعي
+رنيني
+أمامي

ح /
-مجهور
+احتكاكي
+حلقي
-مقطعي
-رنيني
-أمامي

ت /
-مجهور
-احتكاكي
+أسناني لثوي
-مقطعي
--أمامي
+تاجي

خ /
-مجهور
+حلقي
+ مستعل
+ منفتح
+احتكاكي

ل /
+ مجهور
+أنفي
+غاري
+رنيني
+أمامي

ر /
+مجهور
+تكراري
+احتكاكي
+منفتح
+ذلقي

ولعل جو الخفة والتجانس والتواضع هذا؛ هو ما سيطر على مضمون آية الاستثناء المذكورة؛ وسيطر على مختلف أصواتها في مقدمتها أصوات اللام(9مرات) والصاد (5 مرات) والميم (مرتان) والنون(مرتان)، الحاملة لدلالة التقدير والإجلال من خلال توسطها، لأن المقام مقام التضرع والخشية، والإيمان والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿وخشَعَتِ الأَصوَات للرّحْمَن فلا تَسْمَع إلا هَمْسا﴾. طه/108. ولأنه قول حق، ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ فصلت/42. نستجمع المعطيات الصوتية أعلاه، تلك التي آمنا بدورها في نسج البنية الصوتية

والنطقية لسورة العصر؛ ونختزلها أربع وحدات معجمية / صريفات نراها قد تربعت على عرش السورة ومحوريتها هي: (عصر) و(خُسر) و(حق) و(صبر) وقد جردناها من أداة تعريفها (ال) ليتضح لنا جليا مدى التجانس الصوتي الذي ميزها، سواء على مستوى صيغها الصرفية الموحدة، (فـ ِع ل) أم على مستوى توافق أعداد صوامتها وتقابل صفاتها في تأكيد تام للضعف والانكسار والخسر الذي يعتري الإنسان في عصره مالم يعتصم بحبل الحق والصبر والعمل الصالح، وهكذا كانت:

4 أصوات مهموسة (ص / خ / س / ح) في مقابل 4 مجهورة (ر/ق/ب/ ع)؛

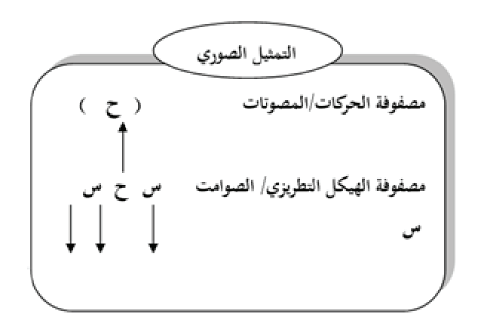
و 3 مستعلية (ص/خ/ع) في مقابل 5 مستفلة (ص/ر/ق/س/ع)؛

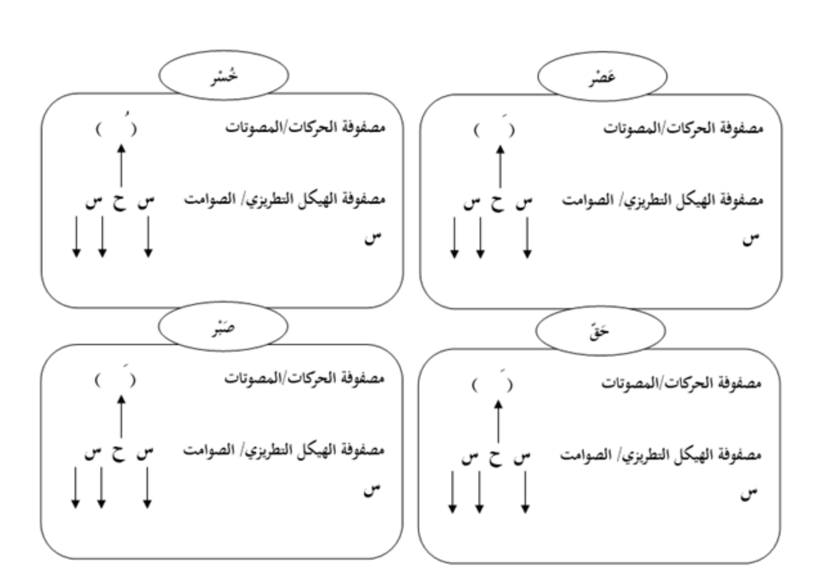
و 2 شديدة (ق/ب) في مقابل 6 بين الرخوة والمتوسطة (ر/ص/خ/ع/ ح/س)؛

و 3 مفخمة (ص/خ/ق) في مقابل 5مرققة (ر/ع/ح/س/ب)؛

و1مطبق (ص) في مقابل 7 منفتحة (ب/ر/ح/ع/ق/س/خ).

بل ولهذه الوحدات المعجمية بنية تمثيلية صورية واحدة فضلا عن ذلك؛ هي (س ح س س // ص صا ص ص) وفق ما تقول به نظرية الصواتة المستقلة القطع والنظرية التطريزية (كولدسميت 1976، ماكارتي 1979و1981، شاين 1986...)، تلك التي نرسمها على الشكل التالي:





4- بنية المصوتات / الحركات في السورة

مما درج على ألسنة علماء اللغة المحدثين قولهم واقتناعهم بأن الدرس اللغوي القديم لم يفرد مباحث بعينها لما يعرف بالحركات[1] قديما أو المصوتات والصوائت حديثا (القصيرة والطويلة)، وأنهم "لم يمنحوها اهتماما يعدل أهميتها ووظيفتها في البناء اللغوي، وبخاصة فيما يتعلق بالحركات القصيرة:[ـَ ـِ ـُ]"[2]. ولعل المشهور الذي أسس لهذه القضية؛ ووضع لبنتها الأولى بحسه الصوتي، وحرصه اللغوي ما رواه ابن النديم في فهرسه[3] عن أبي الأسود الدؤلي (69هـ)، حين خاطب كاتبه لحظة بدء وضع الحركات مع الحروف قائلا: «إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فضع نقطة فوقه إلى أعلاه ،وإذا كسرت فاجعل النقطة من تحت الحرف، وإذا ضممت فاجعل النقطة بين يدي الحرف وإن أتبعت شيئا من ذلك غنة فاجعل النقطة نقطتين أي تنوينا». ولعل هذا التوصيف دشن لعهد جديد في الدراسات اللغوية القديمة ، توالت معه النظريات والرؤى الصوتية في فهم دلالة الحركات ووظائفها حين تتساوق مع الحروف. ففتحُ الفم وكسرُه وضمُّه عند النطق بالحروف المتشاكلة من شأنه أن يمنح المنطوق تلويناتٍ موسيقيةً بحسب درجة الفتح أو الكسر أو الضم، فالأمر يتعلق ههنا بقيم إيقاعية أو تطريزية مرتبطة بالطول و القوة و العلو و التردد...وبناء على مثل هذا النظر؛ اعتبر ابن جني الحركات أبعاض حروف المد واللين حين قال:" اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين، وهي الألف والياء والواو، فكما أن هذه الحروف ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاث، وهي الفتحة، والكسرة، والضمة، فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو، وقد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة، والضمة الواو الصغيرة، وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة [4]، وما يميز حروف المد عن الحركات هو الاتساع والوضوح، فمتى وسّعْتَ واحدة منها حصلت على الصوت الذي هي بعضه، وهذه في الحقيقة إشارة مهمة إلى عبقرية هؤلاء ووعيهم بالعلاقة بين الصوائت وأشباه الصوائت،"فالفرق الأساس إذن، ما هو إلا فرق في المدة والكمية، ومع هذا فهناك فرق في الكيفية أيضا، إلا أنه فرق ثانوي بين المجموعتين". [5]وحريّ بهذا؛ أن ينتج عنه تباين على مستوى النغمات ودرجاتها وتأثيراتها على ما يجاورها من الأصوات.

ومن أوائل المعاصرين الذين عنوا بالحركات)الصوائت(بالشكل الدقيق حسب كمال بشر، نجد دانيال جونز الذي بدأ عمله بالنظر إلى عضوين مهمين في تكوين الصوائت، وهما: الشفتان واللسان باعتبارهما العضوان المتدخلان في تعديل شكل مجرى الهواء الصاعد من الرئتين. وقد نظر إلى اللسان باعتبار علاقته بالحنك الأعلى من حيث الارتفاع والانخفاض، ثم تحديد الجزء الذي يحدث فيه الارتفاع والانخفاض من اللسان، كما نظر إلى الشفتين من حيث ضمهما وانفراجهما، ومن حيث استقرارهما في وضع محايد. فاستطاع من خلال هذه النظرية الوصول إلى ثماني حركات

1- رمضان، عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي ، القاهرة، ط3، 1997 ،صص91 107-.
2- بشر، كمال، علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع-القاهرة 2000 ، ص219.
3- ابن النديم، الفهرست، ج1، ص59. / وانظر كمال بشر في علم الأصوات ص 220.
4- ابن جني، سر صناعة الإعراب، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة1، 2000، ص: 21
5- الغامدي، منصور بن محمد، الصوتيات العربية، مكتبة التوبة-الرياض المملكة العربية السعودية، الطبع الأولى 2001 ، ص126.

معيارية باعتبارها حركات واضحة ومحددة هي: -o-ɔ-a-α- ɛ- e -i u ، كما أن هناك بجانبها حركات غامضة ك ə : ، على سبيل المثال[1] ، وقد أورد كمال بشر هذه الحركات وأشار لكل منها بمثال في الفرنسية لمعرفتها ومعرفة كيفية نطقها [2]:

si..) الكسرة العربية المرققة)قصيرة أو طويلة :i

thê..) الكسرة العربية المفخمة)قصيرة أو طويلة :e

méme....................) الفتحة الممالة)ومرساها :مجراها القرآنية القراءات في بعض :ɛ

la..) الفتحة العربية المرققة)قصيرة أو طويلة :a

pαs.. الفتحة المفخمة :α

sonne... الضمة: نحو "صم" :ɔ

rose.. الضمة المفخمة :O

gut... الضمة العربية المرققة :U

وذهب إبراهيم أنيس إلى أن العربية تستعمل ستة من هذه الصوائت وهي [3]:

a : - الفتحة العربية ؛

α : - تأثر الفتحة بأصوات التفخيم؛

u : - الضمة العربية؛

e : - الإمالة الشديدة؛

ɛ: - الإمالة الخفيفة؛

i: - الكسرة.

وإذا كنا نسلم بأن الأوتار الصوتية تُحدث سمتين رئيستين في الصوت هما: الجهر بالاهتزاز، والهمس

بدونه، ووضع مؤخرة اللسان يُحدث تفخيما بارتفاعها، أو ترقيقا بانخفاضها...فمن شأن هذا أن يحدث تبعا لذلك؛ تغييرا وتباينا أكثر بفعل تدخل المصوتات القصيرة والطويلة باعتبارها مكونات صواتية لها وظيفة تغيير المعنى في بنية التركيب الصوتي، وفي تشكيل نواة المقطع. إذ ترتبط بالمصوت على الأغلب سمات المقطع من الغلق والانفتاح والطول والقصر، إلى جانب القوة والضعف، وينماز المصوت داخل بنية التشكيل المقطعي بأنه يجذب النبر والنغمة والطول. فالمصوتات الداخلة في بنية التشكيل الصوتي لآيات سورة العصر أسهمت في إبراز الإيقاع التناغمي للنص القرآني[4]، بهيمنة المصوت القصير: الفتحة[a]=[+عالي] ، ب23 مرة، في مقابل 13 مرة للكسرة [i]=[+خلفي]، و3 مرات للضمة [u]=[+مستدار]، وهي هيمنة تناغمت مع هيمنة المصوت الطويل وعلوه: الألف [ä] بسبع مرات على حساب المصوتين الطويلين الواو[ü] والياء [ï] بمرتين اثنين فقط . وعليه؛ فمدى الفتحة تراوح بين 100 و150 م/ث، بينما مدى الألف تراوح بين 220 و350 م/ث. فكان لتكرار

1- كمال بشر، علم الأصوات، م س، ص225/226.

2- نفسه، ص 229/230.

3- أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، مكتبة نهضة مصر، (د ت) صص40-44.

4- استيتية، سمير، الأصوات اللغوية: رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية، داروائل للنشر، الأردن، 2002، ص247.

المصوت الطويل: الألف [ā] أثر كبير في تحقيق هذا التناغم الإيقاعي المعجز في السورة بحيث تردد أغلبه في سياق الآية الثالثة والأخيرة من السورة، وهو سياق يحاول بإيمانياته ودعوته إلى العمل الصالح، أن يفتح آفاقا رحبة وسعيدة للعبد، من خلال دعوته إياه إلى الالتزام بقيمتي الحق والصبر دون كلل أو ملل. أما تكرار المصوت القصير: الفتحة [23] [a مرة) في الآيات فكان له بالغ التأثير في تكثيف النسيج الصوتي بالآيات، وإبراز الوحدات الإيقاعية بالقياس مع المصوتين الآخرين، مما يوحي بدرجة انفتاح وعلو ووضوح الرسالة التي أرادها الله تعالى من عباده في السورة، وهي تنبيهه تعالى عبادَه بالخسران الذي قد يعترض طريقهم، مقسما على ذلك بالعصر، إذا ما آمنوا وعملوا الصالحات.

البنية المقطعية للسورة :

بين التحليل الصوتي الذي طوره عن المدرسة البنيوية كل من شومسكي وهال في كتابهما:"النسق الصوتي للغة الإنجليزية" عام 1968، والتحليل التطريزي/العروضي الذي نادت به مدرسة لندن بزعامة فيرث Firth ؛ فإن نظرية السمات المميزة تبقى إحدى أهم النظريات التحليلية والثابتة في الدراسات اللسانية، نظرا للأهمية البالغة التي يحملها مفهوم السمة المميزة في فهم تقلبات النظرية اللغوية في القرن 21. وعليه؛ يكون مفهوم السمة المميزة المقرر الوحيد لنوع الصياغة التي تتجلى في طبيعة التعاقب الفونيمي/الصوتي في الكلمات حتى لا تكون نشازا نغميا يؤثر على دلالتها وتركيبها.

والتركيب يضم بحسب فيرث سمة إيقاعية واحدة أو أكثر، قد تمتد على مجمل التركيب، أو على الجزء الأكبر أو كانت محددة فيه موقعيا، أي على موقع واحد أو أكثر، أو كلمة واحدة وربما امتد إلى التركيب أو القول بأكمله وهي تشمل النبر (stress)، والتنغيم (Intonation)، والنغمة(Tone)، والمفصل(Juncture)، والطول(Length)، وبعض السمات الثانوية كالتأنيف(Nasalization)، والتشفية (Bilabilization)، والتحليق(Phyrangalizatin)، والتغوير(Palatalization)[1]. ولعل إدراكنا لهذه السمات الإيقاعية يتحقق بمدى قوة التجاور الكائنة بين الجزيئات من حيث اتسامُها بالطول والتردد والشدة على مستوى سماتها الأكوستيكية، أو موضع النطق على مستوى مخارجها، أو أسلوب النطق المتمثل في ثلاثية: الإغلاق والتضييق والتعديل، أو هيئة اللسان المنحازة إلى عمليتي: الانخفاض والاستعلاء، أو سمات النوع واهتزاز الوترين الصوتيين في مدى إحداث الجهر و الهمس، وأخيرا في هيئة الشفتين من حيث النظر في استدارتها من عدمه...

و دراسة الإيقاع الصوتي - وفي السور المكية القصار على وجه التحديد- غالبا ما يقتضي معرفة بنية التشكيل المقطعي، ولا يتأتى ذلك إلا من خلال معرفة المقاطع وأنواعها وعددها من حيث الفتح والإغلاق، وكيفية توظيفها على مستوى القوة والضعف، إلى جانب معرفة طبيعة الأصوات داخل بنية الكلمة والتركيب النحوي، وكيفية تساوقه مع الإيقاع النفسي[2]. وأهمية ذلك في جذب السمات الإيقاعية من النبر، والطول، والنغمة...الكائنة داخل المقطع ذاته على مستوى تجمع الصوامت

1- كورديا، أحمد حسن صالح، النظام الصوتي التوليدي في السور المكية القصار، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2012، ص23.

2- البرسيم، قاسم، منهج النقد الصوتي في الخطاب الشعري، ص38، نقلا عن كورديا، أحمد حسن صالح، النظام الصوتي التوليدي في السور المكية القصار، ص27.

والمصوتات. و"ليس يخفى أن مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي، وأن هذا الانفعال بطبيعته إنما هو سبب في تنويع الصوت بما يخرجه فيه مدا أو غنّة، أولينا أو شدة، وبما يهئ له من الحركات المختلفة في اضطرابه وتتابعه على مقادير تناسب ما في النفس من أصولها؛ ثم هو يجعل الصوت إلى الإيجاز والاجتماع؛ أو الإطناب والبسط؛ بمقدار ما يكسبه من الحدة والارتفاع والاهتزاز وبعد المدى ونحوهما مما هو بلاغة الصوت في لغة الموسيقى".[1]

ولا يخفى على حاذق - في هذا السياق- ما للإيقاع من صلة وثيقة بمسألة الجمال الصوتي ، وهذا الجمال يؤدي إلى سرعة دخول المعنى إلى القلب، لأن الأذن تلتذه وترتاح إليه[2]، لذلك يقول ابن القيم :"إن التذاذ الأذن بالصوت الطيب كالتذاذ العين بالمنظر الحسن، والشم بالروائح الطيبة، والفم بالطعوم الطيبة"[3]، وبناء على ذلك فإن الإيقاع في القرآن الكريم جعله الله عز وجل أداة للتمكين والتأثير قصد الاستجابة والإذعان وهو بهذا آل إيقاعا قرآنيا في رصف أصواته وترتيب كلماته وبديع نظامه[4]. كما أنها الميزة التي جعلت منه خطابا يتعالى على التبديل والتغيير، ويحمل في ثناياه شفرات المعاني ومفاتيح الدلالات، إلى درجة تمنحه خاصية التأثير في نفوس مستمعيه[5].

وقبل أن نسترسل في تحليل هذه الأصوات وإبراز مكانتها الصوتية، دعونا نعود من بداية السورة نستحضر بنية تشكيلها الصوتي للمقاطع:

فالآية الأولى ﴿ والعَصْرِ إنّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ(1)﴾ تتألف من اثني عشر (12) مقطعا:

24	2 3	2 2	2 1	20	1 9	18	1 7	16	1 5	14	13
لْ ـصَ	م ـِ	ع ـَ	وـَ	نـّ	م ـَ	ءـَ	ن ـَ	ذـِ	ل ـَ	لـَ لْ	إِـ لْ
ص صا ص	ص صا	ص صا	ص صا	ص صا صا	ص صا	ص صا صا	ص صا	ص صا صا	ص صا	ص صا ص	ص صا ص

أما الآية الثانية ﴿ إلّا الذِينَ آمنُوا وعَمِلُوا الصّالحَات وتواصَوا بالحَقّ(2)﴾ فتتألف من ثلاثة وعشرين(23) مقطعا:

1- الرافعي مصطفى صادق ، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، بيروت: دار الكتاب العربي، 1995، ص216-215.

2- القرفي، حسن، حركية الإيقاع في الشعر العربي المعاصر، ص95-94، نقلا كورديا، أحمد حسن صالح، النظام الصوتي التوليدي في السور المكية القصار، ص26.

3- قاسم، خالد، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، ص138، نقلا عن كورديا، أحمد حسن صالح، النظام الصوتي التوليدي في السور المكية القصار، ص26.

4- حرير، محمد، البنية الإيقاعية وجمالياتها في القرآن، ص 1، نقلا كورديا، أحمد حسن صالح، النظام الصوتي التوليدي في السور المكية القصار، ص26.

5- قاسم، خالد، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، ص138 ، نقلا كورديا، أحمد حسن صالح، النظام الصوتي التوليدي في السور المكية القصار، ص26.

12	11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1
رِ نْ	خَ سْ	فِ ـِـ	ل ـَـ	ن ـَـ	س ـّـَ	إِ نْ	نَ لْ	إِ نْ	رِ	عَ صْ	وَ لْ
ص صا ص	ص صا ص	ص صا صا	ص صا	ص صا	ص صا صا	ص صا ص	ص صا ص	ص صا ص	ص صا	ص صا ص	ص صا ص

3 5	34	33	32	31	30	29	2 8	27	26	25
ق ـِ	حَ قْ	بِ لْ	صَ وْ	وّ	تَ	وَ	ت ـِ	حّ	لِ	صّ
ص صا	ص صا ص	ص صا ص	ص صا ص	ص صا صا	ص صا	ص صا	ص صا	ص صا صا	ص صا	ص صا صا

3 5	34	33	32	31	30	29	2 8	27	26	25
ق ـِ	حَ قْ	بِ لْ	صَ وْ	وّ	تَ	وَ	ت ـِ	حّ	لِ	صّ
ص صا	ص صا ص	ص صا ص	ص صا ص	ص صا صا	ص صا	ص صا	ص صا	ص صا صا	ص صا	ص صا صا

في حين نجد الآية الثالثة والأخيرة ﴿ وتَواصَوا بالصّبر(3)﴾ تتألف من سبعة (7) مقاطع فقط:

42	41	40	39	38	37	36
رِ	ص ـَـبْ	بِ صْ	ص ـَـوْ	وّ	تَ	وَ
ص صا	ص صا ص	ص صا ص	ص صا ص	ص صا صا	ص صا	ص صا

بمجموع اثنين وأربعين (42) مقطعا، تتوزع في تناغم تام مع الآيات الثلاثة إلى ثلاثة نماذج مقطعية هي:

17 مقطعا قصيرا؛ من فئة (ص صا)؛

و25 مقطعا متوسطا تنقسم بدورها إلى:

9 مقاطع مفتوحة؛ من فئة (ص صا صا)؛

16 مقطعا مقفلا من فئة (ص صا ص).

مما يعني اختصارا أن المقاطع الثلاثة هي في الحقيقة مقطع واحد قصيرواضحٌ يمثله الإيمان والعمل الصالح، وبخرجين/ أوبنتيجتين اثنين: إما مفتوحة بالإيمان وبالتالي الربح، أومقفلة بدونه وبالتالي الخُسر:

المقطع الصوتي بين النبرو التنغيم

يتألف الكلام في عمومه، وكلام النص القرآني بوجه خاص من جملة مقاطع صوتية متتابعة ومترابطة، بل ومتفاوتة في أطوالها و قيمتها الزمنية. وتفاوتها هذا؛ تَنتج عنه قوة و ضعف بحسب الموقع الذي تحتله في السياق الصوتي. و عندما يتلفظ القارئ بالآية القرآنية فإنه يميل إلى عملية الضغط على مقطع خاص من كل كلمة فيها، فيجعله أبرز و أوضح في السمع من غيره من المقاطع. و مثل هذا الضغط يسمى في علم الأصوات ب(النبر). لذلك يعرف النبربأنه الضغط على مقطع معين من الكلمة، ليصبح أوضح في النطق من غيره لدى السمع ، ونتيجةُ هذه العملية تؤدي إلى زيادة اندفاع الهواء الخارج من الرئتين ، حين يشتد تقلص عضلات القفص الصدري، أما ارتفاع درجة الصوت فينتج من ازدياد النشاط العضلي في الحنجرة عند نطق المقطع المنبور[1] .

وبما أن المقطع يشكل وحدة إيقاعية مستقلة، يتوافق مع ما ذهب إليه ابن جني في تحديده للصوت[2] إلا أنه يشكل وحدة صوتية لها أساس علمي يعرض لها علم الأصوات من خلال مختلف تجلياته التطريزية والذي لاحظ علماؤه أن بعض الأصوات اللغوية أوضح في السمع من البعض الآخر[3]، تلك التي تسمى بالحركات القصيرة والطويلة، ذلك لأن تتابع الصوامت والمصوتات وبمصاحبة السمات فوق القطعية مثل: الطول، والنغمة، والنبر... يشكل سمات إيقاعية له[4].

يشرح إبراهيم أنيس قضية النبرفي واحدة من تجلياته فيقول:"إن اللهجات العربية تميل- في حالة الوقف- إلى نقل النبرإلى المقطع الذي قبله، وذلك لأن من يريد الوقف لا ينتظربنطقه حتى ينتهي من جميع المقاطع، بل يبترغالباً المقطع الأخيرأو جزءاً منه، من آخر كلمة في جملته، وقد ترتب على هذا تلك الظاهرة التي سماها القدماء الوقف بالسكون، ففي الكلمات المنونة يحذف تنوينها، والكلمات المحركة الآخرسواء كانت تلك الحركة حركة إعراب أوبناء، تحذف حركتها"[5]. ولقد فصلنا في مكان آخر[6]؛ ما يغنينا عن اجترار الكلام في موضوع النبروالمقطع. وحسبنا ههنا أن نستجلي طبيعة التعالق والتأثيرالذي أحدثه النبرعلى مقاطع السورة قيد التفسيرالصوتي، لنبين كيفية تموضعه داخل أصناف المقاطع وبنسب متفاوتة على نحو ما يوضحه الجدول التالي:

1- حسان، تمام، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، 19990، القاهرة، ص160.

2- راجع: ابن جني، سرصناعة الإعراب، م س، ج1،ص19.

3- أنيس إبراهيم، موسيقى الشعر،مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، 1952،ص 144.

4- كورديا، أحمد حسن صالح، النظام الصوتي التوليدي في السور المكية القصار، م س، ص34.

5- أنيس، إبراهيم، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط4، 1992، ص145/146.

6- الموقت، حمادي، مقاربة صواتية للعروض العربي: المقاطع والإيقاع والتطريز، برينت بريس، ط1، 2018، الرباط، صص 302-285.

المقطع	تردده في السورة	نوعه	نسبة المقاطع المنبورة	نسبة المقاطع غير المنبورة
ص صا (ص م)	17	ضعيف قصير	5	15
ص صا صا (ص م م)	9	قوي مفتوح	5	4
ص صا ص (ص م ص)	6	قوي مغلق	5	1

إذ نرى درجات الإيقاع الصوتي يتدخل فيها النبر. والنبر في السورة حاصل على مستوى مقاطع معينة ومتوافقة على مستوى العدد؛ كما في نهايات الآيات من جهة في حالة الوقف، على الرغم من أن الحقيقة القرآنية تقول بأن السورة لها وقف واحد في الأخير وبالتالي آية واحدة، إذا ما غضضنا الطرف عن النجيمات، ثم على المقطع ما قبل الأخير من الكلمات التي شكلت محور السورة كالعصر والخسر والحق والصبر...، وعلى المقاطع المتوسطة من الكلمات شبه الطويلة أو التي لها مقاطع طويلة مفتوحة كالإنسان وآمنوا، وعملوا، والصالحات، وتواصوا... إذ الضغط كان على مثل هذه الوحدات الوصفية التي تصف حال الإنسان المؤمن ودرجة استجابته لأوامر الله تعالى ونواهيه.

وبما أن النبر ليست له معايير أو قواعد علمية مضبوطة[1]، فهو يرتبط بالدلالة السياقية ودلالة السورة على وجه التحديد، والطريقة التي يقرأ بها القارئ آياتها، وبحسب ما يسعى في تأكيده أو تقريره[2] بناء على درجة اندفاع الهواء بالنسبة لما سيؤكَّد، أو علو الصوت بالنسبة لما سيُقرَّر. وعلى هذا نرى تقاطعا بيّنا بين نبر الكلمات ههنا وتنغيم جملها باعتبار السورة جملة واحدة طويلة. كما نبه إلى ذلك تمام حسان في حديثه عن علاقة التنغيم بالنظام السياقي أو ما أسماه بالظواهر السياقية، إذ قال:" وإن كان النبر على الكلمات في الجملة أو على كلمة واحدة في الجملة لإظهارها على بقية الكلمات الأخرى، فإن ذلك يكون نبرا سياقيا دلاليا نسميه التنغيم، ولا يكون التنغيم في الجمل إلا لمعنى"[3]، وفي هذه الحالة "تأتي النغمات المختلفة مصحوبة بسمات صوتية أخرى ، كالنبر القوي لبعض المقاطع وتطويل الحركات مع بعض الحركات أو الإشارات الجسمية أيضا... وكلها من أنماط التنغيم المختلفة تقود إلى الاختلاف أو التباين في المعنى السياقي... لهذه العبارة الواحدة حسب مقتضيات المقام أو السياق الاجتماعي"[4] وكذا بحسب درجة تغيير طبقة الصوت فوق المقطع الواحد أو مقاطع متعددة وفق خصائص المصوت الواقع في المقطع ذي النغمة العالية، أو النغمة المنخفضة، ولعل هذا ما يمكن توضيحه على السورة من خلال الجدول التالي:

1- حسان، تمام، مناهج البحث في اللغة، م س، ص164.

2- نفسه، ص163.

3- راجع: حسان، تمام، مناهج البحث في اللغة، م س، ص163. وتمام حسان، اللغة العربية مبناها ومعناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، 2001، صص310-304.

4- بشر، كمال، علم الأصوات، دار غريب، القاهرة، 2000، ص540.

رقم المقطع	نوع المقطع	نوع مصوت المقطع	نوع الصامت الموجود بعد مصوت المقطع	نوع النغمة
2	ص صا ص	فتحة	/ص/ مهموس	منخفضة
4	ص صا ص	كسرة	/ن/ مجهور	طويلة
7	ص صا صا	ألف	مصوت طويل	طويلة
9	ص صا	فتحة	-	
10	ص صا صا	ألف	مصوت طويل	طويلة
11	ص صا ص	ضمة	/س/ مهموس	منخفضة
13	ص صا ص	كسرة	/ل/ مجهور	طويلة
18	ص صا صا	ألف	مصوت طويل	طويلة
22	ص صا	فتحة	-	
24	ص صا ص	ضمة	/ص/مهموس	منخفضة
25	ص صا صا	ألف	مصوت طويل	طويلة
27	ص صا صا	ألف	مصوت طويل	طويلة
29	ص صا	فتحة	-	
34	ص صا ص	فتحة	/ق/مجهور	طويلة
36	ص صا	فتحة	-	
40	ص صا ص	كسرة	/ص/ مهموس	منخفضة

خاتمة

صفوة ما يمكن أن نختم به هذه الورقة؛ بالرغم من أن السورة لم تُوفّ حقها من البحث والدراسة إلا أنه تم التوصل إلى نتائج يمكن إيجازها فيما يلي:

- سورة العصر لم تحمل إعجازا صوتيا فحسب؛ بل حملت إعجازا لغويا وعقديا؛

- إن فهم معاني النص القرآني لا يقتصر على كتب التفسير أو بالضرورة أن تكون مستويات اللغة متضافرة، بل يكفي لذلك التفسير اعتماد البعد الصوتي فقط حتى يلبي المطلوب؛

إن دور الخصائص النطقية لأصوات اللغة كفيلة بتحديد الإواليات المتحكمة في توليد المعنى المعجمي للكلمة، والذي يتحول إلى معنى وظيفي حسب نظرية السياق كما سطر خطوطها العريضة فيرث؛

إن الخصائص الصوتية لوحدات سورة العصر خصائص متناغمة ومتضامة حتى وإن بدت ظاهريا غير ذلك؛

اعتماد أصوات متباعدة المخرج أكسب الألفاظ تجانسا وانسجاما. والله أعلم.

لائحة المصادروالمراجع:

1. ابن النديم، الفهرست، ج1. دط.
2. ابن جني، سر صناعة الإعراب، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، و أحمد رشدي شحاتة عامر، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1، بيروت، 2000، ج1.
3. ابن جني، سر صناعة الإعراب، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة1، 2000.
4. استيتية، سمير، الأصوات اللغوية: رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية، دار وائل للنشر، الأردن، 2002.
5. أنيس إبراهيم، موسيقى الشعر،مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، 1952.
6. أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، مكتبة نهضة مصر، (د ت) .
7. أنيس، إبراهيم، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط4.
8. بشر، كمال، علم الأصوات، دارغريب للطباعة والنشر والتوزيع-القاهرة 2000 .
9. بناني محمد الصغير ، النظرية اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال "البيان والتبيين، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية1994.
10. تمام حسان، اللغة العربية مبناها ومعناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، 2001.
11. تومي، غنيمة، السياق اللغوي في الدرس اللساني الحديث، مجلة المخبر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، العدد6، 2010.
12. الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، ط 5،القاهرة: مكتبة الخانجي، 2004.
13. الحربي، مشعل صنت هليل، التفكير الصوتي عند الفارابي، رسالة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط، 2015.
14. حسان، تمام، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1990، القاهرة.
15. الخفاجي، ابن سنان، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1982.
16. الرازي الفخر،، التفسير الكبير، ج1، ط2، دار الكتب العلمية، طهران.
17. الرافعي مصطفى صادق ، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، بيروت: دار الكتاب العربي، 1995.
18. رفيق، محمد بن أحمد، مكامن الدرر في محاور السور، دار الكتب العلمية، 2014.
19. رمضان، عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي ، القاهرة، ط3، 1997.
20. الصابوني، صفوة التفاسير ، ج3، دار الصابوني.
21. الغامدي، منصور بن محمد، الصوتيات العربية، مكتبة التوبة-الرياض المملكة العربية السعودية، الطبع الأولى 2001 .
22. القيسي، الرعاية لتجويد القراءة، تحقيق أحمد حسن فرحات، دارعمار، ط3، 1996.
23. كورديا، أحمد حسن صالح، النظام الصوتي التوليدي في السور المكية القصار، عالم

الكتب الحديث، الأردن، 2012.

24. الموقت، حمادي، مقاربة صواتية للعروض العربي: المقاطع والإيقاع والتطريز، برينت بريس، ط1، الرباط 2018.

25. النوي، مليكة، الإعجاز الصوتي في سورة الفاتحة، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، ع23، 2010، جامعة باتنة، الجزائر.

العبارات المسكوكة (المخصوصة) حدّها وخصائصها

سمر الغانمي

باحثة دكتوراه في اللغة والأدب والحضارة العربيّة (اختصاص لغة) - كليّة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة بتونس.

ملخّص البحث:

تُعتبر العبارات المسكوكة (المخصوصة) إحدى أهمّ الظواهر اللسانيّة في كلّ اللغات الطبيعيّة، لما تتميّز به من خصوصيّات تتّصل بجميع مكوّنات الدرس اللساني، صوتا وصرفا وتركيبا ودلالة وتداولا. وباعتبارها أيضا إحدى آليّات إثراء المعجم كوْنها وحدات مركّبة من كلمتيْن أو أكثر، تُعادل قيمتها قيمة العناصر المعجميّة البسيطة.

ورغم أنّ اللسان العربي يزخر بهذه الأشكال التعبيريّة إلاّ أنّها ظلّت تُعامل لفترة طويلة بشيء من الحذرلخروجها عن المعاييروالقواعد اللغويّة، خاصّة في مصنّفات القدامى. ولم تَنَلْ شرعيّة دراستها بصفة مستقلّة إلاّ في الفكر الحديث الذي واجه هو نفسه صعوبات منهجيّة وتطبيقيّة في تحديد ماهيّة هذه الوحدات المعجميّة .

ونحن نهدف من خلال هذا المقال إلى إلقاء الضوء على ظاهرة العبارات المخصوصة من خلال ضبط حدٍّ واضح لها ورَصْدِ أهمّ خصائصها التي تُساعد على التمييز بينها وبين العناصر المركّبة في اللغة العربيّة كالتّراكيب الاستعاريّة والكنايات... وغيرها، والتي تُعدّ مرحلة أولى وضروريّة لتحليل هذه الأنماط التعبيريّة وفَهْمِ كيفيّة اشتغالها وتدقيق العلاقة بين جانبيْها التركيبي والدلالي.

الكلمات المفاتيح: العبارات المسكوكة، وحدة معجميّة، التركّب، التكلّس، إجماليّة المعنى، لاشفافيّة الدلالة.

Résumé :

Les expressions figées sont l’un des phénomènes linguistiques les plus importants dans toutes les langues naturelles, parce qu’ils concernent toutes les composantes de la leçon linguistique : phonétique, phonologie, syntaxe, signification et pragmatique. Et l’un des mécanismes d’enrichissement du lexique car il est composé de deux mots ou plus équivalents à la valeur de l’unité lexicale.

Bien que la langue arabe abonde de ces formes expressives, elle est traitée depuis longtemps avec une certaine prudence pour s’écarter de critères et règles linguistiques, en particulier dans les références de l’ancien. Et n’a pas obtenu la légitimité de ses études de manière indépendante, seulement dans la pensée moderne, qui a elle-même connu des difficultés méthodologiques et appliquées pour définir la définition de ces Unités lexicaux.

Dans cet article, nous cherchons à étudier le phénomène des expressions figées, sa définition et leurs caractéristiques pour distinguer entre eux et entre les structures métaphoriques et les métonymies... et autres. C'est la première étape nécessaire pour analyser ces formes expressives et comprendre leur fonctionnement ainsi que la relation entre ses aspects structurels et sémantiques.

Mots-clés: Expressions figées, Unité lexicale, La polylexicalité, Figement, Globalité du sens, Opacité sémantique.

تمهيد:

العبارات المسكوكة هي عناصر معجميّة تتكوّن من كلمتيْن أو أكثر جرت العادة على تلازمها تلازما يصعُب معه الفصل بين مكوّناتها، تُعامل معاملة الوحدة المعجميّة البسيطة لإجماليّة معناها الذي لا يمكن استجلاؤه من جمع معاني مكوّناتها الجزئيّة جمعا رياضيّا، وغالبا ما يكون اصطلاحيّا لاشفّافا لقيامها على الوجوه المجازيّة من استعارة وكناية... وقد هُمّشت دراسة هذه النماذج التركيبيّة وتحليلها في بحوث القدامى ومصنّفاتهم رغم تداولها على الألسن واستعمالها في مختلف الخطابات اليوميّة والدينيّة والسياسيّة... لخروجها عن الأصل والقياس. لتتّجه الدراسات اللسانيّة في السنوات الأخيرة، بما توفّر لها من مقاربات لغويّة ومناهج عمل وبحثٍ، إلى العناية والاهتمام بالعبارات المسكوكة من زوايا مختلفة: مفهوميّة، تركيبيّة، دلاليّة، معالجة آليّة... باعتبارها جزءا من النشاط اللغوي يتداولها أفراد المجموعة اللسانيّة المُنتمين إلى نفس البيئة والثقافة كوْنها خاصّة بمجتمع دون آخر، وآليّة من آليّات بلاغة اللغة وبيانها ووسيلة من أهمّ وسائل إثراء المعجم.

وقد ارتأينا من خلال هذا المقال تحديد ماهيّتها وأهمّ الخصائص والسّمات التي تُميّزها عن العديد من البنى التركيبيّة اللسانيّة من قبيل: التراكيب المزجيّة، والاستعارات والكنايات... وغيرها، لرفع الغموض واللبس عنها من جهة، والإقرار بشرعيّة دراستها وتحليلها من جوانب مختلفة تخدم أهداف الباحثين وإيديولوجيّاتهم.

1- حدّها:

إنّ العبارات المسكوكة ظاهرة مشتركة بين لغات العالم، ووسيلة من الوسائل التعبيريّة المهمّة وجزء لا يتجزّأ من بلاغة اللغة وبيانها. تحفظ في طيّاتها وتراكيبها اعتقادات الجماعة وتصوّرَها لطبيعة الوجود والعلاقات الاجتماعيّة والثقافيّة بين الأفراد وتجاربهم الإنسانيّة والحياتيّة. فهي منتج اجتماعي بامتياز تحفظ الإرث اللغوي للشعوب ومبادئهم في الحياة وتنطق بحاجاتهم وأحوالهم، بما فيها من عادات وتقاليد ومعتقدات ومراسم دينيّة واحتفاليّة وممارسات شعبيّة وملامحَ للبيئة المعيشة، فتتجلّى فيها "خلاصة الخبرات العميقة [للأمم]... ولمعاناتها وشقائها وسعادتها وغضبها ورضاها"[1].

وهي ليست حكرا على فئة دون أخرى، وإنّما يستعملها العامّة والخاصّة على السواء. فيضمّنها الأديب نصوصَه الشعريّة والنثريّة، ويلجأ إليها الصحفي في كتاباته ومحاوراته لنجدها مبثوثة في

1- صيني، معجم الأمثال العربيّة، 1996، "ط".

المجلات والجرائد اليوميّة والمقابلات الصحفيّة، ويستعملها رجل الدين في خطاباته الدعويّة أسوة بالرسول صلى الله عليه و سلّم، ويُضمّنها السياسي أقواله ودعاياته لما لها من قوّة تبليغيّة وتأثيريّة... ما يجعلها حاضرة في كلّ النصوص على اختلافها، منطوقها ومكتوبها.

وقد عُرّفت هذه الأشكال التعبيريّة بكوْنها "تلك المتواليات اللسانيّة التي تتألّف من أكثر من عنصر"[1]، فتنشأ كلّ عبارة من ائتلاف ما لا يقلّ عن كلمتيْن "جرت العادة على تلازمها وتكرّر حدوثها وترابطها دلاليّا"[2].

واعتبرها الزناد "نماذج إلصاقيّة"[3] تُستعمل وتُتداول على الألسن كوحدات كاملة مُركّبة "غير قابلة للتجزئة"[4]، فتتّسم بالثبات وتلزم "صورة معيّنة ولا تتغيّر في الاستعمال كلاما ولا كتابة"[5] لأنّ كلّ تغيير قد يطرأ عليها سواء بالتقديم والتأخير أو استبدال أحد العناصر الجزئيّة المكوّنة لها أو إضافة عنصر إلى بنيتها يؤدّي إلى خلل في معناها، فتكون العلاقة بين العناصر المكوّنة لها تبعا لذلك "مقيّدة وليست علاقة حرّة"[6]. ما دفع بعض علماء اللغة إلى وَسْمِها "بالعبارات المتكلّسة أو العبارات المتلازمة تركيبيّا"[7] أو الوحدات الثابتة (unités phraséologiques).

تُعامل هذه الوحدات معاملة الوحدة المعجميّة (Unité lexicale) لإجماليّة معناها الذي لا يمكن استجلاؤه أو فهمه "بمجرّد فهم معاني مفرداتها وضمّ هذه المفردات بعضها إلى بعض"[8]. فتفقد العناصر المكوّنة للعبارة المخصوصة معانيها في حالة الإفراد، وتميل لأن تكون اصطلاحيّة من الناحية النحويّة والدلاليّة، أي أنّ معناها لا يمكن التنبّؤ به من الخصائص النظميّة والدلاليّة لمكوّناتها. فتأخذ معنى آخر إجماليّا، غالبا ما يكون بعيدا عن المعنى المدرك من تآلف مكوّناتها المعجميّة "ويسير هذا المعنى الجديد بين الناس حتى يُصبح في استعمالهم اليومي شيئا مألوفا"[9]. وتواتر استعمال العبارة ينزع إلى إقرارها عنصرا معجميّا تعبيريّا منتميا إلى النظام اللغوي، و"يتحكّم في قبول العديد منها ضمن مداخل المعجم"[10].

وخلاصة القول، أنّ العبارات المسكوكة تشكّل وحدات دلاليّة متماسكة ثابتة، تتميّز بالإيجاز والاقتضاب. تقوم على اجتماع أو تلازم كلمتيْن أو أكثر "تلازما يذوب معه المعنى المفرد لتلك المكوّنات بالامتزاج"[11]، فتُعادل دلالتها دلالة الوحدة المعجميّة البسيطة وتُعامل معاملة المفردة أو الكلمة لأنّه لا يمكن استجلاء دلالتها من دمج (Agglutination) أو ضمّ عناصرها الجزئيّة بعضها إلى بعض "فتدلّ العبارة على معنى اصطلاحي يكون على درجة ما من اللاّشفافيّة"[12]. ويُقصد باللاّشفافيّة

1- الحناش، نظريّة – حاسوب لسانيّة لبناء معاجم آليّة للغة العربيّة، مجلة التواصل اللساني، 1993، 74.
2- جبريل، المصاحبة اللغويّة في شعر الشيخ أبي بكر عتيق الكشناوي، مجلة الإنسان والمجال، 2016، 151.
3- الزناد، نظريّات لسانيّة عرفنيّة، 2010، 85.
4- ليونز، علم الدلالة، 1980، 33.
5- المعجم الأبجدي العربي، حوليّات الجامعة التونسيّة، 1977، 121.
6- العامري، المصاحبة اللغويّة وأثرها الدلالي، 2013، 26.
7- شارودو ومنغو، معجم تحليل الخطاب، 2008، 254.
8- عمر، علم الدلالة، 1982، 33.
9- الحسيني، المصاحبة اللغويّة وأثرها في تحديد الدلالة في القرآن الكريم، 2007، 94.
10- أبو العزم، إشكاليّة اللهجات في المعجم العربي، حوليات الجامعة التونسيّة، 2008، 59.
11- بن عمر، المتلازمات اللفظيّة في اللغة والقواميس العربيّة، 2007، 177.
12- نفسه، 177.

عدم القدرة على إفادة دلالتها من بنيتها الشكليّة، وإنّما هي حاملة لمعنى غير مباشر مصطلح عليه بين أفراد المجموعة اللسانيّة "فمن خصائصها في الدلالة أنّها قد تتضمّن، في التركيب الواحد، مجازا أو استعارة أو كناية، فإذا فُصِلت أطرافها المُتلازمة بعضها عن بعض اختفت الدلالة المجازيّة"[1].

كما لا تقبل هذه التراكيب المتلازمة الترجمة "لأنّها خاصّة بمجتمع دون آخر فلا يمكن ترجمتها حرفيّا"[2]، ولو أنّ مستعمل اللغة حاول ترجمتها أو نقلها إلى لغات أجنبيّة تختلف عن اللغة العربيّة في أساليب العيش والتفكير والتعبير "لكانت محلّ دهشة، ومثارا للضحك. واللغة الإنقليزيّة مثلا، تُطلق على الفول السوداني monkey nut ولو نقلناها إلى العربيّة فقلنا بندق القرد لما فهمها أحد"[3].

2- خصائصها:

تقوم العبارات المخصوصة على اختلاف أنماطها التعبيريّة على جملة من الخصائص المشتركة التي جاءت في التعريفات الواردة أعلاه، أهمّها: الشيوع وطول نفسها لتداولها على الألسن منذ الجاهليّة إلى يومنا هذا، والإيجاز، والتركّب والتكلّس، وإجماليّة المعنى، ولاشفافيّة دلالتها.

يقول عبد الرحمان بودرع في معرض حديثه عن العبارات المسكوكة: "المتلازمات الاصطلاحيّة سُمّيت متلازمات لأنّ ألفاظها يُلازم بعضها بعضا، ووُصفت بالاصطلاحيّة لأنّها ظلّت مسكوكة على هيئة واحدة، وأصبحت تُتداول بين مُستعمليها على هيئتها هذه من غير زيادة أو نقصان أو تغيير، وأضحت مادّة معجميّة تفرض نفسها على مُصنّفي المعاجم. ومن خصائصها في الدلالة أنّها قد تتضمّن، في التركيب الواحد، مجازا أو استعارة أو كناية، فإذا فُصِلت أطرافها المُتلازمة بعضها عن بعض اختفت الدلالة المجازيّة"[4]. وسنفصّل القول في كلّ خاصيّة منها على حدة كالآتي، مع الاستشهاد ببعض الأمثلة من العربيّة الفصحى والدارجة:

1-2 الشيوع:

يُمثّل التعبير المسكوك عنصرا معجميّا ترسّخ في نظام اللغة بكثرة استعماله وتناقله بين الأفراد من جيل إلى آخر منذ آماد بعيدة. نجده حاضرا منذ عصر الجاهليّة في اللغة العربيّة ثمّ "تعزّزت سيرورته عبر الأزمان"[5] بظهور القرآن الكريم، الذي تضمّن الكثير من هذه الأشكال التعبيريّة على اختلاف أنماطها، واعتمادها من قِبل الرسول صلى الله عليه وسلم في أحاديثه النبويّة لما لها من قوّة تعبيريّة وتأثيريّة في المتقبّل "ولذلك قال ابن عبد ربه: هي وشي الكلام وجوهر اللفظ وحلْي المعاني، تخيّرتها العرب وقدّمتها العجم ونُطق بها في كلّ زمان وعلى كلّ لسان فهي أبقى من الشعر وأشرف من الخطابة لمْ يسِر شيء سيْرها ولا عمّ عمومها"[6].

وهو ما يدلّ على طول أنفاسها "وامتداد حياتها بحضورها المستمرّ في نصوص الإبداع شعرا ونثرا"[7] واستمراريّتها إلى عصرنا الحاضر.

1- بودرع، المتلازمات اللفظية أو المتلازمات الاصطلاحيّة (www.boudraa.com/?p=518).

2- الدحماني، المعجميّة: مقدّمة نظريّة ومطبّقة، مصطلحاتها ومفاهيمها، حوليّات الجامعة التونسيّة، 2008، 297.

3- مختار عمر، 1982، 76.

4- بودرع، المتلازمات اللفظية أو المتلازمات الاصطلاحيّة (www.boudraa.com/?p=518).

5- عيسى، توهّج البنية في التوقيعة الأدبيّة المعاصرة، 2015، 411.

6- الحذيري، التمييز بين المثل والحكمة في كتب الأمثال القديمة عند العرب، حوليّات الجامعة التونسيّة، 1990، 115.

7- التباب، وظيفة الأمثال والحكم في النثر الفني القديم، 2004، 17.

2-2 الإيجاز:

تتميّز هذه الأشكال التعبيريّة من حيث المبنى بالإيجاز والاقتضاب وقصر تراكيبها "فتعبّر عن المعنى المُراد التعبير عنه بكلام وجيز مختصر يفي بالغرض"[1]. وهو ما يُسهّل تقبّلها وحفظها وتداولها على الألسن، خاصّة وأنّها تتميّز بجمال جرسها وخضوعها لأساليب بلاغيّة كالجناس والسجع والطباق والإيقاع المسجّع... نذكر على سبيل المثال: سكت ألفا ونطق خلفا: "أي سكت عن ألف كلمة ونطق بواحدة رديئة"[2]، ترى الفِتْيان كالنخل وما يُدريك ما الدّخْلُ، الهِيبَةْ خيبَةْ، أعْذر من أنْذر، عند الامتحان يُكرم المرء أويُهانْ، عدوّ الرجل حُمْقه وصديقه عقْلُه...

تعْدِل العبارات المخصوصة في بُنيتها عن الإطالة والتكرار وتميل إلى الاختصار والإيجاز فلا تُثقِل لا على المستعمل ولا على المتقبّل "وهذا أمر سائغ في كلّ لغة، بل هو في العربيّة أكثر لميْلها إلى الإيجاز وإلى التخفيف"[3]. وعلى الرغم من قصر تراكيبها إلاّ أنّها مشحونة بالمعاني، تختزل في مفرداتها القليلة مادّة غزيرة من الأحداث والوقائع والتجارب والأخبار والمآثر العربيّة، ما يجعل منها تراكيب "قائمة على الاقتصاد اللفظي كمّا وعلى المعنى المفتوح كيفا"[4]، فَعَلى قدر اختصار عباراتها تتّسع في المقابل دلالاتها ومعانيها، "فمعاني هذا الكلام أكثر من ألفاظه وإذا أردت أن تعرف صحّة ذلك فحُلّها وابنها بناء آخر فإنّك تجدها تجيء في أضعاف هذه الألفاظ"[5].

2-3 التركّب (La polylexicalité) والتكلّس (Figement):

من سمات التعابير المسكوكة أنّها أشكال لغويّة تتألّف من كلمتيْن فأكثر من أقسام الكلام (الاسم والفعل والحرف)، وتلزم "حالة واحدة من التلازم والسكّ بين عناصرها"[6]، فتُحفظ ككلّ لا يتجزّأ ولا يقبل الفصل بين عناصره، وإلاّ عبّرت عن معنى آخر مخالف لمضمون التعبير المخصوص: أعطى الضوء الأخضر: سمح له، تولّدت الوصلة باقتران الفعل (أعطى) مع المركّب النعتي (الضوء الأخضر) للتعبير عن السماح وجواز الفعل. ولو فصلناه أو عزلناه عن الفعل لخرجنا إلى معنى جديد متمثّل في العطاء أو تقديم شيء ما، ولا نجد فيه شيئا من معنى السماح والجواز الذي دلّت عليه العبارة. إذن لا يمكن الحديث في العبارات المسكوكة عن "مكوّن مستقلّ عن الآخر بل إنّ مكوّنات[ها] من المفردات هي عبارة عن الأصوات التي تكوّن الكلمة"[7]، يتداولها الناس في صورتها الأولى الثابتة على المستويْن التركيبي والدلالي على عكس التراكيب الحرة القابلة للتحويل في صوره المختلفة[8].

1- الحذيري، الحوليّات، 1990، 114.

2- السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، 1986، 1/490.

3- مصطفى، إحياء النحو، 1992، 35.

4- عيسى توهّج البنية في التوقيعة الأدبيّة المعاصرة، 2015، 410.

5- العسكري، كتاب الصناعتيْن، 1952، 178.

6- دكيكي، تصوْرن السياق وإشكاليّة المعنى في اللسانيّات المعاصرة: السياق في التعابير المسكوكة نموذجا، 2015، 157.

7- بن عمر، حول تأثير بعض مظاهر الاستعمال في دلالة اللسنيّات العربيّة في القديم، مجلة المعجميّة، 2003، 194.

8- تتسم البناءات الحرّة بالقدرة على التفكيك وإعادة البناء والتأليف والخضوع لعدد من العلاقات الأفقيّة والعموديّة التي تسمح بتغيير مفرداتها بأخرى أو تصريف ألفاظها وفق قانون الاختيار الموجّه لدلالة معيّنة، أكل الولد التفاحة: بإمكاننا انطلاقا من هذا التركيب الحرّ أن: نستبدل مفردة التفاحة بكلمة فاكهة: أكل الولد فاكهة. نُخضعه للبناء للمجهول: أُكِلت التفاحة. نقدّم ونؤخّر عناصره المكوّنة له: أكل التفاحةَ الولدُ. يخضع للحذف: أكلها الولد . يقبل الإضافة: أكل الولد تفاحة حمراء (بنعت التفاحة).نجمع الفاعل: أكل الأولاد التفاحة...

وعليه، فإنّ هذه التعابير "لا تقبل التغيير أبدا"[1]، فلا يجوز التغيير في صيغها التركيبيّة بحذف أو إضافة أو تقديم وتأخير أو استبدال (Variation) لأحد مكوّناتها بعنصر آخر مرادف، لأنّ كلّ تغيير طارئ عليها قد يُخلّ بالمعنى الذي أسنِد لها في أصل الوضع ويُفقدها طرافتها وغرابتها وأسلوبها البياني وقيمتها التاريخيّة وقوّتها التعبيريّة والتأثيريّة.

مثال (1) فلان رابط الجأش: أي شجاع، و"الجأش القلب والصدر... والنفس"[2]. ولا نستطيع أن نقول فلان رابط الصدر أو فلان رابط النفس، لأنّنا نُخلّ بالمعنى فلا نجد أثرا لمعنى الشجاعة، يقول الجرجاني "ثمّ انظر كيف يكون الحال، وكيف يذهب الحُسْن و الحلاوة؟ وكيف تُعدم أريحيّتك التي كانت؟ وكيف تذهب النشوة التي كنت تجدها؟"[3]. وإذا كان ذلك، فلا يمكننا الاستعاضة عن مكوّن من مكوّنات التعبير المسكوك بآخر مرادف له في المعنى وإلاّ فقدت العبارة بلاغتها.

مثال (2) سكت ألفا ونطق خلفا: لا يجوز التلاعب بالعناصر (Eléments) المكوّنة للتعبير المخصوص بالتقديم والتأخير (ألفا سكت وخلفا نطق)، أو في عبارة على قدم وساق، لا يجوز القول فيها (على ساق وقدم)... لأنّ هذا النوع من التعبيرات "لا يُغيّر وإنّما يُحكى كما هو"[4] لأنّه من ذوي الرّتب المحفوظة التي لا تقبل القلب المكاني من ناحية، ولأنّه يعكس القيود الاستعماليّة التي يفرضها المقام أو السياق لتبليغ معنى دون آخر يعود لاتّفاق أفراد المجموعة اللغويّة واصطلاحهم من ناحية أخرى.

مثال (3) الصيفَ ضيّعتِ اللبن: تجري في سياقات محدودة تدلّ على خيبة المرء وعدم إتيانه الأمر على أكمل وجه وتفويته على نفسه، "فيكون استعمالها محدودا ولا تنطبق فيها قواعد التصريف (تبدّل الضمائر أو الأزمنة) انطِباقَها النظامي المعهود"[5]، وإن كان ذلك مخالفا لقواعد اللغة ومعاييرها. فلا نقول مثلا: الصيف ضيّعتَ اللبن، أو الصيف ضيّعتم اللبن، أو الصيف ضيّعوا اللبن... "فلمّا وقع في الأصل للمؤنّث لم يُغيّر من بعْدُ... وإنْ خوطِب بها المذكّر والمؤنث والاثنان والجمع، لأنّ أصل المثل خوطبت به امرأة"[6].

ويصحّ الأمر ذاته على العبارات العاميّة "فعبارة كَانِتْ تُشْخُرْ زَادِتْ بَفْ من العاميّة التونسيّة، مثلا، بنية مقطعيّة تنغيميّة موحّدة في المظهر الصوتمي، معناها... "زاد الطين بلّة"... يمتنع فيها ما يلي:

- كَانُوا يُشْخْرُوا زَادُوا بَفْ
- يُشْخْرُوا زَادُوا بَفْ
- مَاهُمْشْ يُشْخْرُوا بَاشْ يْزِيدُوا بَفْ
- كَانْ يُشْخُرْ زَادْ بَفْ"[7].

1- Le Grand Larousse, 2016, 497

2- معلوف، المنجد، مادّة (جأش).

3- الجرجاني، دلائل الإعجاز، 99.

4- عمر، صناعة المعجم الحديث، 2009، 136.

5- الزناد، نظريّات لسانيّة عرفنيّة، 2010، 85.

6- السيوطي، 1986، 1/488.

7- الزناد، نظريّات لسانيّة عرفنيّة، 2010، 85.

ولنا أن نستنتج أنّه إذا كانت التعابير الحرّة تقبل التغيير في نظامها النحوي (حذف، تقديم وتأخير...)، أو المعجمي (تغيير لفظة بأخرى مرادفة لها)، أو الصرفي (حسب مقولة النوع والعدد والجنس) الذي كشف "عن تقليص دور المستوى التصريفي في الأسماء المركّبة"[1]، فإنّ التعابير المسكوكة تلزم صورة شكليّة ودلاليّة واحدة.

2-4 إجماليّة المعنى (La globalité du sens):

تمثّل هذه العبارات (Locutions) وحدات دلاليّة متماسكة، تتركّب من كلمتيْن فأكثر "بحيث تعملان كوحدة دلاليّة واحدة"[2]، تتميّز "باللاّتأليفيّة في بنيتها"[3] وبعدم تركيبة مكوّناتها الجزئيّة المعجميّة طبقا للعلاقات الإسناديّة والتوزيعيّة لنظام اللغة العربيّة.

ومعنى ذلك، أنّ دلالتها "لا تُلتمس انطلاقا من معاني مفرداتها المكوّنة لها"[4] أو "من العلاقات النحويّة القائمة بينها"[5]، بل تفيد معنى آخر إجمالي (Sens global) غير قابل للتجزئة تُعادل قيمته قيمة الوحدة المعجميّة، وغالبا ما يكون بعيدا عن المعنى المُدرك من تآلف مكوّناتها الجزئيّة.

ففي قولنا: فلان وصيّ آدم، تُطلق هذه العبارة على الإنسان إذا كان "فضوليّا داخلا فيما لا يعنيه، متكلّفا ما لا يلزمه من التطفّل على أمور الناس والتهالك في الاشتغال بها"[6]. ونلحظ أنّ هذا التعبير لا يستمدّ دلالته من الكلمات المكوّنة له (وصيّ + آدم) أو "يُستنتج معناه من بنيته الصيغميّة"[7] أو من داخل التركيب والعلاقات البنيويّة بين المفردات المكوّنة للتعبير "وإنّما من خارجه أي من اتفاق واصطلاح المتكلّمين بالعربيّة"[8].

ولنا أن نذكر أيضا: جاؤوا عن بكرة أبيهم = جميعا، فلان رابط الجأش = شجاع، أطلق ساقيه للريح = أسرع، فلان اجتماع يمشي في الطريق = يثرثر أو يُكثر من الكلام...

كلّ ذلك يجعل من هذه الأشكال اللغويّة وحدات دلاليّة متماسكة ملتحمة غير قابلة للانفصال، معناها غير تركّبي يُعادل قيمة الوحدة المعجميّة البسيطة. تتّخذ شكل "تمثيلات جماعيّة مألوفة"[9]، تترسّخ في أذهان أفراد المجموعة اللسانيّة المنتمين إلى بيئة ثقافيّة واحدة على تلك الصورة الشكليّة والدلاليّة الثابتة فتصبح "عادة في التكلّم وتوقّعا في التلقّي"[10].

ولمّا كان الإنسان بطبعه أسير العادة والعرف، فإنّه مضطرّ للتماهي مع كلّ ما تنتجه المجموعة اللسانيّة وتصطلح عليه وتتواضعُ، كشفرة لغويّة أو عقد (contrat) مصطلحي مشترك للتخاطب، وكلّ خروج عنه يؤدّي إلى اللبس والغموض وانقطاع التواصل.

1- الجناش، قواعد البيانات العربيّة: معجم التعابير المسكوكة، حوليّات الجامعة التونسيّة، 1995، 237.

2- القاسمي، التعابير الاصطلاحيّة والسياقيّة ومعجم عربي لها، مجلة اللسان العربي، 1979، 25.

3- دكيكي، 2015، 156.

4- Danlos, 1981, 61

5- الحسيني، 2007، 93.

6- الثعالبي، ثمار القلوب، 38.

7- قروص، التعابير المتكلّسة: الأسماء المركّبة وعبارات أخرى، 2008، 14.

8- الحسيني، 2007، 94-93.

9- معجم تحليل الخطاب، 2008، 532.

10- هويدي، التفكير الدلالي في الدرس اللساني العربي الحديث، 2012، 105.

2-5 لاشفافيّة الدلالة (l’opacité sémantique):

تتميّز التعابير المخصوصة بالبيان والبلاغة وحسن التصوير "وتعتيمها التركيبي"[1]، لقيامها على الكناية والتعريض أكثر من الإيضاح والتصريح الذي يتجاوز المعنى الحرفي، الذي يُلتمس من المعاني المفردة للمكوّنات، إلى "معنى آخر بلاغي اصطلاحي يتحصّل بطريق المجاز وبأسلوب التعبير الكنائي"[2]، وهو معنى قائم على الاتفاق والمواضعة بين أفراد الجماعة اللغويّة، ألِفوهُ وتداولوه حتى "شاع فيها بهذا المعنى"[3]. فيصبح المعنى الثاني المتكلّس معنى أوّل يشيع في الاستعمال و"يترسّخ في المعجم بالتواتر والمجاز"[4].

وللاستعمال المجازي (كناية، تعريض، تشبيه، استعارة) مكانته في كلام العرب، وقد حظي بالوصف والتحليل في كتب النحاة والبلاغييّن قدامى ومحدثين.

وعليه، فالتراكيب المسكوكة لا تصرّح بمعانيها ولا يمكن استجلاء دلالاتها من ضمّ معاني المفردات المكوّنة لها، وإنّما هي "تُفخّخ الدلالة وتُقدّم إضافة أسلوبيّة جميلة"[5]، ما يجعل منها تعابير أشدّا وقعا في نفس المتقبّل من التراكيب الحرّة لما لها من قوّة تأثيريّة وتعبيريّة.

مثال (1): جاؤوا قضّهم بقضيضهم، أي بأجمعهم صغيرهم وكبيرهم. وإذا ما حاولنا الاستدلال على معاني العناصر المكوّنة لهذا التعبير، نجد أنّ: جاء بمعنى أتى أو قدِم، والقضّ يدلّ معجميّا على "الحصى الكبار"[6]، أمّا القضيض فهي "صغار الحصى"[7]. وعلى هذا الاعتبار تكون الدلالة الحرفيّة أو المعنى المباشر المُدرك من البنية الشكليّة للعبارة أعلاه هي: جاؤوا بحصاهم الكبار والصغار. أمّا معناها المجازي الاصطلاحي المُتداول فهو: جاؤوا جميعا، كبيرهم وصغيرهم، ولا شيء في العبارة أو مفرداتها "يسمح بالتنبؤ بمثل هذا التأويل"[8]، ما يؤكّد على لاشفافيّة (Opacité) المعنى في التعابير المتكلسة.

مثال (2): مقْتَلُ الرّجُل بين فكّيْه، وفي العبارة التالية "تنبيه من عثرات اللسان التي قد تكون عاقبتها وَخيمة، وغير خفيّ ما في هذه العبارة من كناية"[9]. فالمعنى العادي للألفاظ المكوّنة لهذه العبارة لا يخبرنا شيئا عن العاقبة الوخيمة لعثرات اللسان، "فالعلاقة الدلاليّة إذن لاشفّافة"[10] تقوم على الاستدلال لما للمتلقي من كفاءة تأويليّة ومعارف ذهنيّة عامّة ومرجعيّة مشتركة (Coréférence).

ولنا أن نستنتج تبعا لما تقدّم، أنّ العبارات المسكوكة تمثّل جزءا شرعيّا من النشاط اللغوي، تتّسم بجملة من الخصائص والسمات (التركّب، التكلّس، إجماليّة المعنى، لاشفافيّة دلالتها) التي تميّزها عن غيرها من التراكيب الحرّة من جهة، وتجعل منها آليّة من آليّات إثراء المعجم العربي

1- دكيكي، 2015، 156.

2- أبو سعد، معجم التراكيب والعبارات الاصطلاحيّة العربيّة القديم منها والمولّد، 1987، 5.

3- نفسه، 7.

4- بن عمر، 2007، 39.

5- عيسى، 2015، 411.

6- المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربيّة، 1989، مادّة (قضّ).

7- نفسه.

8- قروص، 2008، 150.

9- الحذيري، حوليّات الجامعة التونسيّة، 1990، 129.

10- قروص، 2008، 76-75.



وحافظة لتاريخ الشعوب وعاداتها وأساليب عيْشها من جهة أخرى. ما يسمح بدراستها وتحليلها من زوايا نظر مختلفة، لسانيّة، تداوليّة، عرفانيّة، نفسيّة، اجتماعيّة...

قائمة المصادر و المراجع

المراجع العربيّة:

1. بن عمر (عبد الرزاق): المتلازمات اللفظيّة في اللغة والقواميس العربيّة، مجمع الأطرش لنشر الكتاب المختصّ وتوزيعه، تونس، 2007.
2. التباب (ناجي)، وظيفة الأمثال والحكم في النثر الفني القديم، دار سحر للنشر/منشورات كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة بالقيروان، ط 1، 2004.
3. الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل): ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، د.ت.
4. الجرجاني (عبد القاهر)، دلائل الإعجاز، قرأه وعلّق عليه محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي بالقاهرة، د.ت.
5. الحسيني (حمادة محمد عبد الفتاح)، المصاحبة اللغويّة وأثرها في تحديد الدلالة في القرآن الكريم: دراسة نظريّة تطبيقيّة، دراسة مقدّمة لنيل درجة الدكتوراه في أصول اللغة، جامعة الأزهر، كليّة الدراسات الإسلاميّة والعربيّة للبنين بالقاهرة، 2007.
6. دكيكي (عبد الواحد)، تصورن السياق وإشكاليّة المعنى في اللسانيات المعاصرة: السياق في التعابير المسكوكة نموذجا، ضمن قضايا المعنى في التفكير اللساني والفلسفي، إشراف عبد السلام عيساوي، جامعة منوبة، كلية الآداب والفنون والإنسانيّات، تونس، 2015.
7. الزناد (الأزهر): نظريّات لسانيّة عرفنيّة، الدار العربيّة للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، دار محمد علي للنشر، تونس، ط 1، 2010.
8. السيوطي (عبد الرحمان جلال الدين)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ضبطه وعلّق حواشيه محمد أحمد جاد المولى بك ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعليّ محمد البجاوي، منشورات المكتبة العصريّة، بيروت، جزآن، 1986.
9. العامري (فضيلة عبوسي محسن)، المصاحبة اللغويّة وأثرها الدلالي: دراسة في نهج البلاغة، كلية الآداب، جامعة الكوفة، بحث لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها، 2013.
10. العسكري (أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل): كتاب الصناعتيْن الكتابة والشعر، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيّة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط 1، 1952.
11. عمر (أحمد مختار): صناعة المعجم الحديث، عالم الكتب، القاهرة، ط 2، 2009.
12. عمر (أحمد مختار): علم الدلالة، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، ط 1، 1982.
13. عيسى (راشد علي)، توهّج البنية في التّوقيعة الأدبيّة المعاصرة، "تناص" لسهى نعجة أنموذجا، ضمن قضايا المعنى في التفكير اللساني والفلسفي، إشراف عبد السلام عيساوي، جامعة منوبة، كلية الآداب والفنون والإنسانيّات، تونس، 2015.
14. قروص (قاسطون)، التعابير المتكلسة: الأسماء المركبة وعبارات أخرى، تعريب صالح الماجري وبشير الورهاني، مركز الدراسات والبحوث الاقتصاديّة والاجتماعيّة، تونس، 2008.
15. ليونز (جون): علم الدلالة: الفصلان التاسع والعاشر من كتاب مقدمة في علم اللغة النظري، 1968، ترجمة مجيد عبد الحليم الماشطة وحليم حسين فالح وكاظم حسين باقر، كليّة الآداب، جامعة البصرة، 1980.
16. مصطفى (إبراهيم)، إحياء النحو، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط 2، 1992.
17. هويدي (خالد خليل)، التفكير الدلالي في الدرس اللساني العربي الحديث، الأصول والاتجاهات، الدار العربيّة للعلوم ناشرون/مكتبة عدنان للطباعة والنشر و التوزيع، ط 1، 2012.

المعاجم:

1. أبو سعد (أحمد)، معجم التراكيب والعبارات الاصطلاحيّة العربيّة القديم منها والمولد، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 1، 1987.
2. شارودو (باتريك) ومنغو (دومينيك)، معجم تحليل الخطاب، ترجمة عبد القادر المهيري وحمّادي صمّود، مراجعة صلاح الدين الشريف، دار سيناترا/المركز الوطني للترجمة، تونس، 2008.
3. صيني (محمود إسماعيل) وعبد العزيز (ناصف مصطفى) وسليمان (مصطفى أحمد)، معجم الأمثال العربيّة، مكتبة لبنان، ط 1، 1996.
4. المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربيّة، دار التحرير للطبع والنشر، جمهوريّة مصر العربيّة، 1989.
5. معلوف (لويس)، المنجد في اللغة والأدب والعلوم، المطبعة الكاثوليكيّة، بيروت، ط 19، د.ت.

المجلاّت:

1. أبو العزم (عبد الغني)، إشكاليّة اللهجات في المعجم العربي: المعجم الوسيط نموذجا، حوليّات الجامعة التونسية، عدد 53، 2008.
2. بن عمر (عبد الرزاق)، حول تأثير بعض مظاهر الاستعمال في دلالة اللسنيّات العربيّة في القديم، مجلة المعجميّة، تونس، عدد 18 – 19، 2003.
3. جبريل (محمد منصور)، المصاحبة اللغويّة في شعر الشيخ أبي بكر عتيق الكشناوي، مجلة الإنسان والمجال، الجزائر، عدد 4، 2016.
4. الحذيري (أحمد)، التمييز بين المثل والحكمة في كتب الأمثال القديمة عند العرب، حوليات الجامعة التونسيّة، عدد 31، 1990.
5. الحناش (محمد)، قواعد البيانات العربيّة: معجم التعابير المسكوكة، حوليّات الجامعة التونسيّة، عدد 36، 1995.
6. الحناش (محمد)، نظريّة حاسوب – لسانيّة لبناء معاجم آليّة للغة العربيّة (محاولة في التأصيل)، مجلة التواصل اللساني، في إطار ملحق خاصّ بندوة استخدام اللغة العربيّة في تقنية المعلومات من 14-10 ماي 1992، 1993.
7. الدحماني (زكيّة السائح)، المعجميّة: مقدمة نظريّة ومطبّقة، مصطلحاتها ومفاهيمها (محمد رشاد الحمزاوي)، حوليات الجامعة التونسيّة، عدد 53، 2008.
8. القاسمي (علي)، التعابير الاصطلاحيّة والسياقيّة ومعجم عربي لها، مجلة اللسان العربي، الرباط، مج 17، 1979.
9. المعجم الأبجدي العربي، حوليات الجامعة التونسيّة، عدد 14، 1977.

المراجع الأجنبيّة:

1. Danlos (Laurence): La morphosyntaxe des expressions figées, Langages, 15 éme année, n° 63, 1981.
2. Le Grand Larousse Illustré, Edition Limitée, Paris, 2016.

مواقع إلكترونيّة:

1- بودرع (عبد الرحمان)، المتلازمات اللفظيّة أو المتلازمات الاصطلاحيّة: (www.boudraa.com/?p=518).

المصطلح العروضي في كتاب العمدة لابن رشيق القيرواني:

فنور نصيرة

باحثة في طور الدكتوراه تخصّص نظرية المصطلح- جامعة جيجل الجزائر-

الملخّص بالعربية:

أصبح المصطلح ذا أهميّة كبرى، خاصة مع التطوّر العلمي والتقني الذي يشهده العالم، فالمصطلحات جوازات السفر إلى المستقبل، وأدوات العلوم و أسلحتها. ومن بين العلوم التي لعب المصطلح دوره الهام بامتياز فيها: "علم العروض"، هذا الأخير الذي قفز قفزة نوعيّة وفريدة من نوعها، حيث انتقل من مجرّد كونه أقوال غير مؤسس لها إلى كونه علما قائما بذاته، له أسسه وقواعده، ومصطلحاته الخاصة به.

فالمصطلح العروضي لبنة من لبنات المصطلح النقدي، الذي يشكّل كيانا لغويا، ثقافيا، تاريخيا، ومعرفيا، يتشكل من أصوات تأخذ مكانها من المساحة الكتابية، فهو يختزل ثقافة الأمة، ويرسم تقاسيم الحضارة التي ولد ونشئ فيها، فهو جزء من الهرم المصطلحي الذي تكوّن منذ زمن من علوم عدّة منها:/الدراسات القرآنية، البلاغة، النحووالصرف، الفلسفة والمنطق...إلخ/.

Abstract:

the term has became of great importance especially with scientific development the world is witnessing the terms passports to the future, science tools weapons, among the sciences that have played the term is its most important role in the science of presentations, the latter, whose jump has been unique and unique, has moved from mere being non-founder of it to be a stand- alone science has its foundations and rules and terminology its own.

The term presentation is abrick of the term monetary blocks, which is linguistic entity, culturally, historically, and cognitively, is formed of voices that took their place from the written space, it reduces the culture of the nation, and sketches the divisions of civilization in which he was born and raised, it is part of the term pyramid that has been around for a long time from several sciences inculuding: Quranic studies, rhetoric, grammar and grammar, philosophy and logic.

مقدمة:

إنّ الحديث عن المصطلح، أصبح ذا أهميّة كبرى خاصة مع التطوّر العلمي والتقني الذي يشهده العالم فالمصطلحات جوازات السفر إلى المستقبل، وأدوات العلوم و أسلحتها , لهذا بات الحديث عنها من الضروريات, فأيّ علم لا يمكن أن يؤسس مفاهيمه ولا أن يتقدم وينال صدارته بين مختلف العلوم بدون منظومة مصطلحيّة تضبطه وتقيّد مفاهيمه، فبدون معرفة المصطلحات لايمكننا

إدراك العلوم ولا فهم مكنوناتها الماضية في العمق.

ومن بين العلوم التي لعب المصطلح دوره الهّام بامتيازفيها: "علم العروض"،هذا الأخيرالذي قفز قفزة نوعيّة وفريدة من نوعها، حيث انتقل من مجرّد كونه أقوال غيرمؤسس لها إلى كونه علما قائما بذاته، له أسسه وقواعده، ومصطلحاته الخاصة به.

فالمصطلح العروضي لبنة من لبنات المصطلح النقدي، الذي يشكّل كيانا لغويا، ثقافيا، تاريخيا، ومعرفيا، يشكل من أصوات تأخذ مكانها من المساحة الكتابية، فهويختزل ثقافة الأمة، ويرسم تقاسيم الحضارة التي ولد ونشئ فيها، فهوجزء من الهرم المصطلحي الذي تكوّن منذ زمن من علوم عدّة منها:/الدراسات القرآنية، البلاغة، النحووالصرف، الفلسفة والمنطق...إلخ/.

وهذا باعتبارأنّ المصطلحات تمثّل اللّبنة الأساسية في كلّ علم، والزّاد الذي يتزوّد به الباحث أو طالب العلم عند ولوجه إلى مدينة العلوم إذن: ماهوتعريف المصطلح ؟ ماهوعلم العروض؟كيف ساهم ابن رشيق من خلال كتاب العمدة في التأسيس لعلم العروض؟.

أوّلا وقبل الولوج إلى دراستنا الموسومة تحت عنوان: المصطلح العروضي في كتاب العمدة لابن رشيق القيرواني، لابدّ إلى التنويه للفظة المصطلح ومعانيها وكذلك لعلم العروض.

لقد شغلت قضية المصطلح حيزا كبيرا من تفكيراللغويين في القديم والحديث، سواء من حيث التنظيرله وصناعته أو الاشتغال عليه، ذلك أن المصطلح يقوم بدور كبيرفي تواصل الأجيال معرفيا مع بعضها البعض، كما يساهم في نقل المعارف والخبرات من جيل إلى جيل، وحتى بين أبناء الجيل الواحد. والحاجة إلى المصطلح ضرورة أدركها العلماء منذ القديم، وزادت عنايتهم به في العصر الحديث، حيث ظهرمع التطور العلمي علم يعنى بهذه القضية –المصطلح- يطلق عليه اسم "علم المصطلح"، هذا الأخيرالذي يعد مجالا خصبا وأرضية سانحة للبحث في الإشكالية المعرفية عموما، انطلاقا من كون مفاتيح العلوم إنما هي مصطلحاتها.

فالمصطلح في حركته، وفي صيرورته، حمل الكثيرمن التعاريف، سواء من كاتب إلى آخرأومن مؤَلف إلى آخرنذكرها كالتالي:

-1«المصطلح كلمة أومجموعة من الكلمات من لغة متخصصة (علمية، أوتقنية أوفنية) يوجد موروثا أومقترضا، ويستخدم للتعبيرعن المفاهيم بدقة، وليدل على أشياء مادية محددة». [1]

-2«المصطلح رمزيتفق للدلالة على مفهوم، ويتكون من أصوات مترابطة أومن صورها الكتابية، قد يكون المصطلح كلمة أوعبارة، والمصطلح التقني هومصطلح يقتصراستعماله أومضمونه على المختصين في مجال معين».[2]

-3«المصطلح وحدة تسمية تنتمي إلى مجموعة من الكلمات والتعابير المنتقاة لاستعمالها في معرفة الأشياء، أوكلمة تنتمي إلى معجم خاص، لا يتم استعمالها في اللغة العادية، بمعنى التداول الاجتماعي».[3]

1- عامر الزناتي الجابري، "إشكالية ترجمة المصطلح (مجلة البحوث والدراسات القرآنية)، ع 9، د .م، 2006-2005، ص 336.

2- المرجع نفسه، ص336.

3- بوعبد الله لعبيدي، مدخل إلى علم المصطلح والمصطلحية، د.ط، الجزائر:تيزي وزو،دار الأمل،.2012م، ص13.

-4«لفظ اتفق العلماء على اتخاذه للتعبير عن معنى من المعاني العلمية».([1])

-5«الاصطلاح هو الاتفاق على وضع الاسم على المسمى، والتعارف باستعماله والمصطلح هو المصدر الميمي والمسمى من (اصطلح) بوزن (افتعل) من الصلح والاتفاق على الشيء الذي يراد تسميته».[2]

-6 «إخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما وقيل الاصطلاح: اتفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى وقيل الاصطلاح إخراج الشيء عن معنى لغوي إلى آخر لبيان المراد وقيل الاصطلاح لفظ معين بين قوم معيّنين»[3].

لقد تعددت تعاريف المصطلح واختلفت تعابيرها لكنّها تتفق على أنّ :المصطلح هو في الأخير كلمة أو لفظ أو رمز يقيّد مفهوما ما, في مجال علمي ما, وهو الأداة التي يستعملها المتخصّصون في ميدان عملهم وفي إنجاز بحوثهم, فهو علامة مميّزة وفارقة للّغة المتخصّصة عن اللّغة العامة لغة التداول اليومي, التي يستعملها عامة الناس، وبالمفهوم العام هو رمز لغوي بخصوصيات مميّزة, نخبوي فئوي, محدود الاستعمال, هو لغة العلوم لغة الدول التي أبت أن ترضى بغير القمة منصبا. فالمصطلح أصبح الحرب الباردة للقرن الواحد والعشرين فالأمم تألب بعضها البعض بحق أو بغير حق بتهمة مصطلح ما.

بعد أن تطرقنا إلى مفهوم المصطلح وتعريفاته المختلفة لابدّ من الإشارة إلى علم العروض، هذا العلم الذي يعنى بالشعر العربي في قياسه ووزنه صحّة واعتلالا، فهو مثل الميزان، وصاحب الفضل في إيجاد هذا العلم هو الخليل بن أحمد الفراهيدي الأزديّ العماني، إمام وعلاّمة عصره علما وشعرا، فقد استلهم من شعر العرب سرّ نظمهم على هذا النسق أو ذاك، مستندا على حافظة وهبه الله إياها حاوية لشعر العرب، يقال أنّه وضعه للمحافظة على الشعر العربي من الكسر، ومن دخول ما لايجوز فيه من التغييرات([4])، وهكذا حتى أتمّ وأخرج هذا العلم -العلم الوحيد الذي صدر بأصوله وفروعه-وقد دأب علماء اللغة من بعده إلى الاعتناء بهذا العلم فأضافوا القليل ممّا غفل عنه الخليل، أو ربّما علمها فأنكرها، ومن المعروف أنّ علم العروض وضع دفعة واحدة، فهو لم يتطور كباقي العلوم العربية عبر الزمن وعلى أيدي المختصين، لذلك اتّخذت مصطلحات هذا العلم شكلها النهائي منذ النشأة الأولى، والناظر في هذه المصطلحات يجد أنّها كثيرة بالنسبة إلى المساحة التي يشغلها علم العروض ضمن العلوم العربية، كما يرى أنّها تدل على ترف لغوي توصّل إليه علماؤنا العرب القدماء، نظرا إلى شدّة إقبالهم على العربية شعرا ونثرا، يقال أنّ الخليل وضعه للمحافظة على الشعر العربي من الكسر ومن دخول ما لا يجوز فيه من التعبيرات.

مايهمّنا من هذه الدراسة ليست المصطلحات العروضية، وكل ما يتعلق بها بصفة عامة، وإنّما المصطلح العروضي عند ابن رشيق القيرواني من خلال كتاب العمدة في محاسن الشعر وآدابه.

1- سلينا باقيل وديان فوليت، دليل المصطلحية، (ترجمة خالد الأشهب): د. ط؛ مكتب الترجمة، 2001م، ص 21.

2- يحيى عبد الرؤوف جبر، الاصطلاح مصادره ومشاكله وطرق توليده، (مجلة اللسان العربي): ع 36، مكتب تنسيق التعريب،1992م.ص143.

3- الجرجاني, التعريفات (ت:محمد صديق المنشاوي)، د.ط، دار الفضيلة, د.ت، ص27.

4- محمد بن فلاح المطيري،القواعد العروضية وأحكام القافية العربية،مكتبة أهل الأثر،ط1،.2004م، ص19



أولا وقبل أن نعرض للمصطلحات العروضية الموجودة في الكتاب لابدّ من إعطاء لمحة قصيرة عن حياة ابن رشيق على اعتبار أنّ العالم أهمّ من علمه.

1- التعريف بابن رشيق القيرواني:

أيّ إنسان لايمكن له أن يكتب اسمه في ذاكرة التاريخ أو يخلّد اسمه دون أن يبدل مجهودا، فالعبقري لم يولد بملعقة من ذهب في فمه، وإنّما كان كذلك باجتماع مجموعة من الظروف الاجتماعية والثقافية والتاريخية وهذا ماحصل مع ابن رشيق القيرواني.

مولده: هو أبو علي الحسن بن رشيق المسيلي المعروف القيرواني وأحد الأفاضل البلغاء، له التصانيف المليحة منها العمدة في معرفة صناعة الشعر ونقده وعيوبه، وكتاب الأنموذج، والرسائل الفائقة، والنظم الجيد، ولد في المحمدية أو المسيلة (390هـ1000-م)، وانتقل إلى القيروان سنة (406هـ1016-م) ([1]) ، والده كان روميا، قرأ الأدب والشعر، وتاقت نفسه إلى التزيد منه فرحل إلى القيروان، فنزل بعاصمة الشمال الإفريقي، ولقي بها عميد اللغة والأدب الشيخ أبا عبد الله محمد بن جعفر القزاز وعبد الكريم النهشلي وغيرهم من شيوخ القيروان.

وقد وقف في تلك المجالس مواقف جريئة وأقبل على الآثار الأدبية المختلفة رواية ودرسا وتذوقا، كما بذرت فيه صنعة والده في الصياغة، وهي تنطوي على جانب جمالي، نزعة فنية أغرته بالتبصر وحب النقد والاهتمام بكلّ ما قيل من حول الشعر والشعراء من آراء فكان ثمرة ذلك كتابه.

كتابه العمدة:

لقد تعددت جوانب ابن رشيق الأدبية والعلمية فهو شاعر ناقد مؤرخ ولغوي، ولكن غلب عليه جانب الشعر والنقد، وذلك لإلمامه بالكثير من كتب القدامى: كطبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي، الشعر والشعراء لابن قتيبة، كما قرأ بديع ابن المعتز وعيار الشعر لابن طباطبا وغيرهم.

توفي ابن رشيق في سنة 456هـ الموافق ل 1064م.

التعريف بالعمدة:

يرجع مصطلح العمدة في جانبه اللغوي إلى الأصل عمد والذي يرجع إلى معنى الاستقامة في الشيء، لقد حاول ابن رشيق من خلال كتابه "العمدة" أن يجعله عمدة في نقد الشعر، لما في الكتاب من معرفة حدّ الشعر ووظيفته، ولما فيه من أخبار وعلوم متفرقة يقدّمها بين يدي القارئ الناشئ.

لقد قسّم ابن رشيق كتابه إلى جزأين مع مقدّمة أوضح فيها سبب تأليفه للكتاب ومنهجه فيه، أمّا الجزء الثاني فكانت تقريبا جلّ مواضيعه تناول الجانب البلاغي في قول الشعر . ([2])

إنّ كتاب ابن رشيق هو كتاب جليل القدر اجتمعت فيه الثقافات العالمية وتمازجت، فكان مرآة للحركة النقدية، فهو شاهد قيّم لما بلغه الفكر الإنساني من التتبع والتحري وتقصّي الحقائق في روح علمية منهجية تتسم بسمة الدقّة وسعة الآفاق وغزارة العلم والمعرفة.

والكتاب مرجع من مراجع الأدب تتجلّى فيه الروح الموسوعية التي طاقت خلال عصور الأدب منذ فجره إلى عهد ابن رشيق وجمعت من شتى المصنّفات والمجموعات ومن شتى المصادر والموارد

1- بشير خلدون ، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق القيرواني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ،1981م،ص106-105.
2- جمعة برجوح، آليات تعريف المصطلح العروضي في كتاب العمدة، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص النقد العربي ومصطلحاته،،جامعة قاصدي مرباح،2011م2012-م،ص31.

قدرا عظيما من الشعر، كتاب العمدة الذي يعدّ بحق عمدة دراسات الشعر في هذا القرن.

الدراسة الإحصائية للمصطلحات العروضية الواردة في كتاب العمدة:

إنّ كتاب العمدة حافل بالمصطلحات العروضية نذكرها على التوالي:

ابتداء
اعتماد
البتر
البسيط
البيت
التأسيس
الدخيل
التام
التخليع
التذييل
الترفيل
التسبيغ
التشعيث.
التصريع.
التضمين.
التوجيه.
الثرم.
الثلم.
الإجازة.
الجمم.
الحشو.
الحذذ.
الحذف.
الحذو.
الخفيف.
الخروج.
الخرب.

الخرم.
الخزم.
الخبن.
الخبل.
الدخيل.
الرجز.
الردف.
الروي.
الرمل.
الزحاف.
السالم.
السبب.
الرس.
السريع.
السناد.
الإشباع.
الشتر.
الشكل.
الصدر.
الإصراف.
الصحيح.
الصلم.
الضرب.
الإضمار.
الطويل.
الطي.
العجز.
العروض.
العصب.
القفص.
العقل.
الغاية.
الفدع.

الفرق.
الفصل.
الفلج.
القافية.
القبض.
القبل.
القريض.
القطع.
القطع.
القصر.
القصم.
القطف.
الإقعاد.
الإقواء.
القواديسي.
الكامل.
الكسف.
الكف.
الأكفاء.
الكزم.
اللثغ.
المتدارك.
المترادف.
المتراكب.
المتقارب.
المتكاوس.
المتواتر.
المجتث.
المجري.
المجزوء.
المجمع.
المخمس.
المداخل.

المديد.
المراقبة
المشطور.
المزودج.
المسمّط.
المضارع.
المطلقة.
المعاقبة.
المعتل.
المقتضب.
المقيدة.
المنسرح.
المنهوك.
النفاذ.
المزج
الوافر
الوافي
الوتد
الوزن
الوصل
الوقص
الوقف
الإيطاء

- ملاحظات المصطلح العروضي:

المصطلح العروضي جزء من المنظومة المصطلحية، ساهم بمصطلحات عديدة قد استقاها من عدّة علوم ووقائع مختلفة، وهذا ليسهم في إضافة لبنة جديدة في بناء صرح المصطلح النقدي .

-فالمصطلحات العروضية قد عرفت من قبل العديد من النقاد واللّغويين والنحاة وابن رشيق ممن تعرّضوا للمصطلح العروضي.

-لقد أسفرت عملية البحث والإحصاء في

المصطلح العروضي عند ابن رشيق على مايلي:

-إنّ النمط الغالب في التعريف عند ابن رشيق هو التعريف المصطلحي، حيث عرّف"90" مصطلحا تعريفا مصطلحيا، خصّ مجال العروض، هذا إذا استثنينا"ستة مصطلحات" ردّها إلى الأصل الاشتقاقي وهي:(السناد،الإقواء،الإيطاء،الإكفاء،الإجازة،التصريع).

-عرّف ستة مصطلحات بالحدّ وهي(السبب،الوتد،الفاصلة،الردف،الرجز،القافية،المطلقة)، وكذلك من خلال تطرّقه لأنواع كل مصطلح(مثلا:السبب نوعان:الخفيف والثقيل).

-كما لاحظنا وجود بعض التعريفات الغامضة عند تعريفه لبعض المصطلحات مثلا عند تعريفه لبحر الرجز، فيقول وهو الذي يسميه الخليل المقتضب.

-وعند إحصائنا للمصطلحات العروضية وجدنا أنّ هناك الكثير من المصطلحات التي لم يعرّفها ابن رشيق.

-كما وجدنا بعض التفاوت في التعريف المصطلحي، فهناك مصطلحات يعرّفها ويشرحها، ويعطي مثال توضيحي مثل: مصطلح الاعتماد.

-ما يلاحظ على مصطلحات ابن رشيق، اعتماد الشواهد من الأبيات الشعرية وغاب عنه استعمال الشواهد القرآنية والحكمة والحديث، لكن ليس كل المصطلحات فالبعض منها أورد المفهوم فقط.

-لقد اختار ابن رشيق منهجية معيّنة في تعريفه للمصطلحات العروضية تتمثّل في الاعتماد على الاختصاروالدقّة وكذا الانطلاقة من جهة واحدة في عرضه لتعريف المصطلحات العروضية، وهي الاقتصارعلى مجال علم العروض، وربّما هذا الاختيارله ما يبرّره لأنّه يسعى إلى السهولة والبساطة في تقديم المعلومات العروضية، والتوجّه إلى الجانب التعليمي في إعطاء المعلومات، فقد اعتمد على الجانب التطبيقي في تقديم المصطلحات.

*وإذا نظرنا إلى العيوب الاصطلاحية في كتاب العمدة، وجدنا أنه كغيره من الكتب الأخرى لا يخلو من بعض النقائص نذكر منها:

1- الغموض واللامباشرة الدلالية في بعض المفاهيم والمصطلحات.

2- صعوبة المصطلحات العروضية المرصوصة في ثنايا الكتاب على القارئ من جهة وعلى الباحث المختص في علم العروض من جهة ثانية.

3- إعطاء مصطلحات دون إيراد المفاهيم المتعلّقة بها.

4- السطحية والاعتماد على الإيجاز الذي لايؤدي المعنى المطلوب بدقّة.

5- الاختصار الشديد للمفاهيم بحيث لا تحتوي كل مصطلح.

6- خلو المصطلحات من الشرح المفصّل والتوضيحات وكذا الشواهد والأمثلة التي تبيّن المصطلح للمتعلّم.

7- القالبية والمحدودية حيث أنّ كل التعريفات اقتصرت على الجانب العروضي، وعدم خروجه إلى مجالات أخرى.

8- الكثير من المصطلحات العروضية لم يعرّفها ابن رشيق حيث وردت دون مفاهيم.

9- ما يلاحظ على ابن رشيق في وضعه للمصطلحات اعتماده على البعد الاجتماعي حيث انطلق من

واقع معيشي تتجلى فيه صورة الإنسان في إنتاجه الفكري مثل حقل الإنسان، الأخلاق(البسيط)، الأعضاء(الصدروالعجز).

10- إنّ المصطلحات العروضية التي أوردها ابن رشيق في كتابه هي مصطلحات كثيرة ومتشابكة ممّا تخلق نوعا من الصعوبة عند القارئ والدارس على السواء.

وفي ختام القول يمكننا أن نقول أنّ ابن رشيق واحد من أكبر الشعراء والكتّاب والنقاد الذين قدّموا الكثير للساحة النقدية من جهة والأدبية من جهة ثانية،لقد خدم التراث العربي خاصة والإنساني عموما، وذلك في وقت بدأ فيه الفكر العربي يصاب بالضعف والتدهور.

-إنّ ابن رشيق وبفضل تفكيره العميق استطاع أن يبعث حركة نقدية متكاملة كان لها الأثر الأكبر على الاتجاهات النقدية السائدة آنذاك، وتركت آثارها على من جاؤوا بعدها من النقاد.

-إنّ ابن رشيق قدّم منظومة اصطلاحية كاملة لعلم العروض تفيد الدارس والباحث في هذا العلم.

-ابن رشيق عالم موسوعي استطاع بفضل حبّه وولعه بالبحث أن يؤسّس لعدّة علوم من بينها: علم النقد، وعلم العروض.

*قائمة المصادروالمراجع:

-1 بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق القيرواني، الشركة الوطنية للنشروالتوزيع، الجزائر،1981م.

-2 بوعبد الله لعبيدي، مدخل إلى علم المصطلح والمصطلحية، د.ط,الجزائر:تيزي وزو,دار الأمل, 2012.

-3 ابن رشيق القيرواني، المحقّق(محمد محي الدين عبد الحميد)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، دار الجيل، الطبعة الخامسة،1981م.عدد الأجزاء02.

-4جمعة برجوح، آليات تعريف المصطلح العروضي في كتاب العمدة، ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص النقد العربي ومصطلحاته،،جامعة قاصدي مرباح،2011م2012-م.

-5 عامر الزناتي الجابري، إشكالية ترجمة المصطلح (مجلة البحوث والدراسات القرآنية): ع 9، د .م، 2006-2005.

-6سلينا باقيل وديان فوليت، "دليل المصطلحية"، ترجمة خالد الأشهب: د. ط؛ مكتب الترجمة، 2001م، .

-7الشريف الجرجاني,"التعريفات"(ت:محمد صديق المنشاوي):«د.ط ,دار الفضيلة,د.ت».

-8محمد بن فلاح المطيري، القواعد العروضية وأحكام القافية العربية،ط1،مكتبة أهل الأثر، ،2004م.

-9يحيى عبد الرؤوف جبر، الاصطلاح مصادره ومشاكله وطرق توليده" (مجلة اللسان العربي): «ع 36، مكتب مستبق التعريب،1992م ».

النسبية اللغوية والترجمة: الحدود بين الثقافي واللغوي

أيوب أيت فرية
كليــة الآداب والعلــوم الإنســانية بنمســيك الــدار البيضــاء -المغــرب-

ملخص المداخلة:

نقدم خلال هذه المداخلة التعالق بين الثقافي واللغوي في أثناء عملية الترجمة، وكيف تتصور الجماعات اللسانية تمثلات حول الثقافات الأخرى من خلال موروثها الثقافي اللغوي، مستعينين بفرضية النسبية اللغوية Linguistic Relativity لتقديم تصور أولي حول اللغة الأم/ الدخل، قبل اللغة الهدف/ الخرج.

تقديم:

تعد اللغة بتعريفها البسيط، وسيلة تواصل بين شخصين أو أكثر، الهدف منها التفاهم، ولكي يتحقق هذا الهدف لا بد من الاشتراك في معرفة رموز وسنن هذه الوسيلة، وما تحويه من معاني سياقية واجتماعية، وخصوصا الثقافية، فاللغة نتاج إنساني تراكمي وثقافي أنتجته ضرورة تواصل أهل بيئة واحدة بعضهم ببعض، وبما أن اللغة نتاج ثقافي، فإن الثقافة تضفي معاني خاصة على كل كلمة، وكل تركيب لغوي يستخدمه أهل اللغة، وكثيرا ما تعتبر وعاء حاويا للثقافة، ووسيلة للتفكير تحدد رؤيتنا للعالم، وتقوم بدور تمييزي بين الشعوب.[1]

أما الترجمة، فهي عملية يتم فيها استبدال مفردات لغوية في لغة دخل معينة، بمفردات تماثلها في المعنى في لغة خرج أخرى، وهذه نظرة سطحية لمفهوم الترجمة تقصي جوانب أخرى غير لسانية تتدخل في عملية النقل، وهو الأمر الذي يقره الجاحظ حين قال:" إن الترجمان لا يؤدي أبدا ما قال الحكيم، على خصائص معانيه، وحقائق مذاهبه، ودقائق اختصاراته، وخفيَّات حدوده، ولا يقدر أن يوفيها حقوقها، ويؤدي الأمانة فيها، ويقوم بما يلزم الوكيل ويجب على الجَرِيّ"[2]، مستدركا توضيح ما ينبغي على الترجمان أن يتحلى به حتى تصل عملية الترجمة إلى نضجها قائلا:" وكيف يقدر على أدائها وتسليم معانيها والإخبار عنها على حقها وصدقها إلا أن يكون في العلم بمعانيها، واستعمال تصاريف ألفاظها وتأويلات مخارجها، مثل مؤلف الكتاب وواضعه".[3]

تكشف أقوال الجاحظ الواردة في هذا الباب عن كون عملية الترجمة ذات بنية معقدة، تتداخل فيها مكونات لغة الدخل المنقولة (بتعبير الجاحظ)، ولغة الخرج المنقول إليها، وما ينبغي أن يتمتع به الترجمان من قدرة على إتقان اللغتين، وهي نظرة جاحظية تتغافل جوانب أخرى في عملية الترجمة، إذ أن الترجمة الدقيقة تقتضي إيلاء أهمية لثقافة اللغات الدخل/ الأم، بما تحمله من شحنات اجتماعية وثقافية ونفسية... بنتها العشيرة عبر احتكاكها بالعالم الخارجي خلال سنين حتى صارت

1- جون جوزيف، اللغة والهوية: قومية- إثنية- دينية، ص 7

2- الجاحظ، الحيوان، الجزء الأول، ص 76-75.

3- نفسه، الجزء الأول، ص 76.

مألوفة عند أفرادها، باعتبارها تمثل جزءًا من هويتهم الثقافية واللغوية، أما الوقوف عند حدود معرفة نسق اللغتين الدخل والخرج، فإنه لا يعد كافيا لنقل صورة أقرب إلى النسخة الأصلية.

يفرض الأمر وجود ارتباط حتمي بين طريقة تصور أفراد العشيرة اللسانية للعالم الخارجي، وتفكيرهم فيه وبه، وما تواضعوا عليه من مفردات تنقل هذه التصورات، وهي العلاقة التي يُمَثَّل لها في إطار فرضية سابير- وورف (النسبية اللغوية)، إذ يقول بنيامين لي وورف: "إننا نجزئ الطبيعة تبعا للخطوط التي ترسمها لنا لغتنا الأم (...)، ونحن نقوم بتقسيم الطبيعة تقسيما منهجيا، وننظمها ضمن مفاهيم متمايزة، ونعطيها دلائل بموجب اتفاقية تحدد رؤيتنا للعالم، وهذه الاتفاقية تعترف بها الجماعة اللسانية التي ننتمي إليها، وهي منظمة تبعا لنماذج لغتنا".[1]

وتبعا للتصورين أعلاه، فإن عملية الترجمة إنما هي إعادة قراءة للمحيط الخارجي (الطبيعة بتعبير وورف) للغة الأم، ولكن بلغة أخرى، محيط بنى هويته الثقافية والنفسية من خلال جماعة/ عشيرة لسانية، توافقت على نسق صوتي وصرفي وتركيبي ودلالي ومعجمي يعكس رؤيتها لهذا المحيط، ثم يأتي دور الترجمة لنقل نسخة طبق الأصل عن هذا المحيط، فتكون الترجمة هنا تحويلا لتصور ثقافي نحو تصور آخر يتعارض معه في كثير من الأحيان.

1- اللغة والعالم الخارجي: نسبية اللغة

تختلف الألسن، وتتعدد بنياتها، سواء تعلق الأمر بالمستوى المعجمي أو الصوتي أو الصرفي... وهو اختلاف لا يقتصر على ألسن بحد ذاتها، وإنما يهم مختلف الألسن، كيفما كانت طبيعتها، ويرافق هذا التعدد تنوع عميق للمؤسسات الاجتماعية والأعراف الثقافية، فالأنشطة الإنسانية الثقافية واللغوية تتغير باستمرار كلما انتقلنا من جماعة بشرية إلى أخرى، لأنها إرث الجماعة التاريخي الخالص، ونتاج التقاليد الاجتماعية الضاربة في القدم، وكما هو الشأن عند دي سوسير de Saussure، فإن سابير Sapir يقدم اللغة على أنها مؤسسة تاريخية وثقافية اجتماعية، تتغير في الزمان والمكان بطريقة عفوية على ما يبدو، فاللغة تتوفر على خصيصة تشترك فيها مع كل الظواهر الثقافية، إنها بالأساس نسبية ومتغيرة واتفاقية.[2]

هب أن هناك حجرا في مجال رؤيتنا، وأن هناك كرة بيننا وبين الحجر، إن العربي يقول في وصف هذا الوضع: إن الكرة توجد أمام الحجر، إلا أن لغة الحاوصا (Housa)- وهي من اللغات الإفريقية- تقول في وصف نفس الوضع: إن الكرة تقع خلف الحجر، وهو ما يمكن بيانه من خلال الجملتين في (1) و(2) اللتان تصفان نفس الوضع:

(1) توجد الكرة أمام الحجر (العربي)

(2) توجد الكرة خلف الحجر (الحاوصي)

إن هاتين الجملتين، وإن كانتا تصفان الوضع الخارجي نفسه، تختلفان معنى وتصورا، إذ كل جملة تعكس التقطيع الجزئي الذي يملك متكلم العربية ومتكلم الحاوصا للعالم الخارجي، باعتباره

1- بسام بركة، الترجمة إلى العربية: دورها في تعزيز الثقافة وبناء الهوية، ص 7-6، نقلا عن :

. SCHAEF, A, Langage et connaissance, pp 93-98.

2- جان بيار برونكار، أنتروبولوجيا اللغة، ص 122.

جزءًا من العالم الذي يعيش به، وما يمكن استخلاصه من هذا الاختلاف في الوصف أن البعد (أمام/ خلف) ليس خاصية لاصقة بالحجر أو الكرة، بل هو بُعد يسقطه المتكلم عليهما، وكيفية

إسقاط هذا البعد تختلف من هذه الثقافة إلى تلك، ومرتبطة سببيا بوسائلنا الإدراكية والمعرفية والثقافية، كما يذهب إلى ذلك جاكندوف 1983 (Jackendoff)، حيث يقول:" فالكيفية التي بنيت عليها ذواتنا البشرية لتأويل العالم – أي القدرة التعبيرية لتمثلاتنا الداخلية- هي التي تحدد ما تصفه اللغة وتقدمه. إن الأمر لا يتعلق بما إذا كانت كيانات معينة تُبنى استجابة لمماثلات خارجية، أو أنها من الثمار الخالصة لخيالنا، إننا نتصرف كما لو كانت موجودة بسبب الكيفية التي نحن مُكَوَّنون بها".[1]

إن كنه تحليل جاكندوف (1983)، وجحفة (2000) يبرز تعالقا ثلاثي الأبعاد بين عناصر المتكلم واللغة والعالم الخارجي، ضمن ما يعرف بمثلث بلاكبورن Blackburn، حيث إن اللغة هي التي تشكل رؤية العالم، وتؤثر على الطريقة التي يفهم بها الإنسان العالم، ويتصرف من خلالها في اتصاله به؛ أي أن بنيات اللغة الأم تحدد نمط تصور الجماعة اللغوية لما يحيط بها، أو ما يصطلح عليه بفرضية اللغة ورؤية العالم Language Weltanschauung Hypothesis، التي تعرف عند الدارسين بفرضية النسبية اللغوية.[2]

وقد تبلورت فرضية النسبية اللغوية في أعمال الأنثروبولوجيين اللسانيين أمثال بواص Boas وسابير Sapir وورف Whorf، التي لفتت الانتباه إلى أن الاختلاف في الأنساق اللغوية يوازيه اختلاف في الأنشطة الإنسانية والثقافية، وتصور العشيرة اللغوية للعالم الذي تعيش فيه وبه.[3]

وتنطلق "النسبية اللغوية" من فرضيتين/ مسلمتين رئيسيتين، تتمثل الأولى في أن الاختلافات اللغوية على جميع المستويات الصوتية والصرفية والتركيبية والمعجمية... تكشف اختلافات ثقافية في رؤية الحياة والكون، إذ لا يمكن عزل اللغة عن مخاطبيها ومؤوليها وسياقها الاجتماعي والثقافي الذي وردت فيه، أما الفرضية الأخرى فتتمثل في كون اللغة باعتبارها نسقا ومؤسسة اجتماعية وثقافية، تلعب دورا حاسما في تشكيل الفكر، بل إنها الفكر ذاته، لذلك فهي تعد الوعاء الذي يحتوي الثقافة، ووسيلة التفكير.[4]

وبتأمل هذه المسلمات التي انبنت عليها فرضية سابير- وورف (النسبية اللغوية)، يلاحظ أنه قد تضافرت لإيجادها تخصصات مختلفة، وتلاقحت ميادين متعددة من أجل وضع إطار نظري يهدف إلى الإجابة عن سؤال العلاقة بين اللغة والعالم الخارجي، وخصوصا الجوانب الثقافية، ولعل أهم

1- عبد المجيد جحفة، مدخل إلى الدلالة الحديثة، ص 96-95. وينظر أيضا:

Jackendoff, R, Semantics and Cognition, p 24-25

2- محيي الدين محسب، اللغة والفكر والعالم، ص 28-27.

3- حاولت أعمال وورف تحطيم الأساس الفلسفي للنظرية الأرسطية التي تذهب إلى تماثل التجربة العقلية للإنسان، وهو قول غير دقيق وغير صحيح، لأن التجربة الذهنية تتشكل وفق النسق اللغوي المعين الذي تستعمله العشيرة، وهوة ما يطلق عليه الدارسون بمبدأ "الحتمية اللغوية" Linguistic determinism، إذ اللغة تحدد التفكير.

4- محيي الدين محسب، اللغة والفكر والعالم، ص 41.

هذه الميادين المعرفية ما حققته الفلسفة والأنثروبولوجيا واللسانيات من تطور خلال نهاية القرن 19 وبداية القرن 20، فكانت خلاصة هذا التلاقح أن وُجِدت نظرية النسبية اللغوية التي تقوم في جوهرها على نظرية إينشتاين "النسبية" (1905)، إذ لم تعد هناك حقائق تامة ونتائج علمية كاملة، فأصبحت النسبية أنموذجا Paradigm لكل الحقول العلمية الحقة والإنسانية.

ويعتبر سابير اللغة قبل كل شيء تحيينا صوتيا للتوجه الذي يعمل على رؤية الواقع بطريقة رمزية، وهذا يدل على أن للغة – إلى جانب وظيفة التواصل- وظيفة التمثيل الذي يقوم على خلق بدائل أو تمثيلات للواقع الذي يعرفه المتكلم، وهي بدائل يشكل تنظيمها ما يسمى عموما بالفكر، ويرى أن اللغة مؤسسة ثقافية اجتماعية أساسا.تعكس بعض المظاهر الثقافية، وقد تظهر هذه الانعكاسات في مستوى المعجم أو الصوتيات أو الصرف أو التركيب... وفي الحقيقة يُظهر تحليل المعطيات المقارنة أن التأثير الاجتماعي الثقافي لا يتم إلا في مستوى المعجم، أما الأنساق الأخرى فتبدو مستقلة عن أنماط الثقافة، كما يعتقد بوجود محيط طبيعي وثقافة بناها أفراد الجماعة، ولغة تعيد إنتاج بعض الخصائص الثقافية في المعجم لا غير،[1] يقول سابير:" من البدهي أن محتوى اللغة المجرد ذو صلة وثيقة بالثقافة... فالهنود الحمر الذين لم يروا الفَرَس أو لم يسمعوا عنه، كانوا مضطرين إلى اختراع – أو اقتراض- كلمة لتسميته... وإذا أخذنا القضية بمعنى أن مفردات لغة ما تعكس – بدرجة معينة من الأمانة- ثقافة الذين تخدم هذه اللغة أغراضهم، فإنه يصبح من الصحيح تماما أن تاريخ اللغة وتاريخ الثقافة يتحركان في خطوط متوازية".[2]

وسيعمق وورف Whorf مواقف أستاذه سابير، فهو يرى أن اللغة هي التي أخرجت المحيط الخارجي الطبيعي والثقافي من العدم، ولولا بنيات النسق اللساني الخاصة لما أمكن إدراكه، ولقد عالج وورف واقع التعدد اللغوي عن طريق ربط اللغة بعلم النفس، حيث اعتبر غاية علم اللغة هي أن يكون طريقة تفسيرية لمشكلات علم النفس، ليصل من خلال ذلك إلى تقديم تفسيرات لمشكلات ثقافية، كما كان يؤكد على أن مهمة علم اللغة تكمن في كشف رؤية العالم عند عشيرة ما.[3]

وقد تنبه وورف إلى الاختلافات الواضحة بين اللغات في تجسيدها الرمزي لمناحي علاقة الإنسان بالعالم، وخلص بعد كثير من الملاحظات التطبيقية إلى أن اللغة هي التي تشكل رؤية العالم، حيث تقبع الظواهر اللغوية خلف عمليات الإدراك والتصور والسلوك، لتقوم بتوجيهها مشكلة ما سماه "بالظواهر الخلفية"، حيث يقول: " إن خلفية النظام اللغوي (أو النحو) لأي لغة من اللغات ليست مجرد أداة إنتاجية لإظهار الأفكار، بل إنها هي ذاتها المُشَكِّلة لهذه الأفكار. إنه البرنامج والدليل لنشاط الفرد الذهني، ولتحليل انطباعاته، ولتركيب مخزونه الذهني".

ومن هنا فإن اختلاف اللغات عتد وورف لا يعني مجرد اختلاف شكلي في بنية النظام النحوي، وإنما يعني اختلاف أنظمة ذهنية، ولذلك يذهب وورف إلى أن تشكيل الأفكار ليس عملية مستقلة؛

1- جان بيار برونكار، أنتروبولوجيا اللغة، ص 129.

2- محيي الدين محسب، اللغة والفكر والعالم، ص 21. نقلا عما ورد في كتاب سابير (1921):

Language: An Introduction to the Study of Speech, p 215.

3- محيي الدين محسب، اللغة والفكر ووالعالم، ص 27-26.

أي أنه ليس عملية عقلية rational بالمعنى القديم للعملية العقلية، بل هو جزء من نحو معين.[1]

ولقد قامت دراسة وورف على مجموعة من الأسس النظرية، لعل من أهمها اعتبار أن الناس يؤدون المواقف بطريقة تشبه الطريقة التي يتكلمون بها عن هذه المواقف، وهو الأساس الذي فرض نفسه في اللسانيات، لأن كل لغة تصور الواقع كما تشاء، وتنظم المعقولات وتولد تأويلات للعالم، فالمدلولات اللغوية ليست متطابقة من لغة إلى أخرى، فهي تمثل تصورا للأشياء وحالة الأشياء على قدر عدد اللغات، فرغم أن "الدراجة" و"bicycle" كلمتان ترمزان إلى نفس الشيء، إلا أن العربية وصفته بالدراجة، أي الشيء الذي يدرج، على عكس الإنجليزية (وبعض اللغات الأوروبية) التي وصفته بشيء جامد له عجلتين، وهكذا نرى أن العربية اهتمت بوظيفة الدراجة، في حين ركزت الإنجليزية على شكلها الخارجي، والخلاصة أن كلتا اللغتين قدمتا لمستعمليهما صورة عن العالم الخارجي بشكل مغاير.

وتوصل وورف انطلاقا من اختلاف لغة الهوبي عن اللغات الأوروبية، إلى أن الهوبي والمجتمعات الأوروبية لا ترى العالم بالطريقة نفسها، فالهوبية تعبر عن كلمات من قبيل: "يَرْكُض، رَكَض، رَاكِض" بكلمة واحدة وهي: "Wari"، حيث إن الزمن عندهم غير مقسم إلى أجزاء. وغير مرتبط بالمكان، بينما في لغة النوتكا Nootka –لغة جزيرة فانكوفر- تبدو لنا كل الكلمات أفعالا، الأمر الذي يعني نظرة أحادية إلى الطبيعة، على عكس الإنجليزية التي تقسم معظم الكلمات إلى فئتين، لكل منهما خصائص نحوية ومنطقية مختلفة، وهاتان الفئتان هما: الأسماء والأفعال، وهو ما يبين أن اللغة الإنجليزية تعطينا تقسيما ثنائيا للطبيعة.[2]

كما يذهب وورف إلى أن اللغة الإنجليزية تميل إلى التفكير في الأسماء على أنها أشياء. وفي الأفعال على أنها أنشطة، لكن هنود الهوبي Hopi Indians يعبرون عن أشياء مثل البرق واللهب على أنها أفعال، وإذا تأملنا المثال الأكثر تعقيدا والمتصل بالزمان، فإننا نظن أنه من الطبيعي القول "عشرة أيام" بنفس الطريقة التي نقول بها "عشرة رجال"، رغم أننا لا نلمس بالتجربة اللحظية "عشرة أيام"، وبدلا من أن يتحدث الهوبي عن فترات موضوعية من الزمن، فإنهم يعبرون عن الوقت فقط كما يبدو ذاتيا للملاحظ، على ذلك، فبدلا من القول "مكثت خمسة أيام"، نجد أنهم يقولون "مكثت حتى اليوم السادس".[3]

لقد سعت الأعمال المؤطرة لفرضية النسبية اللغوية إلى بيان دور اللغة في تحديد التفكير، فهي ترى أن المجتمع لا يرى العالم إلا من خلال لغته، فاللغة تساعد التفكير وتساعد على نموه، وهو ما يجعل التحدث بلغات مختلفة يقابله رؤية العالم بأنماط مختلفة.

2- نسبية اللغة والترجمة

يعرف جاكبسون (1959 Jakobson) الترجمة بكونها عملية نقل رموز ورسائل كلامية من لغة إلى أخرى، وهذه الرموز، سواء أكانت لفظية أم غير لفظية، فإنه لكل رمز من تلك الرموز معنى ودلالة، والترجمة هي عملية نقل ذلك المعنى من سجله الأصلي إلى سجل آخر يستقبله. ويميز جاكبسون

1- نفسه، ص 31-30، نقلا عما ورد في كارول Carroll (1956): Language, Thought and Reality, p 212.

2- محيي الدين محسب، اللغة والفكر والعالم، ص 38-37.

3- جوديث جرين، التفكير واللغة، ص 118.

بين ثلاثة أنماط من الترجمة: ترجمة ضمن اللغة الواحدة Intralingnal Translation، وهي أقرب إلى التأويل، لأنها تُسَمِّي ملفوظات من لغة ما بواسطة ألفاظ تنتمي إلى اللغة ذاتها، وترجمة دلالية Inersemiotic Translation، تقوم على تأويل رموز لفظية بواسطة رموز غير لفظية (علامات المرور مثلا)، ثم هناك الترجمة اللغوية Interlingnal Translation، باعتبارها تعمل على نقل رموز كلامية؛ أي ألفاظ وجمل من لغة/ دخل إلى لغة أخرى/ خرج.[1]

وفي ارتباط الترجمة اللغوية بفرضية النسبية اللغوية، فإنه تطرح عدة إشكالات ترتبط بكيفية تصور الجماعة اللغوية/ الدخل للحياة والكون في علاقتها بالجماعة اللغوية/ الخرج، خصوصا حينما يتعلق الأمر بترجمة حرفية، لأنها تجعلنا نقرأ في فكر الشعوب الأخرى ما ليس فيه حقيقة، ويسوق كوبر (Cooper 1973) مثالا على ذلك كلمة Breakfast التي تؤدي ترجمتها الحرفية إلى أنها تعني Break+fast، أي "كسر الصوم"، في حين أن استخدامها لا يعدو يدل على "وجبة الإفطار"، وهو الأمر الذي يجعل العلاقة بين الترجمة والنسبية اللغوية تتخذ بعدين يلزم تحديدهما بشكل واضح: يرتبط البعد الأول بكون اللغات لا تتوازى من الناحية المعجمية، فقد توجد في اللغة/ الدخل وحدات معجمية تعبر عن أشياء ومفاهيم معينة، لا توجد في اللغة/ الخرج وحدات معجمية موازية تعبر عن هذه الأشياء والمفاهيم، ومن أمثلة ذلك أنه في لغة الحاوصا الإفريقية لا توجد كلمة تعني ما تعنيه كلمة "ضيق"، ولغات الهنود الحمر واللغات الأوقيانوسية (أستراليا) لا توجد كلمة مستقلة تعني "رديء"، في مقابل لغات أخرى تضع وحدات معجمية مستقلة تميزبها بين أنواع من الضيق، ففي العربية مثلا هناك تقسيمات للضيق حيث يقال: مكان ضيق، ومعيشة ضنك، وطريق لَزِب، وصدر حَرِج.

أما البعد الآخر، فهو أن اللغات لا تتوازى من ناحية الدلالة الثقافية، فقد يوجد في لغة/ الدخل وحدة معجمية تعبر عن مفهوم معين، وكذلك توجد في اللغة/ الخرج وحدة معجمية تعبر عن نفس المفهوم، ولكن من منظور ثقافي مختلف، ومثال ذلك كلمة "الشمس" التي يوجد مقابل لها في كل اللغات الإنسانية، ولكننا نجدها في العربية مؤنثة، وفي الفرنسية مذكرة (Le soleil)، وذلك راجع إلى تباين الإطار الثقافي حيث ارتباط الشمس في الأساطير السامية القديمة بالأمومة، ومن ثم عبادتها بوصفها إلهة أُمًّا.[2]

هناك أساس حقيقي لمشكلات الترجمة بين اللغات، قد لمسه كل الذين عالجوا اللغة من منظور ثقافي مقارن، وهو الأمر الذي يقره ستانلي نيومان (Newman 1964) قائلا:" في الترجمة نصل إلى ذلك الإدراك غير السار بأن كل لغة – بدلا من تشكيل ذاتها طوعا لإرادتنا- تتحكم في اتجاه تعبيرنا، وتقوده، ومن ثم نتذكر – بوضوح شديد- أن اللغات تنطوي على مقاومة داخلية، فمواردها قد تشكلت في أنساق من الأنماط التصورية والشكلية، ومن ثم نضطر داخل أنماط لغة أخرى غير لغتنا إلى إقامة فروق غير متجانسة، وإلى تجاهل فروق أخرى تبدو غير أساسية بالنسبة إلينا".[3]

1- حسن بحراوي، الترجمة في ضوء اللسانيات الحديثة، ص 266.

2- محيي الدين محسب، اللغة والفكر والعالم، ص 72-71.كما ينظر:

Cooper, D, (1973), Philosophy and the nature of language.

3- نفسه، ص 74-73، نقلا عما ورد في كتاب نيومان (1964): Linguistic Aspects of YOKUTS Style in Hymes. P 372.

إن المقاومة الداخلية للغة الأم تكتسبها من تعالقها بالجماعة اللغوية التي تمثلها، والتي تفرغ فيها كل الحمولات الثقافية والنفسية والاجتماعية، فتصنع اللغة ما تحمي به نفسها من كل ما قد يطمس هويتها ويجعلها تفتقر لعناصر وقائية ضد كل غزو محتمل، كما أن هذه المقاومة تصير صعوبة حقيقية أمام المترجم المتشبع بلغة خرج لها أيضا وسائل مقاومة، ليست على مستوى بنيتها الداخلية، وإنما لما تشبعت به أيضا من حمولة ثقافية، وهذا الأمر يبدو شديد الوضوح حينما يتعلق الأمر بترجمة الأعمال الأدبية، باعتبار هذه الأخيرة الوعاء المطاطي الذي يحمل جوهر الروح الثقافي للجماعة المنتجة لها، فكيف يمكن مثلا ترجمة معلقة عمرو بن كلثوم في الشعر العربي أو غيرها من المعلقات، بكل تلك الأبعاد الثقافية للقبيلة العربية، وقداسة الذكورية، وفروسية المرء، ناهيك عن شاعريته وما يتعلق بها من صور تتجاوز حقيقة الواقع نحو رسم صورة يتباهى بها الشاعر وقبيلته أمام نظرائه، ثم تحتفظ الترجمة بكل ما تعكسه اللغة/ الدخل من هذه الأبعاد، وهو أمر فيه نوع من الغلو.

ولا يقتصر الأمر على الأعمال الأدبية الحاضنة للموروث الثقافي، بل إن المصطلحات العلمية الخاصة تعرف صعوبة عند الرغبة في نقلها إلى لغة/ خرج أخرى، إذ أن أي استعمال علمي للمصطلحات يؤدي إلى توقع اختلاف معانيها عند تعريفها بالنسبة لكل لغة معينة، بل إن هناك احتمالا بانعدام معانيها بالنسبة لبعض اللغات، أو هكذا يتصورها وورف، وهي الفكرة التي تواجه كل من يتصدى لترجمة المصطلحات الخاصة مثلا بنحو لغة معينة إلى لغة أخرى، ويتبدى ذلك من خلال ترجمة بعض مصطلحات النحو العربي إلى الإنجليزية، إذ يورد المترجم أكثر من صيغة في ترجمة المصطلح الواحد. أو يأتي بعبارات شارحة، أو يلجأ إلى استعارة مصطلحات لاتينية، أو يكتب المصطلح كتابة صوتية في إطار ما يعرف بالاقتراض، ومن أمثلة ذلك مصطلح "المفعول المطلق" حيث يترجمه المستشرق رايت wright بثلاث صيغ هي:

(3) صيغة أولى: Objective complement

صيغة ثانية: Absolute object

صيغة ثالثة: Cognate accusative

أما المستشرق هاول Howell فيترجم المصطلح نفسه باستخدام صيغة رابعة هي: unrestricted، كما أن رايت يترجم مصطلح "الفعل المضارع" بالمصطلح Imperfect، وهي ترجمة لا تنظر إلى الدلالة اللغوية للمصطلح، وهي دلالة مقصودة في المصطلح العربي، حيث إنه يشير إلى مشابهة هذا الفعل للاسم في قبول التغير الإعرابي، فيقبل الرفع والنصب والجزم.

ومن أمثلة ذلك أيضا مصطلح المصدر في النحو العربي، إذ يستخدم رايت مقابلا له المصطلح اللاتيني nomen verbi، بينما يترجمه المستشرق الهولاندي كيس فرستيغ بصيغة Infinitive تارة، وتارة أخرى يستخدم الكتابة الصوتية، بينما يستخدم هاول الصيغة Infinitive noun للمصطلح العربي نفسه.[1]

ولا يقتصر الأمر على ترجمة مصطلحات من النحو العربي بكل ما تحمله من مرجعيات مرتبطة

1- محيي الدين محسب، اللغة والفكر والعالم، ص 36-35.

بالثقافة العربية، بل يتجاوزه إلى ترجمة المصطلحات اللسانية الأجنبية إلى اللغة العربية، ومثاله مصطلح Optimality، إذ يذهب محمد الفتحي (2006) إلى ترجمته بالمفاضلة، حيث إن أي دخل معطى تكون له خروج عدة، والذي يستجيب لنسق القيود يكون الأفضل، غير أن ما يؤخذ على مفهوم المفاضلة هو تلك النزعة غير العلمية القائمة على مبدإ التمييز بين الجيد والرديء، وبين الجيد والأجود، والتي آثرت اللسانيات البنيوية منذ نشأتها عدم الخوض في مثل هكذا قضايا، لارتباطاتها الذاتية وابتعادها عن الموضوعية، ويرى تورابي عبد الرزاق (2004) أن الترجمة الأنسب لهذا المصطلح هي صيغة الأمثلية، بينما يتبنى بلبول (2007) مفهوما آخر باستعماله مصطلح المثلوية، في حين يقترح مبارك حنون تسميته بمقابل المثلى، أما مصطفى غولة فيستعمل اصطلاح الأولويات.[1]

خاتمة:

إن ما تكشفه الأمثلة أعلاه – وهي قليل من كثير لا يسعف المقام لذكر معظمها- هو وجود عسر يعترض عمل المترجم، ليس على مستوى تمكنه من لغة الخرج والدخل معا، وإنما محاولة منه استيعاب التنوعات الثقافية بين اللغتين، وإيجاد السبل لكسر المقاومة الداخلية للغته الأم قصد نقل صورة أقرب إلى الحقيقة، أبعد عن خيانة النص الأصلي.

لا ينكر أحد قيمة الترجمة في بناء المعرفة، وربط جسور التلاقح بين عشائر مختلفة، وتقريب الهوة بين حضارات الماضي والحاضر، نحو بناء صورة عن المستقبل، لكن ذلك لا يتأتى إلا إذا كنا أمام ترجمة حقيقية، تراعي طبائع اللغات ومتكلميها، وما يرتبط بهم من أبعاد نفسية واجتماعية وثقافية، وإلا فإن الترجمة ستصير تجنيا على النص الأصلي، ليس من حيث بنيته اللغوية، ولا من حيث بنية اللغة الخرج، وإنما من حيث تمكين القارئ من استيعاب الفروق بين النسختين، استيعابا ينبني على ضمان التكافؤ بينهما، والكشف عن الرؤى المختلفة للعالم.

وإذا كانت الترجمة عملية نقل نص أصلي إلى لغة أخرى، فإنه ينبغي التريث في أثناء هذه العملية، فبقدر استيعاب النص داخليا تتبدى حدود أخرى خارجية، تظل قراءته بعيدا عنها مجرد نقل صوري- حرفي مجرد من أشياء تساعد على إدراكه في الزمان والمكان، خصوصا في ظل عولمة لا تستحيي من تكسير الحدود الفاصلة بين الثقافات، وتحاول تنميط الإنسان، لغة ومداركا وتصورات للعالم.

لائحة المصادر والمراجع باللغتين العربية والأجنبية:

1. بحراوي، حسن: (2015)، الترجمة في ضوء اللسانيات الحديثة، مجلة عالم الفكر، العدد 4، المجلد 43، الكويت.
2. بركة، بسام: (2012)، الترجمة إلى العربية: دورها في تعزيز الثقافة وبناء الهوية، منشورات المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، مجلة تبين، العدد 1.
3. برونكار، جون بيار، أنتروبولوجيا اللغة، ترجمة أحمد الفوحي، مجلة علامات، العدد 22، مكناس، 2004.

1- محمد الفتحي، الأبنية في اللغة العربية: تفاعل الصرف والتطريز، ص 76. ينظر أيضا: عبد الرزاق تورابي، الأفعال المعتلة في اللغة العربية: مقاربة أمثلية، ص 77.محمد بلبول، مدخل لنظرية المثلوية، ص 1.

4. بلبول، محمد: (2007)، مدخل لنظرية المثلوية، مجلة اللغات واللسانيات، العدد 19-18، منشورات جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس.
5. توراني، عبد الرزاق: (2004)، الأفعال المعتلة في اللغة العربية: مقاربة أمثلية، في كتاب سمات الفعل وطرق بنائها، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، جامعة محمد الخامس، الرباط.
6. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مطبعة مصطفى اليابي الحلبي وأولاده، الطبعة 2، مصر، 1384هـ/ 1965م.
7. جحفة، عبد المجيد: (2000)، مدخل إلى الدلالة الحديثة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء. الطبعة 1.
8. جرين، جوديث، التفكيرواللغة، ترجمة عبد الرحيم جبر، الهيئة العامة المصرية للكتاب، 1992.
9. جوزيف، جون: (2004)، اللغة والهوية: قومية، إثنية، دينية، ترجمة عبد النور خراقي، مجلة عالم المعرفة، عدد 342، الكويت، 2007.
10. الفتحي، محمد: (2006)، الأبنية في اللغة العربية: تفاعل الصرف والتطريز، منشورات دار ما بعد الحداثة، فاس.
11. محسب، محيي الدين: (1998)، اللغة والفكر والعالم: دراسة في النسبية اللغوية بين الفرضية والتحقق، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان، الطبعة 1، القاهرة.
12. Carroll, J: (1956), Language, Thought and Reality, Selected writing of B. L. Whorf. Tbe MIT Press. Mass.
13. Cooper, D: (1973), Philosophy and the nature of language, London longman.
14. Jackendoff, R: (1983), Semantics and cognition, MIT Press.
15. Jakobson, R: (1959), On linguistic aspects of translation. In R.A. Brower ed on translation, Combridge, Mass, Harvard university press.
16. Newman, S: (1964), Linguistic Aspects of Yokuts Style, In Hymes, D. ed: Language in culture and society.
17. Sapir, E: (1921), Language: An introduction to the study of speech, New York: Harcourt, brace and company.
18. Schaef, A: (1969), Langage et connaissance, Paris Anthropos, Collection Points.



النص بين حجاج: لسانيات اللغة و لسانيات الكلام

د. لكحل سعاد جامعة لونيسي علي - البليدة 2 - الجزائر-

ملخص:

يرى الكثير من الباحثين أن موضوع التداولية هو دراسة السلوك اللغوي في إطار الموضوع الشامل وهو الفعل (action) البشري أو الاستعمال اللغوي في سياق التواصل، غير أن تصور الحجاجيات اللسانيات بمفهوم الحجاج يختلف عن التصور الكلاسيكي للحجة و الخطابة عموما، ولعل هذا الاختلاف مرده الجذور التي استمدت منها النظرية ركائزها. نظرية، ترى في اللغة أداة تختزن العالم من حولنا، ما يخلق معه نمطا خاصا لقراءة العديد من نماذج النص عبر هذا المنظور باعتماد مجموعة من القوانين الداخلية و العناصر المهيمنة التي تحكم بنائه، قدمتها الحجاجيات اللسانية كمؤشرات توجيهية لغوية مساعدة في معرفة طبيعة المدار الحجاجي للنص بطريقة تُراعَى فيها خصوصياته و معاييره البنائية.

الكلمات المفتاحية: الحجاجيات اللسانية، الحجاج اللغوي، التقنيات الحجاجية، المعنى الحجاجي، مؤشرات نصية، سيرورة النص الحجاجي.

Abstract :

Researchers believe that the topic of pragmatic is the study of linguistic behavior In the context of a universal theme of human action, that means the linguistic use in the context of communication,

However, the perception of Argument of linguistics is different from the classical perception of the argument and public speaking in general, This difference is rooted in theory which sees language as a tool for storing the world, This perspective makes us look for special ways to read the text relying on internal laws and controlling elements that control the construction of the text

Which provided by the Argument of linguistics as ways to guide our reading and comprehension the Text. so that we know the regularity of the Argument in the Text in such a way that we preserve the characteristics of the text and its Structural Criteria.

Keywords: Argumentation, linguistic Argument, Textual signs, Process of Argument text.

مقدمة:

يشير اللغوي الفرنسي (O.Ducrot) في كتابه "الحجاج في اللغة" الذي شاركه في تأليفه (J.C.Ans-combre) إلى أن الحجاج اللغوي يقوم على اللغة بالأساس ويكمن فيها،[1] وهو تقديم الأدلة و الحجج المؤدية إلى نتيجة معينة، عن طريق إنجاز تسلسلات إستنتاجية داخل الخطاب، و بعبارة أخرى يتمثل في إنجاز متواليات الأقوال بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية وبعضها الأخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها، وكون أن اللغة لها وظيفة حجاجية يعني أن التسلسلات الخطابية محددة لا بواسطة الوقائع (les faits) المعبر عنها داخل الأقوال فقط لكنها محددة أيضا و – أساسا- بواسطة بنية هذه الأقوال نفسها و بواسطة المواد اللغوية التي تم توظيفها و تشغيلها،[2] فكيف ينتظم الحجاج اللغوي داخل النصوص و ماهي طرق اشتغاله؟

الحجاج من المنظور اللغوي:

إن الحجاج اللغوي يختلف اختلافا كليا عن مجموعة النظريات الحجاجية الكلاسيكية مثل التي تنتمي إلى البلاغة الكلاسيكية أو التي تنتمي إلى البلاغة الحديثة كما عند (Perelman Tyteca) و (Michel. Meyer) أو تلك التي تنتمي إلى المنطق الطبيعي كما عند (G.B.Grize)[3] و غيرها، فالحجاج في اللغة متصل بالعلاقات بين الأقوال في النصوص و الخطابات و الحكم فيها يكون مؤسسا على درجة القوة أو الضعف على عكس الاستدلالات الذي تتصل علاقاته بين القضايا و الحكم فيها يُؤسس على درجة صدق أو كذب القضية.[4]

تحمل اللغة بتعبير (O.Ducrot) بصفة ذاتية و جوهرية وظيفة حجاجية تتجلى في بنية الأقوال ذاتها صوتيا، صرفيا، تركيبيا و دلاليا تجعل من دراسة الحجاج في اللغة تنتمي إلى البحوث التي تُعنَى باكتشاف منطق اللغة "أي القواعد الداخلية للخطاب و المتحكمة في تسلسل الأقوال و تتابعها بشكل متنامي و تدريجي[5] و للتوضيح فقد فرّق (O.Ducrot) بين معنيين للفظ الحجاج بين "المعنى العادي و المعنى الفني"، أما الحجاج بالمعنى العادي فيقصد به طريقة عرض الحجج و تقديمها يستهدف منه التأثير في السامع و ليكون بذلك الخطاب ناجعا فعالا لا يجب ان تُهمل طبيعة السامع أو المستقبِل المستهدف من هذا الحجاج، فنجاح الخطاب يكمن في مدى مناسبته للسامع و مدى قدرة التقنيات الحجاجية المستخدمة في إقناعه، أما الحجاج بالمعنى الفني فهو يدل على صنف مخصوص من العلاقات المودعة في الخطاب و المدرجة في اللسان ضمن المحتويات الدلالية.[6]

منطلقات الحجاجيات اللسانية:

استندت البدايات الأولى للحجاجيات اللسانية في صياغتها للحجاج اللغوي على خلفية منهجية

1- عباس حشاني، مصطلح الحجاج: بواعثه و تقنياته، مجلة المخبر، العدد التاسع، جامعة بسكرة، الجزائر، 2013. ص 270.

2- أبو بكر العزاوي، الحجاج في اللغة، ضمن سلسلة كتب، الحجاج: مفهومه و مجالاته دراسات نظرية و تطبيقية في البلاغة الجديدة، ج 1،عالم الكتاب الحديث، الأردن،ط1، 2010، ص72.

3- جميل حمداوي، نظريات الحجاج، ص 33. Http// :www.alukah.net

4- محمد سالم محمد الامين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة: بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، 2008، ط1، ص 192.

5- جميل حمداوي، نظريات الحجاج، مرجع سبق ذكره، ص 34.

6- عباس حشاني، مصطلح الحجاج: بواعثه و تقنياته، مرجع سبق ذكره، ص 270.

ونظرية صلبة استمدت من المنهج البنيوي[1] في صورتها الأصلية كما أرساه (F.De Saussure) في بداية القرن العشرين في كتابه "دروس في اللسانيات العامة" من خلال مجموعة من النماذج و المقاربات التي أنجزها رواد هذه المدرسة لبعض الظواهر الخطابية، حينما باشروا بدراسة اللغة في ذاتها و لأجل ذاتها. و عليه، كان الإجراء المنهجي في أعمال المدرسة الحجاجية اللسانية إمتداد للدلاليات اللسانية من خلال الأعمال و الأبحاث المبكرة خلال أواخر السبعينات وبداية الثمانينات من القرن العشرين، فقد شدد (O.Ducrot و J.C.Anscombre) على أن دراسة الجمل و الملفوظات يجب أن تتم في استقلال تام عن المتلفظ و ما يتصل به من المعطيات السيكولوجية و الإجتماعية[2] من خلال الإبتعاد عن كل الموضوعات الغير اللسانية ونفي الذات المتكلمة، وهذا يعني غض الطرف عن الكثير من الوقائع التي تعتبر عادة ضمن التداولية من قبيل المعطيات السياقية و المعطيات التخاطبية من خلال تأكيده قائلا: "إن مفهوم التلفظ الذي أوظفه لا علاقة له بالسيكولوجيا، بل و لا يفترض أصلا أن الملفوظ تم إنتاجه من قبل ذات متكلمة،"[3] هذا يعني أن الأقوال اللغوية تحمل في جوهرها مؤشرات لسانية ذاتية تدل على طابعها الحجاجي دون أن يكون ذلك متعلقا بالسياق التداولي الخارجي،[4] وعليه يتبين لنا من الأبحاث اللسانية ذات التوجه التداولي الحجاجي أنها ترفض:

قصر التفكير في اللغة على اللسان لا على الكلام – بتعبير (F.De Saussure) – أي دراسة السنن بمعزل عن مجال اشتغاله و مختلف تحققاته التلفظية.

إعتبار اللغة أداة محايدة تقوم بالإخبار ووصف الواقع و التعبير عن الأفكار.[5]

إن هذا التطويع البنيوي للدلاليات اللسانية و من خلال الحجاجيات اللسانية في سياق الفصل بمبدأ "المحايثة" ستكون ثمرة ظهور "التداولية المدمجة"، فقد كان الحجاج في اللغة في الكثير من الأحيان ينزلق ليسقط في قدر من الواقعية بسبب بعض الثغرات التي كان ينطوي عليها هذا التصور في نفس الفترة، خصوصا اعتماده على نظرية "أفعال الكلام" التي تربط النشاط اللغوي بالذات الفاعلة لها مقوماتها السيكولوجية و الإجتماعية،[6] ما يُظهِر أن هناك تحول للدرس الحجاجي اللساني ومعه الدراسة التداولية، لم يتم هذا التحول دفعة واحدة إنما عبر مسارات متعددة[7] ظل

1- كان يسعى (O.Ducrot - J.C.Anscombre) إلى البقاء ضمن الإطار العام للبنيوية السوسيرية و المحافظة على المسلمة الأساسية التي تقضي بالبقاء ضمن إطار المعالجة اللسانية الداخلية من خلال إعتماد "الجملة" كوحدة دنيا وكأساس للدراسة الدلالية القائمة مقام (العلامة) في اللسانيات السوسيرية و بالتالي يتعين أن يتم إسناد (المدلول) إليها و هو ما اصطلح عليه "بالدلاليات الحجاجية اللسانية".

2- هذا الإجراء المنهجي إمتداد للنقلة التي أحدثها (F.De Saussure) في اللسانيات من خلال الإرتكاز على مبدأ أساسي من مبادئ المنهجية البنيوية و هو مبدا المحايثة الذي يقتضي قطع الصلة بين اللغة و المعطيات الخارجية.

3- رشيد الراضي، الحجاجيات اللسانية و المنهجية البنيوية، الحجاج: مفهومه و مجالاته دراسات نظرية و تطبيقية في البلاغة الجديدة، ج 2،عالم الكتاب الحديث، الأردن، ط1، 2010، ص 83.

4- جميل حمداوي، نظريات الحجاج، مرجع سبق ذكره، ص 34.

5- عبد العزيز لحويدق : الأسس النظرية لبناء شبكة قرائية للنصوص الحجاجية ، الحجاج: مفهومه و مجالاته دراسات نظرية و تطبيقية في البلاغة الجديدة، ج 3،عالم الكتاب الحديث، الأردن، ط1، 2010،ص347.

6- أصبح (O.Ducrot) فيما بعد يدعو إلى ضرورة التمييز بين الحجاجيات اللسانية و الحجاجيات الخطابية و ذلك بعد ظهور العديد من المشكلات المترتبة عن هذا الخلط بسبب إرتكازه على نظرية أفعال الكلام التي تنظر إلى الحجاج كفعل كلامي و هو ما يجعل هذه الظاهرة اللغوية اللسانية ملحقة بفاعلية خارجية واقعية.

7- مرت الحجاجيات اللسانية بمجموعة من المراحل التي تطورت عبرها و تم جمعها في خمس مراحل إلى الأن:

فيها الإلتزام بالمنهج البنيوي مطبوعا في أغلب أعمال (O.Ducrot - J.C.Anscombre).

التداولية المدمجة:

لقد أصبحت الأعمال التي تنجز في إطار هذا التخصص "الحجاجيات اللسانية" مرصودة في عمومها لدراسة المظاهر الحجاجية للملفوظات و المرتبطة بآليات التوجيه المركوزة في بنية اللغة، بحيث يتعين النظر الى تلفظ ما "التداولي" كعنصر ينتمي إلى النسق اللغوي وبنيتها، يرى فيها (O.Ducrot J.C.Anscombre) أنه يجب إدماجها في الوصف الدلالي وليس فقط إضافتها إليه لأن: القول بتعبير (O.Ducrot) منطبع أصلا في المقول[1*][2]، حيث ترتكز التداولية المدمجة على تلك الوقائع التي لها إرتباط بمظهر تداولي أكثر تخصيصا، أين تتظافر فيها مجموعة من المعلومات المتعلقة بالمكون اللغوي و المكون البلاغي يتم ربطها بالسياق الخارجي لكي يستخرج معنى الملفوظ، يقول (O.Ducrot) "سننطلق من الملاحظة البسيطة التي تقول إن كثيرا من أفعال التلفظ تتميز بوظيفة حجاجية تتمثل في كون هذه الأفعال تسعى إلى جعل المخاطب يصل إلى نتيجة معينة أو ينصرف عنها، و أقل بساطة من ذلك ربما الملاحظة التي تقول أن هذه الوظيفة تختلف فيها العلامات في بنية الجملة ذاتها، و الأمر هنا يتعلق بالاستعمال الحجاجي للغة أي بفعل تلفظي خاص هو الحجاج، يصبح فيه إهتمام التداولية المدمجة منصبا أساسا على مستويين "اللغوي و البلاغي" يقوم الأول على تحلل دور الوحدات التركيبية من "أدوات ربط و حذف و تأكيد و عطف"، في حين تُحلل في المستوى الثاني علاقة الدلالة بالمقام و ما بينهما من علاقات و أثار السياقات خارج النص و المنطبعة في الملفوظ[3]

التأليفات الخطابية:

لقد حاول (O.Ducrot) في العديد من أعماله أن يثبت قدرة اللغة على تخزين الظواهر الحجاجية في الملفوظات من خلال العمل على استخراج و تصنيف العديد من المصطلحات و المفاهيم الإجرائية من مثل (العوامل الحجاجية، الروابط الحجاجية، الوجهة الحجاجية، الإرشادات، القيمة الحجاجية، المعنى الحجاجي إلخ...، و هي كلها مفاهيم تعنى بدراسة المظاهر الحجاجية للملفوظات

1- المرحلة التي تم فيها النظر إلى اللغة و الحجاج كما لو كان كلا واحدا و هي نفس الفكرة التي كانت سائدة في درس الخطابة
25-المرحلة التي تم فيها التفاعل مع الفلسفة التحليلية وردم الهوة بين الحجاج و اللغة رغم بقاء القول عن استقلال الحجاج عن البنيات للغوية إلا أنه بدأ الحديث عن إنعكاس الحجاج في اللغة عبر خصائص تميز الملفوظات" التمييز بين العباري(posé) و المحتوى الاقتضائي (présupposé) " .

3- المرحلة التي تم فيها الكشف عن وجود عوامل حجاجية في بنية اللغة ذاتها من خلال صدور كتاب " الحجاج في اللغة " عام 1983.

4- المرحلة التي تم فيها التاكيد على أن اللغة ماهي إلا مظاهر لحركة حجاجية شاملة عن طريق العودة إلى مفهوم الموضع ذي الجذور الأرسطية.

5- هي المرحلة التي لا يزال الاشتغال فيها متواصلا في اطار هذا التوجه مع الحرص على الالتزام بالفضاء العلمي للبنيوية السوسيرية وكذا الابقاء على رفض فكرة تفسير وظيفة التصورات الدلالية انطلاقا من الواقع. أنظر: رشيد الراضي، الحجاجيات اللسانية و المنهجية البنيوية، مرجع سبق ذكره، ص 88.87.

1-* مثال: القول(أنا أقول): تخرج زيد من الجامعة، المقول(أنت تقول): زيد ليس في الجامعة الأن، المقتضى(المسكوت عنه): كان زيد يدرس في الجامعة.

2 - رشيد الراضي، الحجاجيات اللسانية و المنهجية البنيوية مرجع سبق ذكره، ص 83.

3- محمد سالم محمد الامين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة: بحث في بلاغة النقد المعاصر، مرجع سبق ذكره، ص 191.

و المرتبطة بأليات التوجيه المركوزة في بنية اللغة تهتم بالخطاب بوصفه تلفظا يتضمن بطريقة ضمنية أو صريحة - مكونات الوضعية التواصلية- هذه الوضعية التي يمكن أن نستشفّها إنطلاقا من (الضمائر، أسماء الإشارة، أسماء الزمان و المكان ....فضلا عن الألفاظ ذات المحتوى القيمي...) التي تنم عن مدى إنخراط الذات المتكلمة في المكون القيمي للخطاب، فالقيمة الحجاجية للملفوظ ليست فقد نتيجة للمعلومات التي يسوقها ولكن الجملة يمكنها أن تتضمن تصريفات وعبارات و صياغة مختلفة تؤدي إضافة إلى وظيفتها الاخبارية وظيفة منح الملفوظ وجهة حجاجية (-Orientation argumentative)، فإذا كان قول ما يمكّن من إنشاء فعل حجاجي فإن القيمة الحجاجية لهذا القول يتم تحديدها بواسطة الإتجاه الحجاجي الذي قد يكون صريحا أو مضمرا، و إذا كان الخطاب مُعلمًا أي مشتملا على بعض الروابط و العوامل الحجاجية فإن هذه الروابط و الأدوات تكون متضمّنة لمجموعة من الإشارات و التعليمات التي تتعلق بالطريقة التي يتم بها توجيه القول أو الخطاب، أما في حالة كون القول غير مُعلَّم فإن التعليمات المحددة للإتجاه الحجاجي تستنتج إذ ذاك من الألفاظ و المفردات بالإضافة إلى السياق التداولي و الخطاب العام.[1]

لقد إعتمد (O.Ducrot) هذه النظرية الدلالية الإرشادية كحامل للتصور الحجاجي اللساني،

فالمظاهر الحجاجية داخل الخطاب هي بدورها تحضر في صورة إرشادات تمثل جزءا من دلالة الجملة و هي التي تمكّن المخاطبين بملفوظات هذه الجمل من تأويلها و إقتناص معناها.[2] و اللغة غنية بهذه الإرشادات التي تُمارس ضمن التلفظية الخطابية للغة الواصفة الحجاجية (-Métalangage argumentative) [3] فإذا قال متكلم أن هذا الكتاب مفيد، قد نستنتج أنه يحضنا على قراءته ووِجهته في ذلك أنه مفيد، هذا الإستنتاج حسب التصور الكلاسيكي للحجاج يتم بمقتضى قانون من قوانين الخطاب، و القوانين هذه رغم أنها تحكم إشتغال النسق اللغوي إلا أنها لا تنتمي إلى هذا النسق فهي من طبيعة إجتماعية وثقافية أي أنها توجد خارج بنية اللغة، لكن مقابل هذا الطرح نجد (O.Ducrot) يؤكد على أن الغاية من توظيف هذه النظرية الدلالية الإرشادية إنما الإبتعاد عن مفهوم قوانين الخطاب في التداولية التقليدية، وقد كان رفضه لهذا المفهوم أي "قوانين الخطاب" مدفوعا بذات الحرص على قطع الصلة بين الواقع و العالم الخارجي، فالتوجيهات التي تمكننا من فهم الملفوظات ليس مصدرها السياق التداولي الخارجي الذي يشتغل عبر قوانين الخطاب لأن الإنسياق وراء هذه القوانين يبعد الدراسة عن المجال اللساني البحت ويجعلها تتيه خلف معطيات خارج اللغة.[4] يتّضح أن الحجاجيات اللسانية تركز على ميزتين أساسيتين هما:

- التأكيد على الوظيفة الحجاجية للبنى اللغوية.
- إبراز السمة التوجيهية للخطاب.[5]

1- أبو بكر العزاوي، الحجاج في اللغة، ج1، مرجع سبق ذكره، ص 62.

2- رشيد الراضي، الحجاجيات اللسانية و المنهجية البنيوية، ج 2، مرجع سبق ذكره، ص 86.

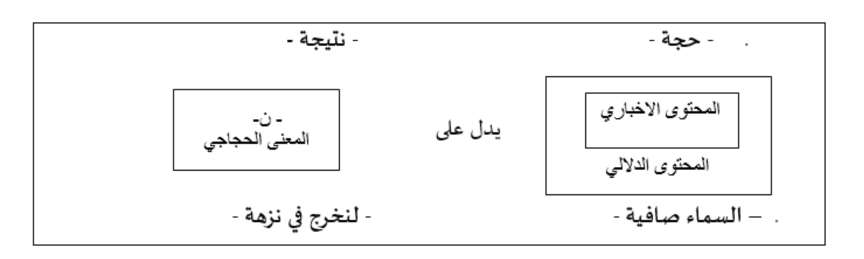
3- بن عيسى أزاييط، البعد التداولي في الحجاج اللساني: استثمار التداولية المدمجة (مناظرة متى بن يونس و ابي سعيد السيرافي نموذجا)، ضمن سلسلة كتب، الحجاج مفهومه و مجالاته ،دراسات نظرية و تطبيقية في البلاغة الجديدة، ج 04، عالم الكتب الحديث، ط 1، 2010، ص300

4- رشيد الراضي، الحجاجيات اللسانية و المنهجية البنيوية، ج2، مرجع سبق ذكره، ص 84.

5- عباس حشاني، مصطلح الحجاج: بواعثه و تقنياته، مرجع سبق ذكره، ص 271.

- المعنى الإخباري و حجاجية المعنى الدلالي:

ترى الحجاجيات اللسانية أن الوظيفة الأساسية للغة ليست الوظيفة التواصلية الإخبارية بل هي الوظيفة الحجاجية أما وظيفة التواصل فهي وظيفة ثانوية ليس إلا، فالنظر إلى الملفوظ من منظور دلالي له مضمون إخباري أما من منظور تداولي فهو ذو قيمة تكميلية (une valeur illocutoire) تجعل منه فعلا كلاميا فعندما يتلفظ المتكلم أو يقدم معلومة من مثل السماء صافية - هل هو يخبر السامع بشيء؟ هل ينقل إليه خبرا جديدا لا يعلمه السامع ؟ فالكل يعلم هذا الخبر، لكن القول تم استخدامه في خطاب ما، ووُظِّف من قبل متكلم ما، في سياق معين، و من وراء قصد معين، دخول مثل هذه العناصر في الملفوظ يجعله فاقدا لطبيعته الإخبارية و إن ظل محتفظا بمحتواه الإعلامي أو القضوي هذا المحتوى الذي يحمل وظيفة ثانوية، مقارنة بوظيفة الأساسية التي لا ينفرد بها إلا المكون الدلالي في القول أي - ما الذي يدل عليه -و الذي يوجهه وجهة معينة أي - يحدّد نمط النتيجة الممكنة أو نمط القول الذي يمكن أن يتلوه - و هو ما يعرف بالمعنى الحجاجي[1] و الترسيمة التالية توضح المعنى:



يرفض (O.Ducrot) الرأي القائل أن القيم التداولية تضاف ببساطة إلى القيم الدلالية

الأولى أي إلى – المعنى الحرفي- تبعا للوضعية التواصلية، ما يطرح مشكل معرفة كيفية تمفصل البعدين الإخباري و الدلالي فمعنى الملفوظ بالنسبة إليه لا يمكن إختزاله في دلالة الجملة التي أضيفت إليها القيم التداولية المستعارة من الوضعية التواصلية، يقول: "إني أرى إختلافا جوهريا بين المعنى و الدلالة و بذلك أتبنى عكس التصور الشائع الذي يذهب إلى أن معنى الملفوظ هو دلالة الجملة مع بعض التوابل المستعارة من وضعية الخطاب" و معنى هذا أن المعنى يتضمن الدلالة من جهة و الإضافات التي تحملها الوضعية التواصلية من جهة أخرى، ثم يضيف "إني أرفض دون أن أبرر سبب رفضي أن أجعل من الدلالة جزءا من المعنى إني أفضل أن أقدم "الدلالة" بوصفها مجموعة من التوجيهات الممنوحة لمن سيؤول ملفوظات الجملة"، يتضح انه يجعل من التوجيهات هي المحدد لطبيعة الأنشطة التي ينبغي القيام بها لمنح هذه الملفوظات معناً، فمعرفة دلالة الجملة الكامنة تحت ملفوظ من قبيل : - الجو جميل- تقتضي معرفة ما الذي يجب فعله و نحن في حضرة هذا الملفوظ حتى نتمكن من تأويله، إن الدلالة تتضمن على سبيل المثال "توجيها" يتساءل عن المكان الذي يتكلم عنه المتكلم و يدعو إلى قبول أن المتكلم يأكد وجود جو جميل في المكان الذي يتكلم

1- أبو بكر العزاوي، الحجاج في اللغة،ج1 مرجع سبق ذكره، ص 70.

عنه وهذا يعني أن ملفوظا من قبيل:" الجوجميل" لا يمكن أن يكون له معنى بأن " الجوجميل في مطلق المكان وإنما يدل على أن الجوجميل في (Grenoble) أوفي (Paris) أوفي (Waterloo) ...أي في المكان الذي يتكلم فيه المتكلم.[1]من هنا يتبين أن لسانيات اللغة غيرممكنة إذا لم تكن هناك أيضا لسانيات الكلام ومعنى هذا أن البعد الحجاجي للغة غيرمنفك عن اللغة، ذلك أن معنى الملفوظ يقتضي كجزء مدمج ومكون، هذا الشكل من التأثير الذي نسميه القوة الحجاجية (-Force argu mentative) فأن تدل بالنسبة إلى ملفوظ ما هوأن توجه فكما أن اللغة في المقام الأول تسعى إلى تحديد معنى الملفوظات فإنها تعدّ أيضا المجال المفضّل الذي يتبلور فيه الحجاج ومادام الأمركذلك فإن البعد التداولي لا يعد تابعا للمضمون الإخباري بل العكس هو الحاصل، تقول (-C.K.Orec chionnie) مؤكدة أهمية البعد الحجاجي مقارنة بالمضمون الإخباري " نريد أن نخلص إلى القول أن الوظيفة الإخبارية تقوم في المرتبة الثانية بالنسبة إلى الوظيفة الحجاجية ذلك أن النيّة في وصف الواقع ليس في واقع الأمرإلا مطيّة لنية أكثرعمقا وهي التأثيرفي أراء الأخر".[2]

- الحجاج التداولي الدّلالي:

لقد أصبحت جل الدراسات اللسانية الحديثة تأكد وجود عناصر براغماتية –تداولية- في الحقل الدلالي، هذه العناصرلا تتعلق فقط بالظاهرة التأويلية ولكن لها علاقة أيضا بالتواصل داخل اللغة الطبيعية وقد أكد (O.Ducrot)على وجود الأبعاد التداولية والدلالية الكامنة في لغة التواصل اليومية لأن اللغة في معناها العام قيد يضبط ترتيب الأقوال وترابطها وهوترابط لا يستند إلى قواعد الإستدلال المنطقي، إنما هوترابط مسجل في أبنية اللغة بصفة علاقات توجه القول وجهة دون أخرى وتفرض ربطه بقول دون أخر، فموضوع الحجاج في اللغة هوبيان ما يتضمنه القول من قوة حجاجية تمثل مكونا أساسيا لا ينفصل عن معناه يجعل المتكلم في اللحظة التي يتكلم فيها يوجه قوله وجهة حجاجية ما وهوما يصوغ البحث في البنى اللغوية للأقوال لمعرفة طاقاتها الحجاجية الملائمة لكل سياق "مقام" على حدى. يحدث الباث[3]* في وضع معين جملة من الأعمال الإقناعية ذات طبيعة بلاغية معقدة تفعل في المتلقي الذي يحدث بدوره جملة أخرى من الأعمال، فالحجاج كظاهرة لسانية لا يمكن تفسيرها دون إبرازمراتب المتكلمين وأدوارهم والوقوف على العناصروالروابط الحجاجية باعتبارها أدوات لسانية تصنع المنطوقات والأقوال وتوجهها[4] فقد يرد التوجه الحجاجي توجها نصيا بالنظرإليه من زاوية أنه بنية نصية يكون التركيزفيه على الجوانب اللغوية فقط وذلك بالحديث على الأدوات اللغوية التي تلعب في النص دورا حجاجيا أو قد يرد الحجاج توجها لفضيا بحسب زوايا التناول كالتركيزعلى المتكلم مثلا بكونه زاوية للتفاعل أين

1- Oswald, Ducrot, Le dire et le dit, Ed.de Minuit, 1983,P180.

عن: عبد العزيزلحويدق : الأسس النظرية لبناء شبكة قرائية للنصوص الحجاجية ، ج03، مرجع سبق ذكره، ص 349.348

2- C.Kerbat.Orecchionnie, L'énonciation de la subjectivité dans la langue, colin, 1980, P2.

عن: عبد العزيزلحويدق : الاسس النظرية لبناء شبكة قرائية للنصوص الحجاجية ، ج03، مرجع سبق ذكره، ص 349.

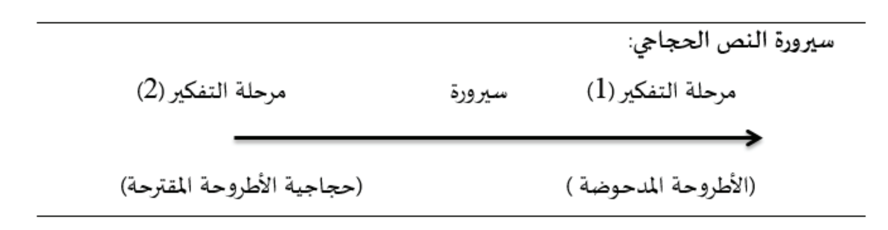
3-* يدل مصطلح (الباث) (Émetteur) على الشخص الذي ينطلق منه النص مثل المؤلف، الناشر، المرسل أوكل من كُلف بأمر توصيل رسالة.

4- محمد سالم محمد الامين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة: بحث في بلاغة النقد المعاصر، مرجع سبق ذكره، ص190.

يصبح الحجاج جزءا من صميم المدرسة البراغماتية المؤسسة على مفهوم "التفاعل" فالحجاج التداولي الدلالي من وجهة نظرلسانية يُعنى بالأبنية الحجاجية وبردود أفعال المتلقين ومشاركتهم، على هذا النحو أقرّ (O.Ducrot) بسلطة الخطاب الحجاجي فهوفي نظره خطاب يسدّ المنافذ على أي حجاج مضاد يحرص على توجيه المتلقي وجهة واحدة دون سواها .[1]

شبكة قرائية للنصوص الحجاجية:

إذا كان النص السردي على سبيل المثال ينبني على مبدأ الانتقال من وضعية بداية إلى وضعية نهائية إعتمادا على سيرورة من التحولات، فإن النص الحجاجي أساسه أودعامته الإنتقال من مرحلة التفكير الأولي أي مرحلة الأطروحة المدحوضة إلى مرحلة التفكير النهائي أي مرحلة الأطروحة المقترحة، فالنص الحجاجي ينمو باقتراح عدد لا محدود من الحجج المرتبطة بهذه الأطروحة أوتلك منظمة على شكل مدار حجاجي [2] توضحه بجلاء الخطاطة التالية:



- تمثل الإرشادات و التوجيهات و الروابط الحجاجية بعض الأسس النظرية التي تعالج الحجاج اللساني من منظور علم اللغة النصي تتجلى في نصوص تتباين وتختلف حسب طبيعة و أنواع و وظائف النص، حيث كان للإتجاه الموجه إلى النظام اللغوي من منظور بنائي لا سيما من منظور الملامح النحوية إسهاما في نظرية النص، إختلفت فيه نقاط التركيزمن : طرق توزيع الأزمنة في النص، طرق إستخدام العناصر الإشارية، طرق الربط الإحالي إلخ... بيد أن الكثيرمن الإسهامات اللاحقة في نظرية النص قد أثبتت عجزالبحوث البنائية الموجهة إلى النظام اللغوي وحده عن أن تمدنا بوسائل كافية لتصنيفات مناسبة للنصوص من حيث هي وقائع في سياق التفاعل الإتصالي، فالنص الواحد يمكن أن يشتمل على أكثرمن نوع و هو ما يخلق التعدد و الإختلاف القرائي للنصوص[3] خاصة ما تعلق منها بالنصوص الحجاجية، وعليه سنحاول تقديم تعريف محمد عزّام للنص من بين العديد من التعاريف لنكشف عن مكوناته، كما استلهمها من آراء (Julia. Kristeva & M. Halliday) يعرفه على أنه "بنية دلالية تنتجها ذات، فردية أو جماعية، ضمن بنية نصية منتجة، وفي إطار بنيات ثقافية واجتماعية محددة" يتضمن هذا التعريف ثلاثة عناصر رئيسية:

1- عباس حشاني، مصطلح الحجاج: بواعثه وتقنياته، مرجع سبق ذكره، ص 271.

2- عبد العزيزلحويدق، الأسس النظرية لبناء شبكة قرائية للنصوص الحجاجية ، ج03، مرجع سبق ذكره ،ص362.

3- محمد العبد، دراسة في وسائل الاقناع، ضمن سلسلة كتب الحجاج: مفهومه ومجالاته ،دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ج 04 ، عالم الكتب الحديث، ط 1، 2010،ص 02.

*- عنصر بنيوي: يتضمن أربع بنيات هي:

- (بنية دلالية) تستوعب دالاً ومدلولاً.

- (بنية صرفية و نحوية).وكل بنية يمكن تحليلها ووصفها وتفسيرها في تعالقها بالبنيات الأخرى.

- (بنية نصيّة) هي جماع بنيات داخلية: صرفية/ نحوية يتم إنتاج النص ضمنها. وعلاقة النص بهذه البنية النصية الكبرى علاقة جدلية تقوم على أساس التفاعل الذي يأخذ طابع الهدم أو البناء.

- (بنية ثقافية واجتماعية) يُنتج النص في إطارها.

*- عنصر إنتاجي: ناجم عن علاقات الفعل والتفاعل بين هذه البنيات. ذلك أن هذه البنيات ليست معزولة عن بعضها، فهي تنتج ذاتها في إطار علاقتها مع الموضوع الذي توجد فيه، ومن خلال تضافر العنصرين: البنيوي، والإنتاجي، نجدنا أمام انفتاح النص وديناميته وتفاعله مع نصوص أخرى وبنيات أخرى ثقافية واجتماعية غير التي أنتجت فيها، والإنتاج هنا يقوم به الكاتب كما يقوم به القارئ.

*- عنصر في إطار بنيات ثقافية واجتماعية محددة: إذ يتحدد النص بزمن تاريخي، وبسياق إجتماعي وثقافي، يُنتج في إطار هذه البنيات ويتفاعل معها. ولكنه في الوقت نفسه يتعالى عليها من خلال إمساكه بـ "زمنيتها الجوهرية المتعالية". أما إذا كان مجرد عاكس لها فلا يمكن اعتباره نصاً، ولكنه وثيقة عن العصر لا يهمنا البحث فيها. وهذا (التفاعل) مع البنيات الثقافية هو الذي يعطي القراءة المفتوحة على الزمن إمكانية توليد الدلالات وإنتاجها على الرغم من تبدل هذه البنيات زمانياً ومكانياً[1] كانت هذه أهم العناصر التي يرتكز عليها النص في تعريف عزام تعمل على بنائه و تقوم بإنتاج موضوعه كما أنها تتفاعل وفقا لأبعاده الثقافية و الإجتماعية التي ساهمت في إنتاجه كنص. و العناصر سابقة الذكر تندرج ضمن نطاق المؤشرات التي يسعى من خلالها التحليل النصي الى صوغ قواعد و معايير قراءة النص الحجاجي لسانيا عن طريق إقتراح طريقة للمقاربة تهدف إلى البحث عن عدد معين من المؤشرات النصية أهمها:

- المؤشرات التلفظية: (Indices d'énonciation).

- المؤشرات التنظيمية: (Indices d'organisation).

- المؤشرات المعجمية: (Indices lexicaux).

- المؤشرات التلفظية: يعتبر النص الحجاجي مجالا خصبا تتصارع فيه الأقطاب التلفظية على المستوى اللغوي و يظهر ذلك في السمات الذاتية التي تربط الموضوع بالواقع الخارجي ووضعية التواصل الحقيقي نحوى: الضمائر، ظروف الزمان و المكان ، أسماء الإشارة، الصيغ التوكيدية أو التشكيكية أو الظنية أو العبارات الإنفعالية أو القيمية إلخ ...

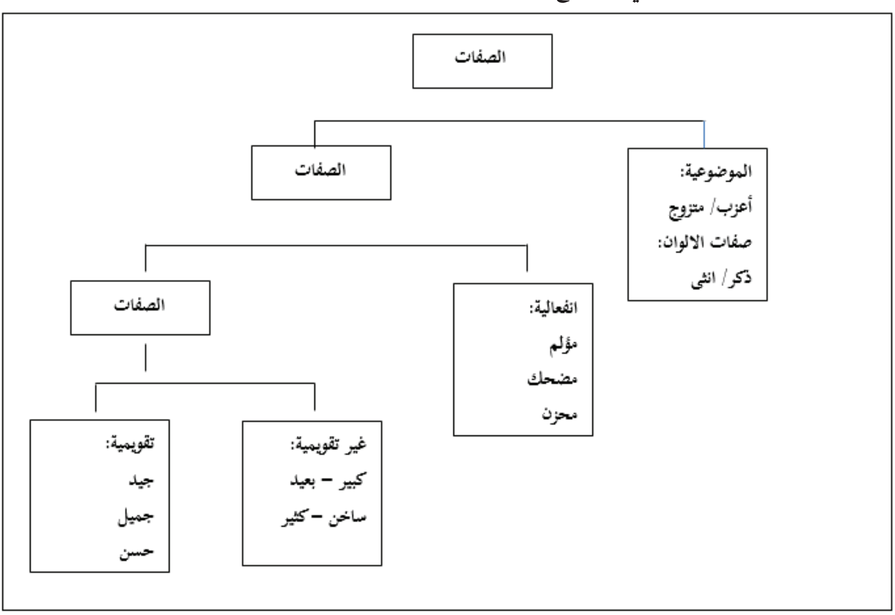
ولهذا تقتضي قراءة النص الحجاجي ملاحظة أشكال حضور الذوات المتصارعة في الخطاب و درجة إنخراطها في مضامين الملفوظات و تتجلى ذات التلفظ في النص الحجاجي في الصيغ الأتية : من البديهي، بالتأكيد، بدون جدال، من الممكن... ، بالإضافة إلى ذلك تظهر ذاتية المتلفظ في كيفية إختيار و تنظيم المعلومة و الواقع. إن اشتغال المؤشرات التلفظية يسعف في ضبط ألية الإشتغال

1- محمد عزّام، تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحداثية، دراسة في نقد النقد، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003، ص 186.187.

الكلي للنص و أشكال حضور الأقطاب التلفظية في الخطاب و أنواع الصيغ اللسانية و البلاغية المهيمنة عليه و كذا مختلف الإستراتيجيات الحجاجية المعتمدة.

-مؤشرات التنظيم: يقصد بمؤشر التنظيم الشكل الكاليغرافي للنص و عناوينه الداخلية و كيفية عرضه للأطروحات و الحجج و طريقة ترتيبها، تجدر الإشارة إلى أن الإهتمام "بهندسة النص الصحفي"[1] ينبغي أن يكون خاضعا للإستراتيجية الحجاجية.

- مؤشرات المعجمية: يتجلى الصراع بين الأطروحات المتعارضة في النص الحجاجي في المعجم، حيث يقع التعارض بين حقول معجمية متناقضة تناصر هذه الأطروحة أو تلك كما يبرز هذا السجال على مستوى القيم إذ تتوزع على قطبين متقابلين" قطب إيجابي" مرتبط بالأطروحة المقترحة و "قطب سلبي" مرتبط بالأطروحة المدحوضة، و هكذا نجد مجموعة من الثنائيات من قبيل "الماضي/ الحاضر، الدين/ العلم، الحقيقة/ الزيف، الطبيعة /الثقافة، الفرد / الجماعة..." تقابل هذه الثنائية منظومة من الأوصاف التقويضية أو القدحية من قبيل: "صحيح/ خاطئ، شر/ خير، جميل/ قبيح، عادل/ ظالم..."،و التي تنتسب لهذه الأطروحة أو تلك بحسب الراية المتبنات أو المرجعية الثقافية السائدة في مجتمع من المجتمعات. و قد لخصت الباحثة (C.K.Orecchionnie)



تأويل المؤشرات: يسمح تأويل المؤشرات و إعادة تقطيعها بقراءة دقيقة للنص و لهذا لابد من إبداء ثلاثة .

1- تشمل هندسة النص الصحفي المعالجة الدلالية والتركيبية ويشمل عملية الربط الديناميكي للأفكار والأجزاء الوفيرة من المعلومات ، وهي عملية تستخدم لتسهيل التنقل بين أجزاء النص الواحد ، ويتيح هذا النظام للقارئ البحث بين عقد وسنن من المعلومات بواسطة مؤشرات يتضمنها النص كالإحالات. أنظر: الخليفي طارق سيد احمد ،معجم مصطلحات الإعلام ، دار المعرفة الجامعية للطبع و النشر، ط1، 2008، ص147.

ملحوظات وهي:

قراءة المؤشر قراءة تراعي طبيعتها الدينامية و استراتيجيتها الحجاجية وعلاقتها فيما بينها.

تنويع المداخل القرائية للنص الحجاجي تبعا لخصائصه المهيمنة، إذ لا يمكن قراءة النموذج التفسيري أو البرهاني بالطريقة نفسها التي تقرا بها النماذج الحوارية، ذلك أنها ستفقد إنتاجيتها و طابعها الإجرائي السليم.

و عليه فإن ملاحظة المؤشرات و تأويلها يسمحان إذن بالتحقق من الفرضية الدلالية الأولية للنص.[1]

خاتمة

لاحظنا بناءا على ما سبق كيف أن الدرس الحجاجي اللساني قد ساهم من خلال مجمل الأعمال التي قدمها علماء اللسانيات من أمثال (O.Ducrot) و (E. Benveniste) في تحويل النظرة في الدراسة التداولية من الخارج "السياق" إلى الداخل "اللغة" عبر دراسة اللغة - في ذاتها ولذاتها- غير أن هذه النظرة للحجاجيات اللسانية لم تصمد طويلا أمام تيار " الواقع" فسرعان ما كانت تدنو لتسقط في قدر من الواقعية خاصة مع الأعمال المتأخرة لـ (O.Ducrot) ما دفع به في أعماله الأخيرة إلى إعادة تفعيل الخلفية البنيوية للمدرسة الحجاجية اللسانية نحوى الدراسات الدلالية الخالصة مع بعض تلامذته، لكننا نقرّ وفقا لما سبق مع (C.K.Orecchionnie) أنه مادام كل شيئ يؤول إلى الحجاج فلا معنى لهذا التعارض بين الدلالة و التداولية كون أن الكلام هو الفعل بدون شك[2] و هذا ما يجعل من الحجاج ينتمي في عناصره الحية المتفاعلة إلى المجال التداولي عبر سيادة الحركة و النشاط ذهنيا عندما يختزل الأبعاد العقلانية وعبر انطباع أبعاده التأثيرية و الإجتماعية عندما يختزل البعد البيولوجي (السياق) عبر لغة واصفة، لا يستعملها الإنسان، بل "اللغة" هي التي تتكلم من خلاله .....أما هو فيفهم ويحاجج من خلالها.

قائمة المراجع:

1. عباس حشاني، مصطلح الحجاج: بواعثه وتقنياته، مجلة المخبر، العدد التاسع، جامعة بسكرة، الجزائر، 2013. ص 270.
2. أبو بكر العزاوي، الحجاج في اللغة، ضمن سلسلة كتب، الحجاج: مفهومه و مجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ج 1،عالم الكتاب الحديث، الأردن،ط1، 2010، ص72.
3. جميل حمداوي، نظريات الحجاج، ص 33. رابط الكتاب: Http// :www.alukah.net
4. محمد سالم محمد الامين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة: بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، 2008، ط1، ص 192.
5. رشيد الراضي، الحجاجيات اللسانية و المنهجية البنيوية، الحجاج: مفهومه و مجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ج 2،عالم الكتاب الحديث، الأردن، ط1، 2010، ص 83.

1- عبد العزيزلحويدق، الأسس النظرية لبناء شبكة قرائية للنصوص الحجاجية ، ج03 ، مرجع سبق ذكره، ص 265.266.

2- C.Kerbat.Orecchionnie, L'énonciation de la subjectivité dans la langue, op,cit, P200.

6. عبد العزيزلحويدق : الأسس النظرية لبناء شبكة قرائية للنصوص الحجاجية ، الحجاج: مفهومه و مجالاته دراسات نظرية و تطبيقية في البلاغة الجديدة، ج 3،عالم الكتاب الحديث، الأردن، ط1، 2010،ص347.
7. محمد سالم محمد الامين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة: بحث في بلاغة النقد المعاصر، مرجع سبق ذكره، ص 191.
8. بن عيسى أزاييط، البعد التداولي في الحجاج اللساني: استثمار التداولية المدمجة (مناظرة متى بن يونس و ابي سعيد السيرافي نموذجا)، ضمن سلسلة كتب، الحجاج مفهومه و مجالاته ،دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ج 04، عالم الكتب الحديث، ط 1، 2010، ص300
9. محمد العبد، دراسة في وسائل الاقناع، ضمن سلسلة كتب الحجاج: مفهومه و مجالاته ،دراسات نظرية و تطبيقية في البلاغة الجديدة، ج 04 ، عالم الكتب الحديث، ط 1، 2010،ص 02.
10. محمد عزّام، تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحداثية، دراسة في نقد النقد، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003، ص 186.187.
11. الخليفي طارق سيد احمد ،معجم مصطلحات الإعلام ، دار المعرفة الجامعية للطبع و النشر، ط1، 2008، ص147.
12. Oswald, Ducrot, Le dire et le dit, Ed.de Minuit, 1983,P180.
13. C.Kerbat.Orecchionnie, L'énonciation de la subjectivité dans la langue, colin, 1980, P2.

تكثيــف الدلالــة بــين ظاهرتــي التضمــين النحــوي والمشــترك اللفظــي

م.م مروة غني العبودي
جامعة ذي قار / كلية التربية للعلوم الإنسانية - العراق-

ملخص:

إنَّ دقة ثنائية التركيب المتكون من اللفظ والمعنى يهدف عادة إلى إيصال خطاب اجتماعي تواصلي أو معرفي ؛لأنَّ اللفظ هو مادة الخطاب أمَّا المعنى فهو مضمونه أو هدفه الذي يتحقق في ضوء السياقات المتنوعة ، لذا هدفت في هذا البحث إلى بيان دور السياق الفاعل في تكثيف المعنى وتوجيه الألفاظ لمعانيها التي تنسجم ودقة النص القرآني وخصوصية استعماله بين ظاهرتين لغويتين اشتملتا على ذات اللفظ لكن بتوجيه مختلف هما التضمين النحوي والمشترك اللفظي ،فعمدت إلى جمع هذه الألفاظ والرجوع إلى استعمالها الأول ثم إلى الكشف عن سياقاتها المتضمنة والقرائن المحيطة وصولاً إلى كثافة دلالية واضحة المعالم في ترجيح إحدى الظاهرتين على الأخرى .

Abstract:

The accuracy of the dual structure of the word and meaning is usually intended to convey a social discourse communicative or cognitive, because the word is the substance of discourse, but the meaning is the content or goal that is achieved in the light of the various contexts, so this research aimed to show the role of the active context in the intensification The meaning and direction of the words of the meanings that are consistent with the accuracy of the Qur'anic text and the privacy of its use between two linguistic phenomena that included the same word, but under different guidance are the grammatical and verbal co-ordination, the collection of these words and reference to the first use and then to reveal the contexts involved and the surrounding evidence to reach Density Tag clearly defined in the likelihood of one of the two phenomena on the other.

أولاً:العلاقة بين الظاهرتين بالتعريف :

التضمين لغة : من ضَمِنَ الشيء ضمناً إذا كفل به ، وضَمَّنه إياه :كفّله ، يُقال : ضَمِنتُ الشيء أضْمَنُه ضماناً فأنا ضامنٌ وهو مضمون(1) وضمَّنته الشيء تضميناً بمعنى أودعته إياه كما تودع الوعاء المتاع ، والميت القبروقد تضمّنه هو ، ويُقال شرابك مُضمَّن إذا كان في كوز أوإناء ، والمضامين ما في بطون الحوامل من كل شيء كأنَّهن تضمَّنَّه(2).

1-يُنظر: كشاف اصطلاحات الفنون : 2/895.

2- يُنظر: العين (ضمن) :2/24 ، والصحاح(ضمن) :1/414 ، ومقاييس اللغة (ضمن) :3/292، ولسان العرب (ضمن) : 13/257.

المشترك اللفظي في اللغة: من الشِرك والشِركة وتعني المخالطة والمشاركة وهو خلاف الانفراد، يُقال:

اشترك الرجلان وتشاركا وشارك أحدهما الآخر أي تساويا في شيء ما ومنه فريضة مشتركة : يستوي فيها المقسمون وطريق مشترك يستوي فيه الناس ، واسم مشترك : تشترك فيه معاني كثيرة ([1]).

التضمين في الاصطلاح :عرّف ابن هشام التضمين النحوي بأنَّه شَرب اللفظ الواحد معنى اللفظ الآخر فيأخذ هذا الآخر حكم الأول قائلاً ((قد يُشربون لفظاً معنى لفظ فيعطونه حكمه ويسمة ذلك تضميناً))([2]).

المشترك اللفظي في الاصطلاح : أشار إلى ذلك سيبويه قائلاً : ((اعلم أنَّ من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين واتفاق اللفظين والمعنى مختلف ،نحو قولك : وجدت عليه من الموجِدة ووجدتُ إذا أردت وجدان الضالة وأشباه هذا كثير))([3])

وعرَّفه السيوطي قائلاً: ((اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة))([4])

ومن خلال أصل ألفاظ الظاهرتين في اللغة تتضح الصلة المشتركة بينهما إذ نجد أنَّ كلاهما قد احتوى على شيئين في وجود واحد ، فالتضمين يكون في احتواء الوعاء لشيء ما وكذلك كل ما احتوى شيء آخر من الموجودات المختلفة فقد تضمَّنه ويلتقي مع المشترك أو الاشتراك في دلالة المخالطة بين شيئين أو أكثر سواء كان في المحسوسات من الموجودات أو في المعنويات لذا نجد أن ازدواج اللفظ والمعنى هو نقطة الربط بينهما في الأصل اللغوي .

أمّا في الاصطلاح فنجد نقاط اتفاق بينهما ونقاط اختلاف ، إذ إنَّ التضمين يتكون من خلال تعاضد لفظين معاً ليؤديا معنى واحداً مزدوجاً يحتاجه السياق لإيصال فكرة معينة تكشف عنها القرينة الملازمة للمقام في حين المشترك اللفظي يتكون من لفظ واحد لكن يتضمن معاني متعددة والسياق يوجّه هذه الألفاظ في المعاني التي تتناسب معه ، أمّا نقاط الاختلاف أنَّهما كلاهما في حاجة للسياق وكلاهما ثنائي سواء في اللفظ أو المعنى وكلاهما يشد من تآزر المفردات لبلوغ غاية الدلالة ، لكن المشترك اللفظي يحتاج إلى معنى واحد في سياق اللفظ والتضمين يتعاضد فيه المعنيان معاً لذا فهو ظاهرة أوسع من المشترك اللفظي في تكاثف المعاني والألفاظ .

ثانياً: دور السياق وأهميته في الظاهرتين

إنَّ للسياق أثره الذي لا يُنكر في هاتين الظاهرتين ؛ لأنَّ من أجله تنشأ الظواهر وبه تُكتشف وتتضح لاسيما إذا كان الموضع أو الميدان الذي توجد فيه كالنص القرآني المعجز بنظمه وألفاظه ودلالاته ، فالألفاظ حين تكون منفردة في المعجم تكون قابلة لأن تحمل الكثير من المعاني وبهذا لا تكون اللفظة خاضعة للذوق العام بأن يصفها بالسلامة أو السقامة من دون وجود ألفاظ أخرى تعضدها وهو ما يسمى بالسياق والسياق يحمل الكثير من القرائن التي تعين على التحديد وذلك

1- يُنظر: العين (شرك) : 1/427 ، والصحاح (شرك) :1/354 ، ولسان العرب(شرك) :10/228.

2- مغني اللبيب:2/685

3- الكتاب:1/24

4 - المزهر في علوم اللغة:1/369.

لارتباطه بمقام معين يُحدد في ضوء القرائن الحالية [1]

وهذا ما أشار إليه الإمام عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ) حين ذكر أن الألفاظ كلها متساوية في الدلالة كل منهما على ما وُضع له حتى يُفرق بينهما بالنظم إذ يقول : ((لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ولا من حيث هي كلم مفردة وإنَّ الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة التي تليها ، أو ما أشبه ذلك مما له بصريح اللفظ))[2]

والاستعمال هو ما يجعل اللفظة مؤنسة مؤثرة أو موحشة مستثقلة [3] وهذه هي جذور نظرية السياق التي توجهت إليها الدراسات الحديثة في فهم دلالات الألفاظ من خلال البحث عن معنى اللفظة المعجمي على وضعها الذي عرفته العرب ثم استعمال القرآن لها وفق السياق الذي يساعد على فهم معناها [4] .

فالسياق هو ((التتابعات الأسلوبية التي يجري عليها الكلام وهيكلته التي تنسج مدخلاتها ومخرجاتها وفق المنهج السياقي الذي يسميه بعض اللسانيين منهج الدراسة العلمي ، ويمثل المكونات الرأسية التي تحيط بالنص وتتجدد من خلال أبعاده الدلالية ، والجو العام الذي يحيط بالكلمة وما يكتنفها من قرائن وعلامات فالكلمة الواحدة والجملة الواحدة قد تحمل كل منها مدلولين متناقضين تماماً دون أن تختلف الكلمة في بنائها الداخلي وإنما الذي يتغير هو السياق والقرائن المحيطة))[5]

وللسياق أنواع مختلفة منها السياق اللغوي الذي نفيد منه كثيراً في تحديد ماهية التضمين أو المشترك اللفظي وذلك ؛لأن السياق اللغوي هو ((السياق الداخلي الذي يُعنى بالنظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم آخذاً بعين الاعتبار ما قبلها وما بعدها في الجملة))[6]

فأهمية السياق لظاهرة التضمين تتضح من خلال تطبيق هذه الظاهرة على النصوص القرآنية ، إذ لا نجدها تتبين بالدقة والتأثير المطلوب والمناسب إلّا من خلال الاستعمال القرآني ، فحروف الجر لا تنوب أحدها مكان الأخرى كما قال الكوفيون أن (من) وغيرها تأتي بمعانٍ مختلفة واستدلوا على ذلك بالشواهد الكثيرة والمتنوعة منها قوله تعالى :{ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ } [الأنبياء: 77] فإنَّ (مِن) هنا جاءت بمعنى (على) على حد قولهم [7] في حين أهملوا دور الفعل في إضفاء دلالة تتضمنها صيغته ليُحدث أثره الفعال في السياق ، وهذا ما وضّحه ابن جني الذي رأى أنَّ استعمال حرف مكان حرف آخر يؤدي إلى فساد المعنى نحو قولك : سرتُ إلى زيدٍ فأنت تريد معه أو أن تقول: زيد في الفرس وأنت تريد عليه ، إذ يقول : ((هذا الباب يتلقاه مغسولاً ساذجاً من الصنعة وما أبعد الصواب عنه وأوقفه دونه ... وذلك أنهم يقولون إنَّ (إلى) تكون بمعنى (مع) ويحتجون بقوله تعالى : { فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي

1 - يُنظر: اللغة معناها ومبناها : 316.

2- دلائل الإعجاز :38.

3- يُنظر : دلائل الإعجاز :38

4- يُنظر: المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث:116

5- الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية : 211.

6- السياق القرآني وأثره في الكشف عن المعاني : 837.

7- يُنظر: مغني اللبيب : 2/861.

إِلَى اللَّهِ ۖ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} [آل عمران : 52] أي : مع الله ... وليس ندفع أن يكون ذلك كما قالوا : لكنّا نقول : إنَّه يكون معناه في موضع دون موضع على حسب الأحوال الداعية إليه والمسوغة له فأمَّا في كل موضع وعلى كل حال فلا ألا ترى أنَّك إن أخذت في ظاهر هذا القول غفلاً هكذا لا مقيداً لزمك عليه أن تقول : سرت إلى زيدٍ وأنت تريد عنه ، ونحو ذلك مما يطول ويتفاحش))[1]

إذ يوجد ما يؤيد هذا القول ويجسد دور السياق في تحديد التضمين من دون الحرف هو أننا نجد الفعل يتضمن معانٍ عدة وبمعزل عن الحروف التي تكون مختلفة ومتنوعة ، نحو ذلك قوله تعالى { الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ ۚ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ} [البقرة : 197] وقد تعدى الفعل بـ (في) وتضمن معنى (أوجب) وكذلك قوله تعالى { فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا} [النساء :11] تعدّى بـ(من) وصار اللفظ معناه (قسماً) ، وقوله تعالى : { مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ } [الأحزاب:38] وتعدّى بـ (اللام) ومعناه (أحلَّ) أو (قدَّر) [2] وهذا سبباً مناسباً لإنكار المشترك اللفظي في الحروف ، الذي صُرح فيه [3] ؛ لأنَّ السياق هو ما يحكم ذلك كونه يمثل العلاقة الخاصة بالكلمة التي وقع فيها المشترك اللفظي مع ما قبلها وما بعدها من كلمات الجملة فالمعنى لا ينكشف إلّا من خلال تسيّق الوحدة اللغوية من خلال وضعها في السياقات المختلفة ومعظم الوحدات الدلالية تقع في مجاورة وحدات أُخر ومعاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلّا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها[4]

إنَّ تلازم المفردات وفق زمنية الحدث ووفق تراتيبية اللغة القائمة على تتالي الوحدات اللغوية في بنية النص وعلى تركيبها العام وفق صيغها الخاصة يعطي للسياق أحقية ترجيح المعنى وتقديمه على مقترحات المعاني المتعددة التي قد تتوارد من خلال الكلمة أو اللفظ وطبيعة نسق النص ، فدلالة اللفظ تكون متغيرة بحسب السياقات والقرائن المحيطة[5] ، فمثلاً لفظة (هدى) وهي من ألفاظ المشترك يكون معناها في اللغة نقيض الضلالة ، يُقال هديتُ فلان بمعنى أرشدته إلى الحق ، وهداه إذا دلَّه على الطريق [6] ، لكن هذه اللفظة حين وردت في النص القرآني كانت لها المعاني المتنوعة إلى تصل إلى سبعة عشر وجهاً[7] ، منها : البيان ، نحو قوله تعالى { أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [البقرة: 5] وكذلك : الدين في قوله تعالى { إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُسْتَقِيمٍ}[الحج: 67] والإيمان في قوله تعالى : { نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى} [الكهف:13] والقرآن في قوله تعالى :{ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَىٰ } [النجم :23]

فالسياق إذاً هو القوة التي حرَّكت التراكيب المتكونة من الألفاظ الجامدة فانبعثت فيها الحياة متجهة نحو المعاني المقصودة وحجب ما سواها

1- الخصائص : 208-2/206.
2- يُنظر: التضمين النحوي في القران : 115.
3- يُنظر: موسوعة مصطلحات أصول الفقه عند المسلمين :1/ 183.
4-يُنظر: علم الدلالة : 68.
5- يُنظر: السياق القرآني وأثره في الكشف عن المعاني :837
6- يُنظر: تهذيب اللغة (هدى):2/358 ، ومقاييس اللغة (هدى) :6/31ولسان العرب(هدى) :15/353.
7- يُنظر: الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، هارون موسى :24-21.

ثالثاً: العلاقة بين الظاهرتين وفق الشواهد القرآنية:

من الشواهد التي جسّدت ما مهّدت إليه من دور السياق وأهميته هي قوله تعالى :{ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ }[المعارج:1] فالفعل (سأل) من السؤال وهو كل ما يتوجه به الإنسان طلباً للمعرفة حقيقة ، فيُقال : سألته الشيء وسألته عن الشيء ، ومنه تساءلوا أي :سأل بعضهم بعضاً (1) ، فهو إذاً فعلاً متعدياً بحرف الجر (عن) ، لكنَّ السياق هنا يكشف عن دلالة معينة يؤديها الفعل (سأل) ، ويعضده حرف الجر الباء بعَدِّه قرينة دلّت على وجود معنى مبطن ، فعند الرجوع إلى التفاسير في محاولة للكشف عن سياق خارجي يكون الدليل المناسب للوصول إلى ذلك المعنى المبطن نجد أنَّ هذه الآية الكريمة نزلت بعد قيام أحد المنافقين بالدعاء لله بأن يُنزل حجارة من السماء لو كان الحق ما يقوله النبي محمد (ص) في اختياره للإمام علي (عليه السلام) ولياً من بعده ، وكأنَّه أراد التوجه بالسؤال مع الدعاء عن حقيقة هذه الأخبار الجائرة بحسب منظوره الفكري ، ولو كان ما يراه حقاً إذاً ليُنزل الله عليهم العذاب ، ومصداق ذلك قوله تعالى : { وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} [الأنفال: 32]

فيتضح لنا أنَّ (سأل) تضمَّن معنى الفعل (دعا) ليؤديا معاً معنى واحداً فيه تساؤل وتوجه بالدعاء في آن ، فالدعاء هو التوجه بالسؤال من أدنى إلى أعلى وخصوصية الاستعمال اقتضت أن يكون الفعل حاملاً مراد اللفظتين ، طلب الشيء وطلب الاستجابة ، في حين نجد أنَّ هذا الفعل ورد مشتركاً لفظياً ، أي : يكون الفعل سأل من أحد معانيه (الدعاء) الذي ورد نصه القرآني ، وكذلك بمعنى الاستفتاء ، نحو قوله تعالى : { يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ۗ} [البقرة :189] ووردت أيضاً بهذا المعنى في مواضع كثيرة من القرآن الكريم ، أيضاً يأتي بمعنى (الاستمناح) في قوله تعالى { وأما السائل فلا تنهر} [الضحى:10] ، وبمعنى المراجعة في الكلام والاعتراف في قوله تعالى{ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ} [هود: 46] أي لا تراجعني ، وبمعنى (التخاصم) في قوله تعالى { عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ. عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ } [النبأ:2-1]، أي: يتخاصمون ، وغيرها من المعاني التي تحددها السياقات المختلفة (2)، و(سأل) في التضمين أدى دلالة فيها كثافة وعمق لتضمنه معنى الدعاء نع بقاء معنى السؤال أمّا عندما نجعله من المشترك اللفظي فإنَّه يؤدي أحدى الدلالتين من دون الأخرى فيؤدي إلى تقليل تلك الخصوصية التي انمازبها النص القرآني حين استعمل الفعل سأل من دون لفظ الفعل (دعا) ليؤدي معنى السياق الذي يقتضيه.

كذلك نأخذ قوله تعالى:{ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ} [الأعراف: 145]

فأصل الفعل (أخذ) الهمزة والخاء والذال وتتفرع منه فروع متقاربة المعنى ، والمعنى الأساس فيه هو حَوْز الشيء وجَبْيُه وجمعه وهو أيضاً التناول الذي خلاف العطاء(3)

فسياق الآية الكريمة يضع أمامنا حدث الخطاب الصادر من الله سبحانه وتعالى إلى نبيه موسى (عليه السلام) في أخذ ما آتاه من مواعظ وأوامر ونواهٍ في الألواح ، وأمره أن يكون هذا الأخذ بقوة

1- يُنظر: الصحاح (سأل) : 1/ 298.

2- يُنظر: المشترك اللفظي في ضوء غريب القران : 192-191.

3- يُنظر: الصحاح (أخذ) : 1/6 ، مقاييس اللغة (أخذ) : 1/ 86.

متضمنة الحرص الشديد عليها لأهمية ما فيها ليستطيع أن يوصل إلى قومه هذا الأمر والحرص من خلالها بالعطف بحرف الواو في قوله تعالى { أمر قومك} [1]

إذ تضمّن الفعل (أخذ) معنى الفعل (عمل) في النص القرآني ، أي: يعملوا بأحسنها [2] ؛ليدلا معاً على معنى خاص وهو التمسك من خلال تناول هذه الأوامر والنواهي بالاستحواذ عليها وأيضاً العمل بها وتطبيقها في الوقت ذاته ، إذ لا يكفي أن يعرفوها ويتناولوها منه من دون العمل بها ولا يمكن أن يعملوا بها من دون أخذها تمسكاً بها وحفاظاً عليها بالمعنى الحقيقي للأخذ ، ذكر ابن عاشور أنّ الفعل (خذ) في قوله تعالى: { قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ}[الأعراف: 144] لم يُعدَّ بحرف الجر الباء ؛لأنَّه مستعمل في معنى التلقي والحفظ ، وهذا أهم من الأخذ بمعنى (التمسك) و(العمل) ، فإنَّ الأول حظ ولي الأمر والثاني حظ جميع الأمة [3] ، في حين عُدِّي الفعل بحرف الجر الباء في الآيات اللاحقة ؛ لأنَّه تضمّن المعنيين معاً .

وعّدَ هذا الفعل (أخذ) من المشترك اللفظي لدلالته على معانٍ متعددة [4] منها : العمل نحو قوله تعالى :{ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا} [الأعراف :145]

أو العقوبة ، نحو: { فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ ۖ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} [العنكبوت :40] ظن فضلاً عن الأخذ بمعناه الحقيقي وهو التناول خلاف العطاء [5] ونستنتج من ذلك أن التضمين في الشاهد القرآني قد أوفى بالمعنى وأعطاه حقه الكامل و المتكامل في حين أن الفعل بالمشترك اللفظي دلَّ دلالة سطحية لا عمق بها لذلك لن ترتضيها خصوصية النص القرآني ، إذ إنَّ إحلال الفعل (عمل) من دون معنى الأخذ محله غير مستوفٍ للسياق ومقام النص ، وقد أشار الجرجاني إلى أنَّه ليس كل لفظ يصح أن يحمل وجوها من المعاني مختلفة دون مراعاة لدور السياق المتكامل ، إذ يقول: ((فأمّا الإفراط فيما يتعاطاه قوم يحبون الإغراب في التأويل ويحرصون على تكثير الوجوه ، وينسون أنَّ احتمال اللفظ شرط في كل ما يعدل به عن الظاهر ، فهم يستكرهون الألفاظ على ما لا تقله من المعاني ، يدعون السليم من المعنى إلى السقيم ، ويريدون الفائدة حاضرة قد أبدت صفحتها ظن وكشف قناعها فيعرضون عنها حباً للتشويق أو قصداً إلى التمويه وذهاباً في الضلالة))[6]

ومن الألفاظ الأخرى التي وجدت في الظاهرتين بدلالات معينة وبينها فروق دقيقة ظن الفعل (ضرب) في قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} [النساء: 94] يذكر ابن فارس أنَّ ض رب ، أصل واحد ، من ذلك ضربت ضرباً إذا أوقعت بغيرك باستعمال اليد أو آلة كالسيف وغيره

1- يُنظر: تفسير الطبري:13/109 ، وروح المعاني: 6/358.
2-يُنظر: روح المعاني :6/ 358.
3-يُنظر: التحرير والتنوير : 5/445.
4- يُنظر: معجم الألفاظ المشتركة في اللغة العربية : 14.
5- يُنظر: الأشباه والنظائر في الألفاظ القرآنية ، الثعالبي : 250 ، ونزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر : 133.
6- أسرار البلاغة : 2/262.

ضرباً [1] .

نزلت هذا الآية المباركة في أولئك الذين لحقوا رجلاً في غنيمة له فقال لهم السلام عليكم فقتلوه وأخذوا غنيمته [2] ، وتضمّن الفعل (ضرب) معنى السفر للغزو أو السير [3] وهذا ما يشير له السياق بوضوح ، وفيه إرادة المعنيين ، السير للغزو في سبيل الله مع الضرب في الأرض لعل المقصد هو شدة السير في الأرض بقوة وهيمنة وسيطرة من دون اكتراث مع الدلالة على الضرب في الأرض لغاية السفر في غزو أو غيره ، والسياق يوضح المعنى الأكثر قرباً للدلالة على الموقف الحاصل فهم في قتلهم الرجل من أجل الغنيمة دون اكتراث لقوله لهم السلام عليكم يوحي بالضرب المنهي عنه مصداق ذلك قوله تعالى : { وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا} [الإسراء:37] ودعوتهم إلى التأني والتروي في تدبر الأمور من دون العجلة التي نتجت عنها جريمة قتل في قوله ((فتبينوا ...)) .

إذاً فـ (ضرب) تضمَّن معنى السفر مع الحركة على الأرض ضرباً من دون تنبه ، وقد عُدَّ هذا الفعل من ألفاظ المشترك اللفظي ؛ لأنَّه يأتي على خمسة معانٍ أو أوجه [4] منها : الوصف نحو قوله تعالى : { ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ}[النحل :75] ، والضرب باليد أو السلاح ، نحو { فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ} [الأنفال:12] وقوله : { فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً} [محمد :4] وقوله { وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ} [النساء 34]

وأيضاً معنى السير : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا} [النساء:94] وغيرها من المعاني التي وردت في سياقات متنوعة جردت اللفظ من دلالته الأساس لتحلّ محلها دلالة أخرى من لفظ آخر .

ومن الألفاظ الأخرى التي تصلح شاهداً لذلك هو الفعل (أتى) ، إذ إنّه جاء بمعانٍ متعددة حتى عُدّ من الألفاظ المشتركة [5] ومن هذه المعاني ، الدنو والقرب ليوم القيامة في قوله تعالى :{ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [النحل :1] [6]

وبمعنى الإحاطة في قوله تعالى { وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ} [إبراهيم :17] [7] وبمعنى اللواط في قوله : { وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ} [النمل :54] وقوله: { أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ} [النمل : 55] و (تفعلون) في قوله تعالى { وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ} [العنكبوت :6] [8]

1- يُنظر: مقاييس اللغة (ضرب) : 3/311.
2- يُنظر: أسباب النزول : 1/60.
3- يُنظر: الجامع لأحكام القرآن :5/319 ، وروح المعاني :4/186.
4- يُنظر: الوجوه والنظائر في القرآن ، مقاتل : 222 ، والوجوه والنظائر ، هارون بن موسى : 153-152.
5- يُنظر: تهذيب اللغة (أتى) : 5/ 35-33
6- يُنظر: المحرر الوجيز :4/148 ، والبحر المحيط : 7/213 ، وتفسير ابن كثير: 4/555 ، وروح المعاني :10/ 87.
7- يُنظر: تفسير الرازي :9/230 ، وابن كثير : 3/ 486.
8- يُنظر: روح المعاني : 15/ 266.

وقوله تعالى : { قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ} [النحل :26] .

بمعنى هَدَّمه وحطَّمه عليهم (1) ، وللسياق خصوصيته في بيان المعنى الذي من أجله اختيرت هذه اللفظة وفي كل هذه الآيات المباركة التي وردت قد تضمَّن الفعل المعنى الذي دلَّ عليه(2) في المشترك فضلاً عن معناه الأول الذي يدلّ عليه الأصل المعجمي ، فـ (أتى) نت الإتيان بمعنى الحركة التي ينتج عنها مجيء واقع ، وهو فعل يتعدى بنفسه وبالحرف ويكون لازماً (3)

فنأخذ منها قوله تعالى : { فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ} [النحل : 26] نجدها نزلت في نمرود وأتباعه الذين بنوا له صرحاً ليصعد فيه إلى السماء حسب اعتقاده لمقاتلة من هم هناك فهُدم عليهم بأمر من الله سبحانه وأُقتلع من قواعده وأسسه التي استند عليها فتساقطت سقوفه وحيطانه وأفسد متاعه وصار مكانهم خاوياً (4) إذاً فالفعل (أتى) قد دلّ على إتيان أمر الله ثم أعطى معنى الهدم ؛ولأنَّ الله سبحانه لا يمكن أن يأتي بمعنى الفعل المعجمي بالحركة المقصودة فيتضح لنا أنَّه قصد أمر الله فحذف المضاف وحلَّ المضاف إليه محله وأخذ إعرابه لوجوده القرينة والمقام الذين يدفعان التوهم بمجيء الله على أصل الفعل ، إذاً فالفعل (أتى) لا يدلَّ على معنى الهدم فقط إنّما تضمن هذا المعنى فضلاً عن المعنى الحقيقي له وهو المجيء ، أي: مجيء الهدم بأمر من الله سبحانه وتعالى وهو متناسب مع إرادة الله والتعبير عن أوامره القاهرة التي لا تُرد وقدرته الواسعة التي اجتثت الصرح من أسسه ، ولو استعمل الفعل (هدم) من دون أن يتضمنه (أتى) لاحتمل أن يكون الهدم من دون تدخل من الله سبحانه وتعالى كضعف في البناء أو خطأ بشري معتاد أو غيره لكن حين كان من الله أدى الرد القاطع على هذا الفعل القاصر بثياب التحدي والتكبر على الله من قبل النمرود محققاً عظمة الله وشدة عقابه .

ومن الألفاظ أيضاً (الرفث) في قوله تعالى : { أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ} [البقرة:187] ،وأصل الرفث ، الجماع ، وهو أيضاً القول الفاحش وكلام الناس في الجماع ، نحو قوله تعالى : { الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ ۚ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ} [البقرة:197] (5)

ومعنى (لا رفث ولا فسوق) الجماع عن ابن عباس وابن جبير وقتادة والحسن وعكرمة ومجتهد والزهري والسدي في حين قال غيرهم كابن عمر وطاووس وعطاء ...الخ بأنَّه الإقماش للمرأة بالكلام وقيل هو كلمة جامعة بكل ما يريده الرجل من أهله (6) إذاً فالمعاني للرفث متعددة يمكن استخلاص هذه المعاني بمعنى كل ما لا يليق بالحاج أو الصائم سواء كان قولاً أو فعلاً (7)

1-يُنظر: المحرر الوجيز : 4/ 162 ، وابن كثير : 4/ 566.

2- يُنظر: التضمين النحوي في القران الكريم : 207.

3- يُنظر: تهذيب اللغة (أتى) : 5/ 33 ، ولسان العرب (أتى) : 2/88.

4- يُنظر: المحرر الوجيز : 4/ 162 ، وابن كثير : 4/566.

5- يُنظر: العين (رفث) :2/161 ، وتهذيب اللغة (رفث) : 5/90 والصحاح (رفث) :1/261 ، لسان العرب(رفث) :2/153.

6- يُنظر: البحر المحيط : 2/253 ، وتفسير ابن كثير: 1/544.

7- يُنظر: التفسير الكبير للرازي : 3/119.

لذلك عُدَّ من ألفاظ المشترك في كونه دالاً على أكثر من معنى (1) ومن الألفاظ المُضمَّنة في الوقت ذاته(2) إذ تضمَّن الرفث معنى الإفضاء والقرينة هي استعمال حرف الجر (إلى) وليس (في) واستعمال القرآن للفظة الرفث في هذا الموضع لم يكن يريد به الإفضاء أو الجماع وحده ، والدليل أنَّه دلّ على هذه الألفاظ ومعانيها في مواضع متعددة منها قوله تعالى { وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا } [النساء:21]

وكذلك قوله { فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا} [الأعراف :189] و { أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا} [النساء:43] و{ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ } [النساء:23] و{ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} [البقرة:223]

وغيرها من النصوص التي تشير بوضوح إلى موضوع علاقات الرجل بامرأته (3)

وربما لجأ سبحانه إلى هذا التضمين ؛لأنَّه أراد جمع كل هذه المعاني من قول أو فعل باللمس أو الإفضاء ، أي: جمع كل ما يحدث بينهما ابتداء من القول وانتهاء بالإفضاء ، لاسيما أنَّ الإفضاء في أصله اللغوي دال على الانتهاء في بلوغ الغاية ، يُقال : أفضى بعضهم إلى بعض أي صار كأنّهما واحداً (4) ومنه أفضى الساجد بيده إلى الأرض، مسَّها براحته في سجوده إلى أن بلغ الانتهاء (5) إذاً فالسياق حدد مسار هذه اللفظة ودلالتها لتنسجم مع النص والغرض الذي من أجلت أُختيرت دون غيرها.

الخاتمة

بعد أن أنجزت هذا البحث بفضل الله وتوفيقه عمدت إلى بيان أبرز النتائج المستخلصة:

إن اللغة العربية بطبيعتها الحيوية والمتغيرة اتضح أنها تتسع للألفاظ والمعاني من دون تأطير اللفظ بالمعنى الخاص به في حين أطر السياق القرآني هذه الألفاظ بمعانيها المرادة بشفافية وجمالية تأسر القلوب وتزيل أغشية الأذهان .

اتضح أن التضمين ظاهرة أوسع من المشترك اللفظي في تكثيف الدلالة وفي بلوغ غاية السياق من خلال استعمال الألفاظ ذاتها التي وردت في الظاهرتين انموذجاً في التطبيق.

عُد السياق المسؤول الأول والأساس في تحديد كلا الظاهرتين وليس الفعل من دون الحرف في التضمين ولا الحرف من دون الفعل بل كلاهما تعاضدا لتحقيق دلالة النص التي كشف عنها السياق ، كذلك في المشترك اللفظي .

جاءت الحروف في الظاهرتين كقرينة تدل على معنى مبطن ومكثف وليس تناوباً للدلالة على المعنى أو مشتركاً لفظياً .

1- يُنظر: الأسس في فقه اللغة وأرومتها ، د. هادي نهر: 264.
2- يُنظر: الخصائص : 2/308 ، والكشاف : 1/165.
3- يُنظر: الكشاف : 1/ 165 والتفسير الكبير للرازي: 3/ 119.
4- يُنظر: تاج العروس : 2924
5- يُنظر: لسان العرب (فض) :15/157 ، وتاج العروس(الفاء) : 8537.

روافد البحث :

أولاً : القران الكريم

ثانياً: المصادروالمراجع :

1- أسباب نزول القرآن : الواحدي (ت 468هـ) ، تحقيق : سيد صقر ، القاهرة ، 1969.

2- أسرار البلاغة : عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) ، تحقيق : محمد عبد المنعم الخفاجي، مكتبة القاهرة ، ط2 1369 هـ- 1976م .

3- الأسس في فقه اللغة وأرومتها : د. هادي نهر ، دار الفكر ، عمان الأردن ، ط1، 2002.

4- الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية : عبد الجليل عبد القادر ، دار صفاء ، عمان ، 2002.

5- الأشباه والنظائر في الألفاظ القرآنية التي ترادفت مبانيها وتنوعت معانيها : الثعالبي(ت429هـ) ، تحقيق: محمد المصري، دمشق 1984.

6- البحر المحيط : أبو حيان الأندلسي (ت 745هـ) ، تحقيق : صدقي محمد جميل ، دار الفكر ، بيروت –لبنان 1420هـ.

7- تاج العروس من جواهر القاموس : مرتضى الزبيدي (ت1205هـ)، المطبعة الخبرية ، مصر ، 1306هـ.

8- التبيان في تفسير القران : أبو جعفر الطوسي ، قدّم له : أغابزرك الطهراني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت –لبنان.

9- التحرير والتنوير : محمد الطاهر بن عاشور (ت1393هـ) الدار التونسية للنشر –تونس.

10- التضمين النحوي في القرآن الكريم : د. محمد النديم فاضل مكتبة دار الزمان ، ط1 ، 1426هـ2005-م.

11- تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت 774هـ) ، تحقيق: محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت –لبنان ،ط1، 1419هـ.

12- التفسير الكبير ومفاتح الغيب : محمد الرازي (ت606هـ) ، دار الفكر لبنان بيروت ، ط1 ، 1401هـ 1981-م.

13- تهذيب اللغة : محمد بن أحمد الأزهري (ت 370هـ) ، تحقيق : محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي –بيروت ، ط1، 2001م.

14- جامع البيان عن تأويل آي القرآن : أبو جعفر الطبري (ت310هـ) مطبعة مصطفى البابي الحلبي،مصر،ط1954،2م.

15- الجامع لأحكام القرآن : أبو عبد الله القرطبي (ت671هـ) دار الكتاب العربي ، مصر 1967م.

16- الخصائص : أبو الفتح بن جني (ت392هـ) ، تحقيق : محمد علي النجار ،دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان ،د.ت.

17- دلائل الإعجاز :عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) ، تحقيق : محمد رضا ،دار المعرفة ، بيروت- لبنان، 1398 هـ 1978-م.

18- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني :شهاب الدين الآلوسي (ت1270هـ) ، تحقيق : علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية –بيروت ،ط1 ، 1415هـ .

19- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية : أبو نصر إسماعيل الجوهري (ت393هـ) ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار،دار الكتاب العربي ، مصر القاهرة ، ط4، 1407هـ.

20- علم الدلالة :د.أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط5 ، 1998.

21- العين : الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت170هـ) ، تحقيق :د. مهدي المخزومي ، ود. إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال.

22- كتاب سيبويه :أبو بشر عمر بن عثمان (ت180هـ)، تحقيق : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ،القاهرة ، ط3، 1403هـ 1988-م.

23- كشاف اصطلاحات الفنون : محمد بن علي التهانوي ، دار صادر ، بيروت ، د.ت.

24- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل : أبو القاسم الزمخشري(ت38هـ) دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ، ط3 ، 1407هـ.

25- لسان العرب : ابن منظور (ت711هـ) ، دار صادر ، بيروت ،ط3، 1414هـ.

26- اللغة العربية معناها ومبناها : تمام حسان ، عالم الكتب ، بيروت-لبنان ، ط4، 1425هـ2004-م.

27- المحرر الوجيز : أبو محمد بن عطية الأندلسي ، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي ، دار الكتب العلمية – بيروت،ط1، 1422هـ.

28- المزهر في علوم اللغة وأنواعها : جلال الدين السيوطي (ت911هـ) شرحه وضبطه : محمد أجمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا –بيروت 1986هـ.

29- المشترك اللفظي في ضوء غريب القرآن : د. عبد العال سالم مكرم ، عالم الكتب – القاهرة ، ط1، 1430هـ- 2009م.

30- المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث : أبو الفرج ، دار النهضة العربية ،1966م.

31- معجم الألفاظ المشتركة في اللغة العربية : عبد الحليم محمد قنبس ، مكتبة لبنان ،بيروت 1987م

32- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : ابن هشام الأنصاري (ت761هـ)، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا 1987م.

33- مقاييس اللغة : أحمد بن فارس (ت 395هـ) ، تحقيق :عبد السلام هارون ، دار الفكر ، ط6 ، 1399هـ1979-م.

34- موسوعة مصطلحات أصول الفقه عند المسلمين : د.رفيق العجم ، مكتبة لبنان ، د.ت.

35- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر : ابن الجوزي ، تحقيق :محمد عبد الكريم الراضي ، بيروت 1984م.

36- الوجوه والنظائر في القرآن العظيم : مقاتل بن سليمان البلخي (ت150هـ) ، تحقيق : د.حاتم صالح الضامن ، بغداد –العراق ، ط1، 1427هـ 2006-م.

37- الوجوه والنظائر في القرآن الكريم : هارون بن موسى القارئ ، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن ، دار البشير – عمان ، ط1، 2002م.

ثالثا: البحوث

- السياق القرآني وأثره في الكشف عن المعاني ، مجلة جامعة الملك سعود ،م 15، العلوم التربوية والدراسات الإسلامية ،العدد(2).

حوسبة اللغة العربية بين الواقع و المأمول- الترجمة الآلية أنموذجا-

الباحثة: د نجوى فيران جامعة محمّد لمين دبّاغين- سطيف2

ملخص:
أضحت اللسانيات الحاسوبية نقطة بداية مهمّة في مشاريع عصرنة اللغة وتطويرها وحوسبتها، من خلال الاعتماد على الحاسوب وبرامجه لمعالجة البيانات والمعلومات اللغوية.

وتعدّ الترجمة الآلية من أعقد تطبيقات اللسانيات الحاسوبية والذكاء الاصطناعي الّتي سعت إلى مجاراة الترجمة البشرية، وذلك بالانتقال إلى ترجمة لغة طبيعية باللجوء إلى الحاسوب.

سيحاول البحث الإضاءة على هذه القضايا، والتركيزعلى مدى قابلية اللغة العربية للحوسبة، وعلى أهم النظم والبرمجيات المستخدمة حاليا في الترجمة منها وإليها آليًّا.

الكلمات المفاتيح: اللسانيات الحاسوبية، الترجمة الآلية، اللغة العربية، اللغة الهدف، اللغة المصدر.

Abstract:

Computational linguistics has become an important starting point in the projects of language modernization, development and computing, by relying on the computer and its programs to process data and linguistic information.

Machine translation is one of the most complex applications of computer linguistics and artificial intelligence that has sought to match human translation by moving to natural language translation on computer.

This research will attempt to illuminate these issues, focusing on the viability of Arabic for computerization, and on the most important systems and software currently used in translation from and to them automatically.

Keywords: Computational linguistics, Machine translation, Arabic language, Target language, Source language.

تعدّ الترجمة صناعة قديمة اقتضاها وجود التعدّد اللغوي الّذي عرقل عملية التواصل بين الشعوب، فساهمت في انتقال المعارف بين الأمم، وتبادل المؤثرات الفكرية والأدبية فيما بينها، لأنّها بحق "الوعاء الشامل لكلّ ما عرفه الإنسان في رحلته الطويلة من الابتكارات، وما اعترض سبيله من المصاعب المبنية أساسًا على اختلاف الثقافات وتنوّع الذهنيات وتجدّد اللغات"[1]

وتعدّ الترجمة الآلية أهم مناطق التفاعل بين اللغة والحاسوب، حيث تستثمر هذا التفاعل من أجل إدراك الكيفية الّتي يشتغل بها الذهن البشري، وآليات نموّه، حتى يبرز رهان القرن الحالي حول الكفاءات والقدرات الذهنية الكفيلة لحلّ مشاكل المستقبل.

1 - عبد الرحيم جزل: الترجمة بين النظرية والتطبيق، مجلة الترجمة والاصطلاح والتعريب، ع55، 1999، ص28.

-1مفهوم الترجمة:

تعرّف الترجمة بأنّها" التعبير بلغة أخرى (اللغة الهدف) عمّا عبّر عنه بأخرى (اللغة المصدر) مع الاحتفاظ بالتكافؤات الدلالية والأسلوبية"[1].

غير أنّ نسبة هذا التكافؤ متفاوتة من مترجم لآخر، بل لا يمكن مطلقًا أن نصل إلى فكرة التكافؤ التام والكامل لأنّ اللغات مختلفة ومتمايزة من حيث المفردات والقواعد والتراكيب، لذلك دعا محمود إسماعيل الصيني إلى مراعاة الدقّة في فعل الترجمة، يقول: "الترجمة هي نقل معاني نص من لغة إلى لغة أخرى مع مراعاة الدقّة والأسلوب، والدقّة تعني مراعاة المحتوى الدلالي أو محتوى النص الأصلي، أمّا الأسلوب فمعناه مراعاة الجو الدقيق الّذي كتب فيه النص شعريا أم نثريًا أم قصصيًا"[2]، فالترجمة الجيّدة حسب رأيه هي تلك الّتي صهرت فيها مزايا النص الأصلي في لغة أخرى، بشكل يتم فيه فهم النص الأصلي بطريقة متميّزة وسلسة من الشخص المترجم له.

أي أن الترجمة الجيدة هي الّتي:

أ- تعطي وصفًا كاملاً لأفكار النص الأصلي.

ب- تستخدم الأسلوب نفسه الموجود في النص المصدر.

جـ- تتمتّع بكافة أنواع السلاسة والسهولة الّتي تتمتع بها الكتابة الأصلية.

تطوّرت الترجمة حاليًا لتخرج عن إطار المرور بين نصين أو لغتين، أي التركيز على جانب النقل من لغة إلى أخرى، إلى الاهتمام بجانب التواصل في هذه العملية، أي أنّها تأخذ طابعًا تواصليًا يراهن على مقومات الخطاب في إنجاز عملية الترجمة، وعلى دور اللغة الهدف ومتلقيها أثناء صياغة النص المترجم، وهذا ما دافع عليه نيدا Nida، الّذي يرى أنّ الترجمة "عملية لغوية تعتمد على فك رموز النص الأصلي، وإعادة تشفيرها، فالمترجم يتلقى الرسالة ويقوم بتحليل مكوّناتها الأساسية، ثم ينقلها إلى لغة الترجمة من خلال إعادة بنائها في لغة الترجمة للتطابق مع النص الأصلي"[3].

فالترجمة وفق هذا الفكر عملية تواصلية تستند أساسًا على العمليات المتعلقة ببثّ المعلومات واستقبالها لتصل في النهاية إلى إعادة بناء النتائج حسب اللغة الهدف، وترتيبها لجعل النص مقبولا لدى المتلقي.

2 / عناصر الترجمة:

تقتضي عملية الترجمة حضور مجموعة من العناصر، الّتي تربط بينها علاقات محدّدة، وهي عناصر ضرورية ولازمة من أجل دراسة الترجمة.

وقد اقترح جون كاد فورد G.Cadford نموذجًا نظريًا يفترض ثلاثة عناصر للترجمة هي:[4]

أ- اللغة المصدر: وهي اللغة الّتي كتب بها النص الأصلي المراد ترجمته.

ب-المادة: أفكار النص.

جـ-اللغة الهدف: هي اللغة الّتي ترجم إليها النص الأصلي.

1- روجر-ت-بيل: الترجمة وعملياتها: النظرية والتطبيق، تر: محي الدين حميدي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 2001، ص42.

2- محمود إسماعيل الصيني: "الحاسوب والترجمة"، مجلة التواصل اللساني، 1996، مج3، ص91.

3- فوزي عطية محمّد: علم الترجمة : مدخل لغوي، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، دط، 1989، ص62.

4- محمد نجيب عزّ الدين: أسس الترجمة من الإنجليزية إلى العربية وبالعكس، مكتبة ابن سينا، القاهرة، ط1، 2001، ص09.

يضاف إلى هذه العناصر عنصرًا رابعًا هو الفاعل في الفعل الترجمي "المترجم" الّذي يتوسط عملية الترجمة.

3 / المترجم (الترجمان):

هو القائم بعملية الترجمة، ويقسّم إلى قسمين "مترجم ويجمع مترجمين Traducteur وهو من يترجم كتابة فينقل نصًّا مكتوبًا إلى نص مكتوب بلغة أخرى.

وترجمان ويجمع تراجمة (Interprète) ويطلق على من يشتغل على الترجمة الفورية"[1].

فالمترجم كاتب، أي أنّ عمله هو صوغ الأفكار في كلمات موجّهة إلى قارئ "والفارق بينه وبين الكاتب الأصيل هو أنّ الأفكار الّتي يصوغها ليست أفكاره بل أفكار سواه"[2]

إذ يعدّ المترجم بؤرة عملية الترجمة، فهو الوسيط بين المؤلف والمتلقي، إنّه الشخص الّذي يمر عبره النص من اللغة المصدر إلى اللغة الهدف، فهو كاتب من الدرجة الثانية لأنّه لا يملك الأفكار التّي يترجمها إلى اللغة الهدف، وبطبيعة الحال تنتفي عنه حرية التصرف فيها، فهو حبيس أفكار غيره، ومقيّد بنص تمتّع فيه كاتبه بمطلق حرية التعبير، وهذا ما يعزّزه سالم العيس بقوله:"ليس للمترجم حق ملكية أفكار الكاتب أو الأديب، الّذي يقوم بترجمة نصه، وفي أحسن الأحوال، ما هو إلاّ قناة إيصال لهذه الأفكار، ولكن بمستوى اختصاصي وفنّي وإبداعي لا يقلّ على مستوى ما يقوم بترجمته"[3].

فلا يكفي هذا المترجم أن يكون ضليعًا باللغتين المصدر والهدف، لأنّ مهمّته لا تتوقّف عند قضية التطابق اللغوي ذلك أنّه "لا ينبغي أن يكتفي المترجم بكونه عالمًا ماهرًا في علم اللغة، بل يجب أن يكون عالمًا ممتازًا في العراقة، وهذا ما يتطلّب منه أن يكون ملمّا بكلّ ما يخص اللغة الأصل وبالشعب الّذي يستخدمها، حينئذ فقط يكون المترجم كالساحر العظيم، وشيخًا للفن الثامن"[4] ولأنّ المترجم في كثير من الأحيان يجد نفسه بالضرورة "كاتبًا مستترًا أو كامنًا"[5]، لابدّ أن يتجنب تأثيره الشخصي على العمل المترجم، فهو قارئ غير عادي، عليه أن يحترس من تدخّل ذاتيته وإيديولوجيته في تفسير الأثر الأدبي ونقله، لذلك فالموضوعية أهم شرط لابدّ أن يتسمّ به، سواء تعلّق ذلك بموقفه من النص أو مؤلفه، وعمومًا على المترجم أن يكون محايدا في نقل النص الأصلي دون زيادة أو نقصان، لذلك عدّت الترجمة من أخطر العمليات، لأنّ المترجم يكون فيها في تساؤل دائم حول "كيف يمكن أن نقول ذلك؟، وما اللغة المحكية في هذه الحالة؟"[6].

فهو باختصار مطالب بإنتاج نص يوحي بأنّه كتب أصلاً باللغة الهدف، لأنّه أساسًا ينقل سجلّا حيّا من الفكر من لغة لها أعرافها وثقافتها وحضارتها.

---

1 - محمد عناني: فنّ الترجمة، الشركة المصرية العالمية للنشر، ط6، 2003، ص06.

2- سالم العيس: الترجمة في خدمة الثقافة الجماهيرية –تاريخها، قواعدها، تطوّرها، آثارها وأنواعها-، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 1999، ص91.

3 - جورج مونان: علم اللغة والترجمة، تر إبراهيم أحمد زكرياء، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2002، ص31.

4 - حسيب إلياس حديد: أصول الترجمة-دراسات في فن الترجمة بأنواعها كافة-، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2013، ص12.

5- ناعوموفيتش: علم الترجمة المعاصر، تر: طحينة عماد حسن، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث (كلمة)، أبو ظبي، ط1، 2010، ص328.

6 - ينظر حسيب إلياس حديد: أصول الترجمة، ص7.

4 / أنواع الترجمة:

أ-الترجمة الشفوية الفورية: هي الترجمة الّتي تتمّ شفويًا تلبية لاحتياجات التفاهم بين متكلّمين بلغات مختلفة، فالترجمة الفورية نشاط فكري وإبداعي يقوم على أساس اكتساب المضامين المعرفية والعمل على نقلها نقلاً متكاملًا وتعتمد على الإصغاء والفهم والتحليل وتبليغ الرسالة في وقت محدّد[1].

وقد صارت الترجمة الفورية حاليًا صناعة واختصاصًا قائمًا بذاته، وتكون إمّا مباشرة أو بواسطة السماعات "وهنا تراعى السرعة ودقّة المتابعة"[2]، وتتطلّب الترجمة الشفوية من المترجم أن يكون متكلمًا بليغًا حاضر البديهة يستوعب ما قد يسمعه وينقله بطلاقة في قالبه الصحيح.

ب-الترجمة التحريرية الكتابية: "هي الّتي تنقل المكتوب إلى مكتوب، ويفترض أن تكون هذه الترجمة أكثر دقّة وأفضل أداء من الترجمة الشفوية"[3].

أي أنّها تقوم على نقل نص مكتوب من لغة المصدر إلى لغة الهدف، مع المحافظة على الأساليب والمستويات اللغوية من اللغة المنقول منها إلى اللغة المنقول إليها.

وقد انقسمت الترجمة التحريرية إلى فنّية وقانونية، إدارية، طبية، صحفيّة وتجارية وعسكرية...

جـ-الترجمة الحرفية: هي "ترجمة الكلمة بمعناها اللغوي المعجمي"[4]، أي البحث عمّا يطابق معناها اللغوي مدلولها الاصطلاحي، وسميت بالترجمة الحرفية لأنها تعتمد على ترجمة الألفاظ من لغة إلى أخرى كلمة كلمة دون مراعاة للسياق وللعلاقات القائمة بين هذه الألفاظ، وفي النهاية سنتحصل على مصفوفة عشوائية من الكلمات الّتي لا رابط بينها، فيؤدي ذلك إلى تشويه المعنى وهذا ما يؤكّده هذا الباحث "إنّ ترجمة النص جملة بجملة اعتمادا على اللغة المترجم منها لا يؤدي سوى إلى تصنيف عناصر لغوية متنافرة في اللغة الأخرى"[5]، وتعتمد الترجمة الحرفية على مجموعة من الاستراتيجيات هي: الاقتراض L'emprunt والنسخ Calque.

د-الترجمة المعنوية (الحرّة): وهي ترجمة تجعل للمعنى الأولوية في التصدّر، فالمطلوب من المترجم هنا هو تفسير النص لا تحليله لغويًا، وبالتالي فهو يؤسس لمعانيه انطلاقا من الرجوع إلى السياق الوارد فيه ذلك أنّ "ليست للكلمات المعزولة عن السياق إلاّ معانٍ افتراضية، وليس للجمل المبتورة عن سياقاتها سوى معانٍ افتراضية"[6].

وتقوم الترجمة المعنوية على مجموعة من التقنيات حدّدها جورج مونان في الآتي:[7] النقل Transposition))، التكافؤ(L'équivalence)،التعديل(Modulation)، التكييف(-L'adapta

1 - إبراهيم الجيلاني: علم الترجمة وأفضال العربية على اللغات، المكتب العربي للمعارف، مصر، ط1، ص66.

2- سناء منعم اللسانيات الحاسوبية والترجمة الآلية، منشورات مختبر العلوم المعرفية وعالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2015، ص134.

3- صادق خشاب: التعريب وصناعة المعجم –دراسة تطبيقية في القواعد والإشكالات-، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2016، ص101.

4- سعيدة كحيل: إستراتيجيات الترجمة الأدبية –رواية البؤساء لفكتورهيغو، دراسة تحليلية نقدية-، رسالة ماجستير في الترجمة، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2014-2013، ص72.

5- المرجع نفسه، ص73.

6- ينظر جورج مونان: علم اللغة والترجمة، ص71-70.

7- محمّد الديداوي: منهاج المترجم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005، ص129.

tion) التصريح (L'explication).

5 / الترجمة الآلية (الحاسوبية):

لقد بدأت فكرة الترجمة المستعينة بالآلة (الحاسوب) في السبعينيات، حينئذ ما فتئ الاهتمام ينصب على الاستعمال المتكامل لشتى الأدوات في الترجمة المحوسبة، أي الّتي يسخر فيها الإنسان الحاسوب.

ويرتكز هذا المشروع على الفكرة الّتي تقول إنّ "المصطلح المستقبلي لابدّ أن يكون اصطلاحًا مرتبطًا بالتوليد الآلي، لأنّ الباحث والمترجم العربي في حاجة ماسة إلى كمّ هائل من المصطلحات، ولن تتأتّى المواكبة إلاّ بالتحوسب"[1]

أ-تعريفها: وهي ميدان بحثي وتطبيقي يقوم على أساس الترجمة من لغة طبيعة إلى لغة طبيعية أخرى باستخدام الحاسوب والأنظمة الحاسوبية"[2]، أي أنها تضطلع بمهمتّي: الترجمة للحصول على المعلومات، والترجمة بغرض نشر المعلومات.

إذن، يتحدّد مفهوم الترجمة الآلية بداية في نقل النص من لغة إلى أخرى باستخدام الآلة انطلاقًا من مجموعة من النظم اللغوية المعقّدة الّتي تحوي قواميسًا ومعاجمًا وقواعد لغوية، إذ تقوم نظم الترجمة الآلية "بتفهّم الجملة في اللغة المصدروتحليلها بناء على القواعد الموضوعية للغة المصدر ونقلها إلى اللغة الهدف، ثم تقوم بتوليدها في اللغة الهدف بناء على القواعد الموضوعية للغة الهدف"[3]، كما يستعين المترجم بهذه النظم لتقديم العون إلى الحاسبات عند إنتاج الترجمة، بما في ذلك العمليات المتنوّعة لتحضيرالنصوص للترجمة والمحاورة الآنية خلال الترجمة نفسها، وكذا المراجعات اللاحقة للنصوص الناتجة عنها.

تعدّ الترجمة الآلية أحد التطبيقات الأساسية للسانيات الحاسوبية "والّتي تتناول الآليات الأساسية الّتي تقوم عليها اللغة والعقل بوصفها وصياغتها رياضيا باستخدام اللغات الصورية والاصطناعية لوضعها في نماذج، ومن ثمّ محاولة محاكاتها في البرامج الحاسوبية"[4]

فالترجمة الآلية –وفق ذلك- ليست علمًا مستقلاً، بل تستلهم أفكارها وتطبيقاتها من علوم اللسانيات، وعلوم الحاسب والمعلوماتية والذكاء الاصطناعي ونظريات الترجمة، وغيرها من الحقول الّتي يمكن أن توظّف لخدمة تطوير النظم الحاسوبية، فهي تنتمي بشكل أساسي إلى البحوث التطبيقية الّتي توظّف التقنيات والمفاهيم لمعالجة اللغات الطبيعية بواسطة الحاسوب.

ب-نظم الترجمة الآلية:

لقد أصبحت الترجمة الآلية حقيقة واقعة من حيث توفّرعدد متزايد من البرمجيات والنظم الّتي تساهم في ترجمة النصوص، ويمكن تصنيفها انطلاقا من طبيعة المهمة الّتي تتولاها إلى:

-1نظم شاملة للترجمة الآلية: وهي نظم مبرمجة للقيام بعملية الترجمة دون تدخل بشري، وقسمتها

1- سناء منعم: اللسانيات الحاسوبية والترجمة الآلية، ص140.

2- سلوى حمادة: المعالجة الآلية للغة العربية –المشاكل والحلول-، دارغريب، القاهرة، ط1، 2009، ص244.

3- عبد الله بن حمد الحميدان: مقدمة في الترجمة الآلية، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 2001، ص16.

4- مجموعة من الباحثين: الترجمة في الوطن العربي –نحو إنشاء مؤسسة عربية للترجمة-، مركزدراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2000، ص210.

سناء منعم إلى نوعين:

أ- نظم غير مقيّدة بموضوع معيّن، تستخدم حاليًا عبر شبكة الانترنت لتقديم خدمات ترجمة سريعة دون اعتبار لمستوى الدقة (مثالها نظام Systram).

ب-نظم مقيّدة بموضوع معين ذات جودة مقبولة، وتتميز هذه النظم بتعاملها مع عدد محدود نسبيًا من أنماط الجمل والمصطلحات الفنية، أي تقوم على "تقليص مدى اللّبس الّذي يعتري التراكيب النحوية والألفاظ المعجمية بما يجعل الترجمة الآلية أقل صعوبة"[1]

-2نظم دعم المترجم البشري: وهي مجموعة من النظم الّتي تطمح إلى مساعدة المترجم للقيام بعمله الترجمي، وتركّز معظمها على توفير الأدوات اللغوية والمعجمية المتعلقة أساسًا بلغة المصدر، وترتكز أساسًا على:"القواميس ومعاجم المرادفات والموسوعات، وذاكرات الترجمة ومحرّرات النصوص والمصححات الإملائية والقواعدية"[2]

فالهدف من هذه النظم ليس تقديم ترجمة آلية صرفة، بل إنّ الترجمة هاهنا تكون على عاتق المترجم، ويرتكز دور الآلة والمعلوماتية على توفير أرضية عمل حاسوبية متخصصة توفر للمترجم كل الأدوات البرمجية والمواد اللسانية الّتي يحتاجها في عمله بشكل متكامل.

-3نظم برمجية لبناء المصطلحات والمعاجم المتخصصّة: وهي نظم توفّر وسائل علمية للمترجم البشري لتمييز المصطلح في لغة المصدر، وانتقاء أنسب مقابل له في لغة الهدف، وكذا إمكانية إضافة مصطلحات جديدة أو بديلة، وتقوم هذه النظم على:[3]

- الترجمة بين لغات عدّة في الاتجاهين.
- تعزيز الأسس اللغوية الّتي تبنى عليها نظم الترجمة الآلية.
- التركيز على المعجم بوصفه قاعدة معارف تضم عددًا هائلًا من المعطيات اللغوية.
- المزج بين الأساليب الرياضية والمنطقية للحصول على معرفة لغوية يمكن للآلة التعامل معها.

ج - مراحل الترجمة الآلية: يختزل نشاط الترجمة الآلية شأنه شأن الترجمة البشرية خطوات رئيسة هي:

-1إعداد النص قبل الترجمة: ويتطلب ذلك مجموعة من النظم هي:[4]

- نظم آلية لمراجعة أسلوب النص للتأكد من اتساقه وقابليته للترجمة .
- وسائل آلية للتأكد من اكتمال الرموز الّتي يتمّ بها توصيف النص من حيث العناوين وبداية الفقرات والجداول والصور...

-2تحليل نص لغة المصدر: ويقوم التحليل على ثلاث مراحل جزئية هي التحليل الصرفي، النحوي والدلالي، ويتم تطبيقها تباعًا على النص المصدر المراد معالجته، وفي نهاية مرحلة التحليل يكون نظام الترجمة الآلية قد قام ببناء تمثيل للنص المصدر مصاغًا وفق قواعد اللغة الهدف.

أ-التحليل الصرفي: يتم الاستعانة بقواميس أحادية اللغة تساعد في التعرّف على الخصائص

1- ينظر عبد الله الحميدان: مقدمة في الترجمة الآلية، ص76.

2- ينظر، الترجمة في الوطن العربي، ص212.

3- ينظر المرجع نفسه، ص147.

4- ينظر، عبد الله الحميدان: مقدمة في الترجمة الآلية، ص111.

الصرفية والنحوية والدلالية لمفردات اللغة الأصل، من خلال الوقوف على[1]:
- فئة الألفاظ الصرفية والإعرابية وفئاتها الممكنة في حالة الإبهام: اسم، فعل، صفة...
- الخواص النحوية الجزئية، أهو فعل لازم أم متعدّ، اسم مؤنث أو مذكر، أو مثنى أو جمع.
- التعرّف على خصائصها الدلالية.

ب-التحليل النحوي: وفيه يتم تطبيق القواعد والعلاقات النحوية على المعلومات اللسانية (الصرفية، النحوية، والدلالية) الّتي تمخّضت عن مرحلة التحليل الصرفي السابقة، ويقوم التحليل النحوي على فحص جمل النص انطلاقًا من العلاقات التالية:[2]

-1التسلسل: فالصفات مثلا في العربية تتبع الموصوف، أمّا في الانجليزية فتسبقها.
-2التعلّق: أي العلاقات الّتي تقيمها الألفاظ ضمن الجملة.
-3التركيب: أي مكونات الجملة وعناصرها الّتي تحدد طبيعتها (اسمية، فعلية).

ج-التحليل الدلالي: يعتمد البرنامج الحاسوبي في هذا المستوى على تحليل عميق للجمل للحصول على المعنى الصحيح للكلمات، وذلك بحسب العلاقات الّتي ترتبط بها، "ويعاد تصنيف الوظائف النحوية وفقًا لأدوارها الدلالية، وكثيرًا ما نجد للكلمة الواحدة مرادفات عدّة يجب تمييزها بحسب سياق الكلام"[3].

أشرنا إلى أنّه يتم التعرّف على الخواص الدلالية لمفردات النص في مرحلة التحليل الصرفي، لكن في حالة الإبهام المفرداتي، يتمّ إعطاء بعض المفردات أكثر من معنى ممّا يؤدي في النهاية إلى إبهام الجملة فيتمّ تحليلها إلى عدّة بنى ممكنة قواعديًا، وهكذا فالتعرّف على الخصائص الدلالية لعناصر الجملة يساعد على إزالة هذه الإبهامات.

-3 مرحلة التحويل: بعد مرحلة التحليل يكون نظام الترجمة الآلية قد قام ببناء تمثيل مبدئي للنص المصدر، أين يتمّ الانتقال في مرحلة التحويل من تمثيل أولي للمصدر إلى تمثيل مبدئي مكافئ له في النص الهدف، وهو الّذي يشكّل الأساس في المرحلة اللّاحقة (التوليد).

وتتكوّن هذه المرحلة من خطوتين:

أ-التحويل المعجمي: "وتستخدم الترجمة الآلية في هذه المرحلة قواميس ثنائية اللغة لوصف التقابل بين مفردات اللغتين المعنيتين بالترجمة، وتسمّى عادة بقواميس النقل أو التحويل أين يتمّ بالاستعانة بها للبحث عن المفردات الهدف المكافئة للمفردات المصدر واختيار المناسب منها"[4]

وفي هذا النوع من التحويل يتم دراسة ومعالجة مشاكل تعدّد المعاني من جهة نظر اللغتين المعنيتين المصدر والهدف، من خلال إيجاد تقابلات المعاني فيما بينها.

ب- التحويل البنيوي: ويسعى إلى تحويل بنى النص المصدر النحوية والقواعدية إلى مكافئاتها في اللغة الهدف لإخراج النص الهدف كما تفرضه قواعد هذه اللغة و"تستخدم الترجمة الآلية في هذه المرحلة جداولا أو قواميس ثنائية اللغة لوصف التقابل بين القواعد الّتي تحكم تركيب الجمل في

---

1 - ينظر، السابق، ص112.
2 - الترجمة في الوطن العربي، ص322.
3 - الحميدان: مقدمة في الترجمة الآلية، ص116.
4 - الحميدان: ص118.

اللغتين المعنيتين بالترجمة، وتدعى بجداول النقل القواعدي"[1].

وتسبق هذه المرحلة عملية جوهرية تتأسس عليها باقي المراحل، وهي تمثيل بنية جملة النص الأصلي على هيكل شجرة تضمّ البنى النحوية والقواعدية المميّزة للغة المصدر، كما يقام لكل شجرة في اللغة الأصل شجرة مقابلة لها في اللغة الهدف، وانطلاقًا من هذه العملية يتم البحث عن البنى القواعدية المكافئة لبنية الجملة المصدرفي جملة اللغة الهدف أوما يسمى بجدول النقل القواعدي.

-4مرحلة التوليد: ومرحلة التوليد متناظرة مع مرحلة التحليل حيث يتم إجراء عمليات التحليل الصرفي والنحوي والدلالي في الإتجاه المعاكس لما سبق، وتتم مرحلة التوليد انطلاقًا من مجموعة من وسائل الدعم منها:[2]

- بناء قواعد بيانات للتقابلات النحوية بين لغة المصدروالهدف.
- وسائل صرفية آلية لتوليد مشتقات الألفاظ وتصريفها في صورتها النهائية.
- مولدات نحوية آلية تستخدم قواعدًا رياضية لضمان سلامة التراكيب المولّدة.

لابدّ من الإشارة إلى أنّ التمثيلات الأولية الّتي تمخّضت عن مرحلة التحويل الّتي تعكس البنية اللسانية لجمل النص المصدرهي الّتي تشكّل أرضية الانطلاق والعمل في هذه المرحلة من المعالجة أي توليد النص الهدف.

-5مرحلة تهذيب النص بعد ترجمته: يحتاج النص المولّد في المرحلة السابقة إلى مراجعة للتحقق من صحته وسلامته واكتماله، وحددت سناء منعم مجموعة نظم الدعم تتضمّن "وسائل آلية للتحقق من اكتمال الترجمة من حيث عدم إغفال المترجم لبعض فقرات النص، وكذلك عدم قيامه بإضافات من عنده دون قرينة من النص الأصلي"[3]

وتجدر الإشارة إلى أن الترجمة الآلية بمراحلها الخمس تتمخّض عنها قواعد لذخيرة النصوص الّتي تعدّ مرجعًا أساسيًا للدراسات المقارنة والتقابلية، وهذا كلّه يعزّز نظم الترجمة الآلية بقدرات جديدة قصد زيادة قدرتها التركيبية، وتوسيع نطاقها المعجمي والمصطلحي.

د- أنواع الترجمة الآلية:

1- الترجمة الآلية المدعومة بالإنسان: وهي المنظومات الّتي يتولّى فيها الحاسب مسؤولية ترجمة النص المدخل إليه، مع السماح للإنسان المترجم بالتدخّل من خلال شاشة الحاسوب لمساعدته على فك الغموض أو اللبس لبعض الكلمات أو العبارات[4]، أي أنه في حالة حدوث التباس في المعنى المطلوب، أوعدم وجود معنى للكلمة المطلوبة يتمّ الاستفسارعلى الشاشة، ويطالب هذا الحاسوب

1 - ينظر: سناء منعم، ص148.

2 - المرجع نفسه، ص149.

3- ينظر، أمينة أدردور والسعدية آيت الطالب: الترجمة الآلية ومحطة عمل المترجم، مجلّة التوليد والنسقية والترجمة الآلية، 2001، م1، ص105.

4 - ينظر، سناء منعم، ص172.

* - المعاجم الالكترونية هي معاجم محوسبة أحادية أوثنائية اللغة، تقدّم للمترجم جميع المقابلات المخزّنة في ذاكرة الحاسوب، وتكون هذه المعاجم على شكل أقراص مدمجة (Cd-Rom) أوضمن برامج معالجة النصوص.

الإنسان بإزالة الالتباس أوتحديث القواميس المخزّنة، من خلال إضافة المعنى المطلوب، وفي نهاية الترجمة يقوم المترجم باسترجاع النص المترجم عن طريق برنامج تحديث، ليراجعه في النهاية، وفي هذه الحالة لديه الحرية، في إدخال التعديلات الّتي يراها ضرورية.

2- الترجمة البشرية المدعومة بالآلة: وتسمى أيضًا بالترجمة الآلية بمساعدة الحاسوب، وفيها يقوم الإنسان بالجهد الأكبر أثناء عملية الترجمة إذا صادفته كلمات لا يعرف معناها، الّتي تتكفّل بمهمّة تزويده بالمعاني الممكنة لهذه الكلمات في اللغة المطلوبة بعد أن تصفّ على شكل تقرير.

ويمكن أن نحدّد الآليات والأدوات الّتي يوفّرها الحاسوب للمترجم في هذه الحالة في: [1]

- مساءلة بنوك المصطلحات.
- المعاجم الإلكترونية*
- البريد الالكتروني الّذي يشغله المترجم في تبادل النصوص الأصلية والمترجمة مع دور النشر.
- ذاكرة الترجمة الّتي تحتفظ بنتائج الترجمة لاستخدامها في نصوص متشابهة أو متطابقة.
- معالج النصوص (Word Processor) وهو نظام حاسوبي يساعد المترجم على كتابة النصوص المترجمة وتعديلها بسهولة وسرعة كبيرة.

3- الترجمة الآلية البحتة: ويقوم هذا النوع على "إدخال النص المطلوب ترجمته إلى الحاسوب، حيث يقوم البرنامج المعدّ للترجمة الآلية بإصدار نص مترجم باللغة المطلوبة، ويتطلّب هذا النوع من الترجمة نظامًا متكاملاً ومعقدًا"[2]، فالترجمة الآلية البحتة تتمّ باستخدام منظومات معقّدة، وبالاستعانة بالقواميس الآلية الشاملة إضافة إلى مجموعة من القواعد النحوية والدلالية الّتي تغطي اللغتين المصدر والهدف.

ه-الأنظمة العالمية في مجال الترجمة الآلية:

سنذكر أهمّ النظم المشهورة في الترجمة الآلية أو ما يسمّى بالبرامج الحاسوبية المتعلقة بالترجمة الآلية:

1- سيستران(Systran):"وهو من أوائل نظم الترجمة الآلية من الروسية إلى الإنجليزية، وهو يستخدم على نطاق واسع، كما أنّ وكالة الفضاء الأمريكية ناسا (Nasa) قد استخدمته"[3]، ويعدّ من نظم الجيل الأوّل، والّذي يمثّل الجهود الأولى الّتي بذلت منذ أوائل الخمسينيات في مجال الترجمة الآلية، وقد طوّر سيستران ليشمل ترجمة الإنجليزية إلى الفرنسية، ثمّ تلته أنظمة أخرى وصلت إلى أزيد من 23 لغة، وهذا يدلّ على قدرة النظام على التكيّف مع عديد اللغات أبرزها اللغة العربية، غير أنّ البحث في مجال اللغة العربية قد توقّف لأسباب فنية ومادية وإدارية وقانونية، "كما أنّ بعض التجارب الّتي أجريت على النظام أظهرت أنه نظام ضعيف اللغة ويحتاج إلى مجهودات جبّارة لتحسين قدراته باللغة العربية من جهة، ولجعله يعمل على الحاسوب الشخصي من جهة ثانية"[4]

ويعتمد هذا النظام على نوعين من المعاجم: معجم مزدوج اللغة، ومعاجم أخرى سياقية.

1- المرجع نفسه، ص17.

2- سلوى حمادة: المعالجة الآلية للغة العربية، ص262.

3- الترجمة في الوطن العربي، ص183.

4- سلوى حمادة: المعالجة الآلية للغة العربية، ص262.

2- لوغوس (Logos): يعدّ برنامجًا منافسًا لـ"سيستران" من حيث الترجمة بالاعتماد على معجم واسع، ويتعامل مع لغات عدة، ويعمل هذا النظام "على الترجمة من الانجليزية إلى الفيتنامية، وبدأ العمل به لاستخدامه في سلاح الجو الأمريكي عام 1971 في ترجمة كتب الصيانة للمعدات العسكرية"[1]، وقد طوّرت لوغوس الشركة الأمريكية في الثمانينات برنامجًا متخصصًا للترجمة من الألمانية إلى الإنجليزية، ثمّ ظهرت إصدارات لاحقة خاصة باللغات الفرنسية والاسبانية والايطالية ولغات أخرى.

-3 سبانام(Spanam): وهو برنامج يترجم من اللغة الانجليزية إلى الاسبانية والعكس، وقد أعدّ خصيصًا لمنظمة الصحة الأمريكية في واشنطن، وقد بدأ البحث حول البرنامج في جامعة جورج تاون لكن الفكرة طوّرت "في منظمة الصحة الأمريكية، لكنّ العمل به سارة بوتيرة سريعة، فظهرت أوّل الإصدارات نحو الاسبانية في 1976، أمّا النسخة الانجليزية فهي قريبة العهد، ودخلت مجال التطبيق في 1984"[2]

-4 غيتا(Geta): ويسمّى أيضًا بنظام أريان78(Ariane78)، وتمّ تطويره في جامعة غرونوبل Grenoble في فرنسا بدعم رسمي، وقد بدأ بالترجمة من الروسية إلى الفرنسية، "كما حاولت جماعة غرونوبل العمل على عدد آخر من اللغات سواء في فرنسا أو خارجها (ماليزيا وتايلاند)، وتشير إحدى الدراسات المسحية أنّ أريان78 به إمكانات الترجمة بين الروسية والإنجليزية والايطالية والفرنسية، كما أنّها قابلة للتطبيق على اليابانية والماليزية"[3]

كما سعت هذه الجامعة(غرونوبل) في محاولات عدّة لتطوير نظام هذه الترجمة الآلية من الانجليزية إلى العربية.

إضافة إلى هذه الأنظمة، توجد أنظمة حاسوبية أخرى لها من الأهمية البالغة[4]، وكل نظام يختص بلغات معينة، ويسعى إلى الترجمة في مجال معين كالنسيج، والطب والاقتصاد...

6 / الترجمة الآلية إلى اللغة العربية ونظمها:

إنّ التطورات التكنولوجية الحاصلة على مستوى آليات الاتصال والمواصلات ساهمت في تغيّر أغراض الترجمة وصورها وسرعتها، ومع دخول الشبكات حياة الإنسان أصبح هذا المستخدم يتوقّع ترجمة النص بمجرّد ضغطه على لوحة المفاتيح و"العربية لم تكن في منأى عن ذلك التطوّر الّذي مسّ لغات العالم، وكان من انعكاس ذلك على مستوى الوسائل (Media) أن عرفت العربية النشر الالكتروني والاسترجاع الآلي، كما عرفت اللغة العربية الميكروإلكترونات الّتي تفجّرت منها علوم الحواسيب وعلوم الفضاء"[5]، غير أن الحال في المنطقة العربية غير مرض لاسيما على مستوى الأعمال البحثية في مجال الترجمة الآلية، الّتي مازالت في طورها الأوّل بالرّغم من أنّها قد تجاوزت عشرات الأعوام، ومرجع ذلك يعود إلى عدم استيعاب الباحث العربي لهذا الفرع العلمي الجديد،

1- سناء منعم، ص155.

2- محمود إسماعيل الصيني: الترجمة الآلية واللغة العربية، مجلة التواصل اللساني، ع2-1، 1994، ص85.

3- للاستزادة في غيرها من الأنظمة، عد إلى: سلوى حمادة: المعالجة الآلية للغة العربية، ص264-263.

4- صالح بلعيد: دروس في اللسانيات التطبيقية، ص208.

5- الترجمة في الوطن العربي –نحو إنشاء مؤسسة عربية للترجمة-، ص308-307.



وكذا فردية هذه الأعمال البحثية، وعدم وجود الدعم المادي لها ومحدودية إمكانيات العمل من معدّات وأجهزة.

غير أنّ ذلك لم يمنع بعضهم من وضع أنظمة لترجمة اللغة العربية آليًا على الانترنت وهي محاولات جسورة وجب الوقوف عليها.

أ-نظمها:

1- ترانسفير (Transphere): وهو نظام وضعته شركة أبتيك (Apptik) بالولايات المتحدة الأمريكية، ويعتمد على برنامج ترجمة من الانجليزية إلى العربية، ويضمّ قاموسًا حجمه حوالي 100ألف كلمة إلى جانب قواميس متخصصة ومدقّق إملائي.

وقد طوّر هذا النظام بمساهمة عدد من المتخصصين في اللسانيات بالو.م.أ، وبمعية ثلّة من المستشارين في جامعات الأردن والمغرب، و"يعدّ ترانسفير أوّل نظام للترجمة الآلية إلى العربية، فقد اعتمد مقاربة لسانية متطوّرة (النحو الوظيفي المعجمي) جعلته يتلاءم مع ما تتطلّبه الحياة العملية من ترجمة كمّ هائل من النصوص في مجال التطبيقات الصناعية والتجارية"[1].

ويتّسم هذا النظام بالمردودية لأنه يقبل الملفات الالكترونية أيًا كانت، ويتكيّف مع النصوص مهما كانت المعالجة النصية المعتمدة، ويشتغل على أرضيات متنوّعة تحت برنامج Windows-NT.

2- برنامج سيموس(Cimos):"يشمل البرنامج مصادر معجمية وتراكيب وعبارات اصطلاحية تشكّل مدوّنة هامة، وأداة مساعدة للترجمة البشرية والآلية، ويعالج حوالي 6000كلمة في الساعة، ويقدّم لمستخدميه ترجمة مفهومة ومناسبة وقابلة للتطوير والتحسين"[2]، ويعمل هذا البرنامج من الانجليزية إلى العربية والعكس، ومن الفرنسية إلى العربية والعكس.

ويتوفّر البرنامج على معالج نصوص يساعد المستخدم على مراجعة النصوص المترجمة، كما تمكّنه من تلقين البرنامج قواعد معرفية جديدة تساعده على تحليل عميق للجمل وإنشاء علاقات دلالية.

ويتميّز هذا النظام بمجموعة من المواصفات:[3]

1- قاعدة النصوص المترجمة.

2- مستوى التحليل الصرفي.

3- مستوى التحليل النحوي.

4- مستوى التحليل الدلالي.

5- مستوى التحويل.

6- مستوى التوليد.

3- أراب ترانز (Arabtrans): وهو نظام من إنتاج شركة (Arab Net) و"يعمل في بيئة ويندوز -Win dows، وله مدقّق للكلمات (Spell Cheker)، وقاموس به مليون كلمة، وهو يقوم بالترجمة الآلية

1- سناء منعم: اللسانيات الحاسوبية والترجمة الآلية، ص165.

2- الترجمة في الوطن العربي، ص318.

3- سلوى حمادة: المعالجة الآلية للغة العربية، ص264.

من الانجليزية إلى العربية"[1].

4- ترجمان: ويهدف هذا النظام إلى "ترجمة البنيات الأساسية الانجليزية دون حصرها في مجال محدّد، مع الاعتراف بوجود قيم خلافية دلالية وتركيبية، تتعلق بمجال التخصيص الّذي ترد فيه هذه الجمل"[2].

ويعدّ ترجمان من التجارب الرائدة عربيا، والّتي قام بها معهد المعلوماتية والاتصالات بتونس، فهو مدعوم بالحاسوب إنجليزي عربي، ويتميّز باستغلاله للأدوات اللسانية بالإضافة إلى الأدوات التقنية المتاحة.

-5صخر: وهي برمجيات صادرة عن شركة صخر الكويتية، وقد صمّمت "لتحاكي الخطّاط العربي الأصيل، ولتمييز الوثيقة العربية عن اللاتينية"[3]

ويعتمد هذا البرنامج على أسلوب التحويل اللغوي من خلال تحليل النص الأصلي لغويًا ثم تحويل عناصره إلى العربية لتوليد النص العربي السليم في النهاية.

ويقدم النظام أربع خدمات هي:[4]

1- الترجمة الآلية من الإنجليزية إلى العربية.

2- قاموس ثنائي اللغة والاتجاه.

3- معجم المصطلحات المتخصصّة.

4- ترجمة الملفات.

وتعتمد صخر على الترجمة التفاعلية أين يشارك الإنسان مباشرة في عملية الترجمة.

ب- الهدف من حوسبة اللغة العربية:

تتجلّى الغاية من حوسبة اللغة العربية في بناء قاعدة معلومات لتنظيم الثروة اللغوية في جميع مستوياتها الصرفية والنحوية، المعجمية والدلالية و"قاعدة المعلومات هي الوسيلة العملية لتخزين هذه الثروة، وهي واحدة من الأسس الحضارية الهامة في هذا العصر، لأنّ المعلومات قوة وتوزيعها وتسهيل الحصول عليها وتبادلها ضروري لتعزيز المجتمعات"[5].

لذلك تسعى قاعدة البيانات إلى بناء موسوعة إلكترونية للغة العربية ويساهم ذلك في تصميم برامج صحيحة للترجمة الآلية بمراعاة خصوصية وطبيعة ونظام اللغة العربية صوتا وصرفا، نحوا ودلالة. هذا وقد شملت قاعدة البيانات اللغوية العربية:

1- قاعدة معلومات على المستوى المعجمي:وتأسست أساسًا على فكرة أن"كل وحدة معجمية تضمّ بالضرورة مكونين أساسين وضروريين في الأعمال المعجمية هما المدخل من جهة، والمعلومات من جهة أخرى"[6]

1- لمياء العابد وآخرون: ترجمان، برنامج الترجمة بالحاسوب إنجليزي-عربي، مجلة التواصل اللساني، 1996، م3، ص101.

2- صالح بلعيد: دروس في اللسانيات التطبيقية، ص208.

3- سناء منعم، ص163.

4- سناء منعم، ص181.

5- محمّد عبد المنعم حشيش: معالجة اللغة العربية بالحاسوب، مجلة التواصل اللساني، م1، ص14.

6- عبد القادر الفاسي الفهري: البناء الموازي –نظرية في بناء الكلمة وبناء الجملة-، دار توبقال، الدار البيضاء، ط1، 1990، ص33.

وتمّ في هذا التوصيف المعجمي مراعاة الصرف من حيث طبيعة الفعل والاسم والحرف وحالاته، وكذا المرور بالحقل النحوي لتحديد سماتها من حيث البناء والإعراب، واللزوم والتعدّدية، مع الاستعانة بالحقل الدلالي لتحديد معانيها وحقولها المعجمية.

2- قاعدة بيانات على المستوى الصرفي: "ويعني بالخصائص الصورية لبناء الكلمات والوصول إلى تحديد الموضوعات الصرفية"[1]، وهذا ما يتعلّق بالجذور.

وتتحدّد المعالجة الصرفية في:

أ- اشتقاق الكلمة أي تحديد مشتقات الجذور الثلاثية والرباعية ومزيداتها.

ب- تحليل الكلمة من خلال إعادة الكلمة المزيدة إلى أصلها، وتحديد معاني الزيادة وإعرابها.

3- قاعدة بيانات على المستوى النحوي: وفيه يتمّ "التعرّف على النظام النحوي الّذي تنتهجه اللغة العربية في القواعد الّتي تنظّم تأليف الكلمات في عبارات أو جمل"[2].

ويمس التحليل النحوي:

أ- الكلمة مفردة من خلال الوقوف على الخصائص التركيبية للفعل والاسم والحرف.

ب- الجملة(التركيب): ويتعلّق بالكلمات المشكّلة لهذا التركيب، من بيان لرتبتها، ونظر في العلاقات التركيبية الّتي تقيمها مع غيرها من الكلمات داخل هذا التركيب.

4- قاعدة بيانات على المستوى الدلالي: وفيه يهتمّ بالطرق الّتي تأخذ الكلمات المستقلّة معانيها وفقًا لها، سواء كانت منعزلة أو بورودها ضمن سياق[3].

فالتعرّف على معاني الكلمات ومن ثمّ الجمل يستلزم التعرّف على خصائصها الدلالية وتحديد طبيعتها، أي دلالة المباني، ودلالة المعجم ودلالة السياق.

ج- عوائق ترجمة اللغة العربية آليًا:

بالرغم من استعار التنافس العالمي حول الترجمة الآلية ونظمها، إلاّ أنّ هذا المجال مازال فتيًا، بل متأخرًا في الهيئات العربية، ما دفع غير العرب إلى الخوض في مجال العربية وببرامج حوسبتها.

تواجه الترجمة الآلية للغة العربية إشكالات جمّة يمكن حوصلتها في الآتي:

1- ظاهرة الترادف الّتي تؤثّر أساسًا على عملية الاسترجاع أين يتمّ توزيع الكلمات الّتي تحمل المعنى نفسه إلى مواقع متعدّدة، نحو: قوانين، أحكام، تشريعات، أنظمة.

2- الاشتراك اللفظي أين تأخذ الكلمة الواحدة أثناء الترجمة الآلية معان عدّة بحيث لا يمكن تمييز المعنى الصحيح أو المطلوب في السياق.

3- كثرة المفاهيم المركّبة فـ "تتغيّر دلالة المفهوم المركّب بسبب تبادل مواقع المضاف والمضاف إليه"[4] من نحو (إدارة العلوم-علوم الإدارة)، (تصنيف الوظائف-وظائف التصنيف).

4- خروج اللغة عن الاستعمال الحقيقي إلى المجازي.

5- اللّبس الصرفي والدلالي، فيمكن الخلط أثناء التحليل الصرفي بين كَتَبَ، كُتِبَ، كُتُبٌ، أمّا اللّبس

1- سناء منعم، ص187.

2- الحميدان: ص112.

3- سلوى حمادة، ص119.

4- ينظر، سناء منعم، ص255.

الدلالي فيكون حينما نجد للكلمة الواحدة الموجودة في نتيجة بحث واحد معانٍ مختلفة مثل كلمة حامل: امرأة حامل- رجل حامل لسيفه.

6- المسكوكات: وهي متواليات لغوية تتضمّن جزءًا ثابتا غير قابل للاستبدال بعناصر أخرى، ودلالاتها لا تستخلص من معاني المفردات المكوّنة لها، وإنّما يعوّل في فهمها على تجربة الفرد وطريقة توظيفه لها في سياقات معينة[1]، فمثلًا: (ضرب أخماسًا في أسداس) أو (صلّى الله عليه وسلّم) لا تفهم إلّا وهي مجتمعة، ولن تكون ترجمتها إلّا بتعابير مسكوكة هي الأخرى من اللغة الهدف تطابقها دلالة وإيحاء.

أضف إلى السابق، جملة من الصعوبات الكامنة في عملية الترجمة الآلية:

1- تعقيد نظم البحث وآليات استرجاع المعلومات في المحتوى العربي.

2- كلفة الترجمة الآلية الباهضة.

3- فردية المبادرات في هذا المجال.

4- ندرة مراكز البحوث الأكاديمية النظرية والتطبيقية في مجال اللسانيات الحاسوبية.

لكننا رغم ذلك لا نبخس حق تلك الجهود الواعية رغم قلّتها، الّتي حاولت إدراك الكيفية الّتي تشتغل بها الآلة لترجمة حاسوبية من وإلى العربية.

خاتمة:

إنّ ما يشهده العالم من انفجار تكنولوجي، وثورة معلوماتية، يؤكد الدور المحوري الّذي يلعبه الحاسوب خاصة بعد اقترانه بأساليب جديدة تتيح نقل المعلومات والمعارف من لغة إلى أخرى بسرعات تكاد تسابق الزمن ذاته.

لذلك تعد الترجمة الآلية من المواضيع الراهنة الّتي تسعى إلى استغلال ما توفره تقنيات المعلومات الحديثة من إمكانيات لتحقيق معدّلات عالية في سرعة الترجمة الآلية، قصد تطوير نظمها الّتي تحتاج إلى مزيد من الجهد لتحسينها وتقويمها، قصد الإسراع بعملية نقل المعرفة وتداولها بين الشعوب.

قائمة المراجع:

- الكتب:

1- إبراهيم الجيلاني: علم الترجمة وأفضال العربية على اللغات، المكتب العربي للمعارف، مصر، ط1، دت.

2- جورج مونان: علم اللغة والترجمة، تر إبراهيم أحمد زكرياء، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2002.

3- حسيب إلياس حديد: أصول الترجمة-دراسات في فن الترجمة بأنواعها كافة-، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2013.

4- روجر-ت-بيل: الترجمة وعملياتها: النظرية والتطبيق، تر: محي الدين حميدي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 2001.

5- سالم العيس: الترجمة في خدمة الثقافة الجماهيرية –تاريخها، قواعدها، تطوّرها، آثارها

وأنواعها-، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 1999.
6- سلوى حمادة: المعالجة الآلية للغة العربية –المشاكل والحلول-، دار غريب، القاهرة، ط1، 2009.
7- سناء منعم اللسانيات الحاسوبية والترجمة الآلية، منشورات مختبر العلوم المعرفية وعالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2015.
8- صادق خشاب: التعريب وصناعة المعجم –دراسة تطبيقية في القواعد والإشكالات-، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2016.
9- صالح بلعيد: دروس في اللسانيات التطبيقية، دار هومة، الجزائر، ط7، 2012.
10- عبد القادر الفاسي الفهري: البناء الموازي-نظرية في بناء الكلمة وبناء الجملة-، دار توبقال، الدار البيضاء، ط1990،1.
11- عبد الله بن حمد الحميدان: مقدمة في الترجمة الآلية، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 2001.
12- عمر شيخ الشباب: التأويل ولغة الترجمة –نحو نظرية لغوية لدراسة الإبداع والإتباع في الترجمة، دمشق، سوريا، ط2، 2000.
13- فوزي عطية محمّد: علم الترجمة : مدخل لغوي، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، دط، 1989.
14- مجموعة من الباحثين: الترجمة في الوطن العربي –نحو إنشاء مؤسسة عربية للترجمة-، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2000.
15- محمّد الديداوي: منهاج المترجم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005.
16- محمد عناني: فنّ الترجمة، الشركة المصرية العالمية للنشر، ط6، 2003.
17- محمد نجيب عزّ الدين: أسس الترجمة من الإنجليزية إلى العربية وبالعكس، مكتبة ابن سينا، القاهرة، ط1، 2001.
18- ناعوموفيتش: علم الترجمة المعاصر، تر: طحينة عماد حسن، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث (كلمة)، أبو ظبي، ط1، 2010.
- المقالات والرسائل:
1- أمينة أدردور والسعدية آيت الطالب:الترجمة الآلية ومحطة عمل المترجم،مجلّة التوليد والنسقية والترجمة الآلية،2001، م1.
2- سعيدة كحيل: إستراتيجيات الترجمة الأدبية –رواية البؤساء لفكتور هيغو، دراسة تحليلية نقدية-، رسالة ماجستير في الترجمة، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2014-2013.
3- عبد الرحيم جزل: الترجمة بين النظرية والتطبيق، مجلة الترجمة والاصطلاح والتعريب، ع55، 1999.
4- محمد عبد المنعم حشيش: معالجة اللغة العربية بالحاسوب، مجلة التواصل اللساني، م1، 1993.
5- محمود إسماعيل الصيني: الترجمة الآلية واللغة العربية، مجلة التواصل اللساني، ع2-1، 1994.



جماليات التناسب الايقاعي في منهاج البلغاء للقرطاجني

الدكتور صادق جعفر عبد الحسين
جامعة ذي قار _ كلية الآداب- العراق

المقدمة

يلحظ المتّتبع لتأريخ النقد ، فكراً وتطبيقاً ، ان التفسير الجماليّ للعمل الادبي يردُ لاحقاً ، متأثراً بتنامي الوعي ومناهج الفكر ، مع أنّه السؤال الأولى بالإجابة ، بل هو السؤال المتأصل في العمل الأدبي ، وهذا الأهمال غير المقصود أحياناً ، يخرج العمل من حلقه الطبيعي الى حقولٍ مجاورة ، قد تكون ذات فائدة للعمل ، لكنه لا تحل إشكالية وجوده ولا علاقة فاعله به ، الا في مظاهر جانبية ليست من صميمه في شيء . ولعل الطريف في هذا ، ان التفسير والفهم الجماليين لا يردان من النص ، ولأمن الحقل الأدبي برمته ، بل هما بعض من فضل الفلسفة على الادب ، فتيارات الوعي الفلسفي المختلفة هي التي حفزت البحث الجمالي ، وتلقفه منها الأدب فكراً ومنهجاً، بل لم يخالف ما اصطلحت عليه من مفاهيم ومعان .

ويُلاحظ ان النقد الادبي عند العرب ، لم يتجاوز الانطباعية الذوقية ، ولا معيارية اللغة ، حتى اصطدم بأفكار المتكلمين والفلاسفة ، فهو لم يكن علماً نقدياً ولا امتلك منهجاً سديداً ولم يتجاوز محيط النص الى النص ذاته ، او الى ان فتح الفكر المعتزلي منافذ العقل في الثقافة العربية وأضاء النصوص بوصفها نصوصاً ذات قوانين منبثقة منها ، فبدا النقد الادبي عند العرب رحلته علماً لا انطباعاً أو تفسيراً معجمياً بارداً فحسب ، وهذا الامر هو حقيقة ملموسة لا مندوحة عنها في العصر الحديث ، إذ اثرت كل العلوم بمبادئها ومناهجها ، وصفية ومعيارية في النقد الأدبي الذي افاد منها بشكل أو بآخر في ترصين مقولاته ومحاولته الدائبة في تفسير ظاهرة اللغة بوصفها ابداعاً أدبياً فيه الكثير من التداخلات النفسية والسياقية والاجتماعية.

وهذا البحث الموجز عن ((جماليات التناسب الايقاعي في منهاج البلغاء وسراج الادباء لحازم القرطاجني)) يحاول ان يؤسس لافادة حازم من الفلسفة منهجاً وافكاراً ، مبقياً على خصوصية موضوعه الادبي ، بمعنى استثمار معطيات الحقل الفلسفي في حقل النقد الادبي دون الوقوع في مطب التفلسف في ما لا يصلح التفلسف فيه ، الامر الذي جعل حازماً يتميز عن سابقيه ومجايلية في نظرته الثاقبة وعمق افكاره النقدية وأقترابها من الموضوعية العلمية وتجاوزها للوصف الذوقي غير المنهجي .

Abstract

Aesthetics of rhythmical proportion in the rhetoric's curriculum by Al-qurtajani

The precise research is constructed on the basis of two sights: the first one tried to define the term since it is an essential principles in analytic understanding isolating it from its different usages to be carried on familiarity to what is requested of it, which called for determining the two concepts of aestheticism and proportion in analytic thinking.

Still to say, the relation between the researcher and the subject-matter of his/her research was relation dialogue and discussion wasn't a relation of presentation for Hazim's thoughts or some one else because the duty in the researchers mind is that the research should enrich the text and that reading should be active in the relation to what's being read because its activity is the condition of its aestheticism, then the condition of its existence ; so, we discussed too much old and recent opinion within this research, to prove the analytic lesson with its contemporary given facts.

- نظرة في المصطلح -

*مفهوماً الجمالية والتناسب الايقاعي *

تقع الجمالية وصفاً لكل ما يتصلُ بالادراك الجمالي او يشير اليه او ينسب له ، وتعني بالعكوف على دراسة الاحكام التقيمية التي يصدرها المتلقي في تمييزه الجميل من غيره ، فهي اذن دراسة اثر الجمال فعلاً وادراكاً عبر فحص اسسه وقنواته ووسائل حصوله ونتائجه فحصاً نقدياً هو اقرب الى البحث الفلسفي منه الى أي بحث اخر .

ويبدو علم الجمال علماً وصفياً يسعى الى المعيارية ، من حيث افتقاده الى الثبوت والتزامن الذي يميز الوثقية ، ومن حيث سعيه الى ترسيخ معايير وقواعد جمالية هي من ثفات العلوم المعيارية ، والحق ان علم الجمال لا يعد علماً بالمعنى المفهوم ، بل هو كما يرى " ايما نويل كانت " : ((لا يوجد علم للجمال ولكن هناك نقد جمالي))(1) مستنداً الى حقيقة ان قواعد الجمال تستنتج من بعد حصول العمل الفني ولا يمكن صياغة عمل فني على قواعد جمالية سابقة عليه ، وان قوانين العمل الفني الجمالية انما تظهر في العمل نفسه(2) ، ومن هنا تتأتى وصفيته في سابقيه المنتج الادبي على القواعد الفنية ، لانه في حقيقته دراسة للجمال بوصفه نشاطاً روحياً للموجود البشري .

وعلى الرغم من محاولة بعض الدراسين ، التفريق بين جمالية نظرية وجمالية تطبيقية إلا أن الحق يقال : الا تمييز بينهما الا افتراضاً لانهما وجهان متلازمان للادراك الجمالي ، فالقول ان ((الاولى تعني بمجموع الخصائص التي تولد لدى الانسان الاحساس بالجمال او ادراكه ، والثانية تعني بالاشكال المختلفة للفن))(3) ، هذا القول يبسط جوهر القول لاغراض عارضة ، وهو ليس فصلاًعلمياً ، لان الفعل الجمالي لا يدرك الا واقعاً فعلاً ، والتنظير له هو محاولة لفهم هذا الواقع اما تطبيقة فهو سعي الى تقعيد هذا الفهم عبر اسس وقوانين ، فكالهما اذن يتكامل ، بل يحدث في وقت حدوث الاخر ، أي انهما متزامنان لا يمكن الفصل بينهما الا لاغراض الدرس النقدي .

لقد ادت حقيقة ان الجمالية هي معطى من معطيات الدرس الفلسفي الى سوء فهم لواقع الجمال عند العرب ، فقد رأى بعض الباحثين ان العربي ((لم يفكر في الجمال وان كان قد انفعل بصوره ، وهو لم ينفعل بكل صوره ، بل انفعل بصوره الحسية ، بخاصة ما استقبل بالعين فكان

1- نقد العقل المجرد ، ايما نويل كانت ، ترجمة : احمد الشيباني : 67.

2-مبحث في علم الجمال ، جان بارتيلمني ، ترجمة : انور عبد العزيز : 56 ، وينظر : فلسفة الفن في الفكر المعاصر ، زكريا ابراهيم : 7.

3- الأسلوبية والأسلوب ، عبد السلام المسدي : 143.

رائقاً ، اوبالفم كان لذيذا اوباليد فكان ناعماً ، وهذا يجعلنا ننتبه الى ان العرب منذ اللحظة الاولى كانت نزعتهم حسية في تذوق الجمال))[1]. وفي هذا القول تجن يكشفه القول نفسه ، فالمعطى الجمالي لا يدرك الا عبرالحواس ، وهوبذلك حسي لزاماً في صورته الاولى اما تحليله فهذا لم يتأت للعرب في البدء لا لأنّ تذوقهم للجمال حسي النزعة بل لان هذا التحليل يشترط ارضية فلسفية لن تتوافرلهم وقتها ، ومع هذا فاللذة الجمالية ، الحسية بدءا لا تتم الا بالادراك ، وهذا الادراك ذهني ، ولا يمكن للانسان ان يشكل قولاً جمالياً الا وهوواع لقواعده وقوانينه ، فالتشبيه قانون ادراكي وان كانت اسسه حسيه لان ادراك العلائق بين الاشياء عمل ذهني خالص ، وعليه فالتذوق الجمالي العربي حسي - ذهني ، ولكنه لم يسع الى تحليل هذا الادراك لافتقاره وقتها الى النظر الفلسفي . ومما يؤكد هذا ان القاضي الجرجاني قد نظر الى الجمال بوصفه ((صلة بين بواطن الاشياء والنفس))[2] وليس بين سطحها المباشروالحواس الانسانية فحسب. ولعل سبب هذا التجني عائداً الى عدم فهم الباحثين لقواعد الفكر العربي وتطبيقهم معطيات الوعي الحديث على هذا الفكر مستلباً من سياقه الثقافي مما يجعله قاصراً , اما التحليل الفلسفي لنظريات الجمال ، وهو ما حدا بالبعض الى محالة تعريف علم الجمال العربي على انه ((مجموعة الاسس النظرية والقواعد والقوانين التي ندرس في ضوئها التجربة الجمالية ونمتحن من خلالها الخبرة الجمالية ، نتذوق عناصرها الفنية وقيمها التصويرية والتعبيرية والتشكيلية ، فعلم الجمال العربي - اذن - يؤدي الى ادراك ماهية الجمال الفني))[3] ، والحق ان هذا التعريف هو تعريف الجمالية بعمومها وليس خاص بالجمال العربي ، ثم انه فهم حديث ينطلق من معطيات فلسفية عامة ويتكئ على نظريات وقواعد الفلسفة الجمالية الغربية ولا يمس خصوصية التلقي العربي جمالياً ، وهو ما يمكن الابتدائي به عبر اكمال التنظير الفلسفي العربي عند القدامى من فلاسفة الفكر العربي.

ويرى بعض الدارسين ان ((الصورة المصنوعة افضل من الصورة الطبيعية ، على اساس ان الجمال في الصنعة كامل في حين العمل الطبيعي لا يكون كاملاً))[4] وهذا تحليل يقترب من رؤية الرومانسية الانكليزية للفن بوصفه اكمالا لنقص الطبيعة[5]. في حين يحيل الدراس نفسه الى مفهوم المحكاة الارسطي دون ان يشير اليه عندما يؤكد ((ان تحقق عناصر الجمال في العمل المصنوع امريحكم فيه العقل ، ... على مدى ما في هذه العناصر من توافق هذه الصورة الكاملة للقوانين الطبيعية كما تتمثل في الخارج وفي العقل))[6].

ويفسر لنا هذا الارتباك في مفهوم الجمال ، صعوبة قيام علم جمالية عربية خالصة ، لا سيما ودارسينا ما زالوا غير قارين على منهج فلسفي ينتج رؤية جمالية خالصة معتمدة على مقدمات رصينة تفضي الى نتائج كذلك .

وكما وقع مفهوم الجمالية ضحية الاستلاب الفكري امام المنتج الفلسفي الغربي وقع ايضاً مفهوم

1- الأسس الجمالية في النقد العربي ، عزالدين إسماعيل : -132 133.
2- الوساطة ، الجرجاني : 35.
3- نحو علم جمال عربي ، مجلة عالم الفكر ، العدد 2 ، 1978 : 27 – 28.
4- الاسس الجمالية : 221.
5- التصور والخيال ، ر . ل . بريت : 38.
6- الأسس الجمالية : 221.

التناسب ، على اوليته وتجذره في الطبيعة والفعل الانساني . ويعزى سبب ذلك الى عدم النظر الى التناسب كلية ، بل جزيئة الى محاور مختلفة دون الانتباه الى تكاملها ، فمن الواضح ان الاشارات النقدية العربية الى التناسب كثيره ومتأصلة ولكنها لم تجد عقلا نقدياً يلمها في مبدا فلسفي مما جعلها اشتاتا تبدو للناظر ان لا جامع بينهما ، وهي منتمية الى مبدا واحد ، وقانون شامل هو قانون او مبدا التناسب .

والتناسب مبدأ متأصل في الطبيعة والوعي ؛ لانه تشكل في المكان ، والمكان بوصفه امتدادا او حيزا يولد التناسب ، لان حقيقة مبدا التناسب هي العلاقة بين الاشياء التي تنتظم في نمط من التشابه والاختلاف يخلق او يهيكل علاقاتها عبر نسب وموازنات وعلائق قيمية ، وعليه فان الطبيعة عبر فوضاها المنظمة وعلاقاتها هي اول اشكال التناسب التي يصطدم بها الفرد ، ومن هنا كان هذا المبدأ مبدا قبلياً في مفهوم ((كانت))[1] لكونه ناشئ ، عن مبدأ المكان الذي يمثل ركن المبادئ والقوانين القبلية في فلسفة الحكم العقلي ونقده .

وقد لاحظ القدامى هذه الحقيقة فرأي افلاطون ((ان الوزن والتناسب هما عنصراً الجمال والكمال في الاشياء))[2] وبديهي انه يقصد بالوزن المفهوم العروضي المعروف وانما يقصد التوازن بين الموجودات .

اما ارسطو فيرى ((ان الجمال يتركب من نظام في الموجودات))[3] ومن هنا نرى ان التناسب يعني النظام الذي يحكم علاقات الاشياء ببعضها وبالمكان ، وهو مبدأ عام لا يخص الابداع الفني بل يشمل الفكر التأملي بوجهيه والفلسفي والصوفي.

والعلماء العرب ، انتبهوا الى وجوه معينة في التناسب ولم يشيروا الى كليته ، ربما لانها من المبادئ والبديهية ولعل اكثر حضور التناسب عندهم كان في تفسير الابداع الادبي من خلال علاقة الدال (اللفظ) بالمدلول (المعنى) فقد اورد التنوخي في كتابه عن علم البيان ان التناسب جزء من البيان مختص بعلاقة اللفظ بالمعنى فقال ((ان المتكلم قد يفتقر الى الذكر الاشياء المتناقضة والمتضاده والمتغايرة والمتنافرة ، وحيث لا يفتقر الى شيء من ذلك فهو التناسب))[4] وشاركه الحلبي مكتفياً بالمعاني - وان دلت ضمنها على الالفاظ - في قوله ان التناسب ((ترتيب المعاني المتاخية التي تتلاءم ولا تتنافر))[5] وواضح انه قصد علاقات المشابه ولم يعر بالعلاقات التضاد التي تتكامل مع علاقات المشابه في مبدأ التناسب .

والحق ان نظرة حازم القرطاجني الى التناسب اكثر شمولية ، ربما كان متأثراً بالفكر الارسطي ، وبتأملاته الخاصة فقد قال ((ان النفوس في تقارب المتماثلات وتشافعها والمتشابهات والمتضادات وما جرى مجرها ، تحريكاً وأيلاعا بالانفعال الى مقتضى الكلام ، لان تناظر الحسن في المستحسنين المتماثلين والمتشابهين ، امكن من النفس موقعاً ، من سنوح ذلك لها في شيء واحد . وكذلك حال

1- نقد العقل المجرد : 65.
2- الجمالية بين الذوق والفكر ، د. عقيل مهدي : 14.
3- م . ن : 14.
4- الاقصى القريب في علم البيان ، التنوخي : 92.
5- حسن التوصل ، الحلبي : 212.

القبح ، وما كان املك للنفس وامكن منها فهو اشد تحريكاً لها ، وكذلك ايضاً مثول الحسن ازاء القبح او القبيح ازاء الحسن مما يزيد غبطة بالواحد وتخلياً عن الاخرين لتبين حال الضد بالمثول لازاء ضده))[1] فحازم يؤسس رايه على بعد نفسي يرى ان الفطرة تقتضي البحث عن التناسب وملاحظته وتذوقه والانفعال به في حالة التشابه وفي حالة التضاد ، وكذلك في حالات الاختلاف التي لا تعد تشابها تاماً ولا تضادا تاماً ، منطلقاً من ما يسميه ((تناسب جهتي المسموعات والمفهومات))[2].

ولم يخرج الرأي النقدي المعاصر عما قاله حازم في جوهر الفكرة وان تغيرت محمولات المصطلح وتعقدت علاقاته ، فالاسلوبية الحديثة ترى اهمية التناسب جذرية في تحديد ماهية العمل الادبي ، اذ يقول ((بالي)) احد منظريها المحدثين ((ان ضبط هوية النص انما يكون انطلاقاً من علاقة التناسب القائمة بين اجزائه))[3] ، وكذلك الرؤية التي يطرحها المسدي في عرضه لشكلانية الجمال واكتفاء النص بذاته في قوله ((لا شرعية لاي نظرية جمالية في الادب ما لم تتخذ من مضمون الرسالة الادبية اساسا لها ، كما انه لا يمكن الاقرار باي قيمة جمالية للاثر الادبي ما لم نشرح مادته اللغوية على اساس اتحاد منطوق مدلولاته بملفوظ دوالها))[4] ، اما جابر عصفور فيرى ان ((التناسب من حيث الجوهر ، مبدا اساسي في كل انواع الفن واشكاله ... اما في الشعر فالتناسب بين كلمات . وكلمات الشعر ليست مجرد اصوات ، بل هي مجموعة من الدلالات . ومن الصعب الفصل بين الكلمة وسياقها، كما يصعب ايضاً فصل سياقها عن معنى من المعاني ، تتآلف دلالته او لا تتآلف مع غيره من المعاني))[5].

ان مبدأ التناسب متأصل في الايقاع ، بل هو خلاصة تعريفه ، اذ ان الايقاع يعني تكرار الانغام عبر الزمن وتغيرها في نظام معين ، وهذا المعنى هو التناسب ايا ما كان الايقاع ، بدأ من الموسيقى وصعوداً الى الطبيعة ذاتها التي ينظر اليها بعض العلماء على انها تناغم ايقاعي مبني من حضور القوانين والعلاقات بشكل متوازن متناسب يصل في جمالية الى حد تشبيه بالموسقى[6].

والتناسب الايقاعي في الشعر العربي مبني على طبيعة التركيب الموسقي - اللغوي لهذا الشعر ، لان نظامه الكمي يعتمد على التناسب بين السواكن والمتحركات ، في بادئ الامر ، ثم يخلق هذا التناسب تناسبات ذات علاقات منتظمه تصب كلها في خدمة مبدأ التناسب الايقاعي العام ، وهو ما يعبر عنه حازم في قوله ((اوزان الشعر منها متناسب تام التناسب ، متركب التناسب ، متقابلة ، متضاعفة ، وذلك في الطويل والبسيط ، فان تمام التناسب فيها مقابلة الجزء بمماثلة ، وتضاعف التناسب هو كون الاجزاء التي لها مقابلات اربعه ، وتركب التناسب هو كون ذلك في جزئين متنوعين كـ (فعولا مفاعيلن) في الطويل ، وتقابل التناسب هو كون كل جزء موضوعا من مقابله في المرتبه التي توازيه ... فالاعاريض التي بهذه الصفة ، هي الكاملة الفاضلة ، وكلما نقص شرط من هذه الشروط او اكثر

1- منهاج البلغاء ، حازم القرطاجني : 144 145-.
2- م .ن : 286 .
3- الأسلوبية ، المسدي : 109.
4- م . ن : 118 .
5- مفهوم الشعر ، جابر عصفور : 425.
6- الارتقاء الانسان ، ج برونوفسكي : 40.

كان في الرتبة من مقاربة الكلام او مباعدته بقدرما نقص منه))([1]) وهذا الرأي، وان كان فيه نظر، الا انه يوضح مبدأ التناسب الايقاعي عند حازم ، وهو موازفي جوهره لرأي المحدثين ((ان النظام والتغيروالتساوي والتوازن والتلازم والتكرار ، هي القوانين التي تتمثل في الايقاع ، وهي جميعا تعمل في وقت واحد))([2]) ، والحق انها - وان حظرت جميعها - لا تعمل كلها في وقت واحد لان بين بعضها تناقض في العمل (النظام ، التغير) يمنع عملها معاً . اما عصفور فيرى ان ((كل الاشكال التي تكون البحور ، ترجع الى تناسب ، يبدا منه اصغرعناصرالوزن ، وهي المتحركات والسواكن ويمتد ليشمل التفاعل من حيث هي في ذاتها ومن حيث علاقتها بغيرها ، فاذا امتد التناسب من اصغرالعناصرالى اكبرها تحققت الخاصية الجمالية للوزن))([3]).

مما سبق يتحدد لدينا مفهوم التناسب الايقاعي بوصفه نظاماً يمثل علاقات الوزن الشعري ايقاعا معتمداً في تمثيله هذا على خصائص خارجية تمثلها طبيعة التركيب الصرفي للالفاظ وداخلية يمثلها تركيب التفعيلات من حيث علاقات الحركة والسكون بين اجزائها ، وهذا التناسب بسبب كونه نظاماً ، يحمل جمالية خاصة تضاف الى اسس جمالية اخرى تعتمد المبدئ نفسه ، وتظفي على القول الشعري جماليته من خلال تبادلاتها وتغيراته وجدل انظمتها ، وعليه فمن الممكن اجمال انواع التناسب التي عرضها حازم في منهاجه واعتبرها اسساً في القول الشعري وكالاتي :-

تناسب لفظي ، نابع من التركيب الصرفي - الصوتي للكلمة .

تناسب معنوي ، نابع من تالف المعطيات الدلالية للمعاني الجزئية .

تناسب تركيبي نابع من جدل العلاقة بين اللفظ والمعنى في التركيب الشعري بوصفه قولاً جمالياً على وفق انسجام تعبيري مناسب.

تناسب ايقاعي ، قائم على تركيب التفاعيل في نظم معينة وهو ذو طبيعة خاصة وان كان القول ، أي قول ، مبيناً على التناسبات السابقة - لأنه خال في جوهره من اثارها ، بوصفه ترتيباً ، ايقاعياً قد يوجد دون عون التناسبات السابقة كما في صورة التفاعيل في أي وزن عروضي.

جماليات التناسب الايقاعي عند القرطاجني

من نافلة القول ،الاشارة الى طبيعة النظام الكمي للعروض العربي ، فقد درست هذه القضية ، العروض باكمله ، حتى لم يبق فيها زيادة لمستزيد . ولكن طبيعة البحث تقتضي منا الاشارة الى نظام العروض العربي تمهيداً لفهم ما قدمه القرطاجني من اضافه في هذا الجانب .

يقوم العروض العربي على ثماني تفعلات اساسية([4]) ، ترتبط ببعضها في نظم خاصة لتولد ستة عشربحراً ، وقد درس الخليل علاقاتها عندما حدد نظام الدوائرالعروضية الذي بني على علاقات التفعيلات ببعضها اشتقاقياً ، وبناء على هذا ، ولكونه العروض استقراء لواقع المنتج الشعري، منع الخليل بعض العلاقات لعدم توافرها في الواقع الشعري ، دون تعليل سوى عدم سماعها في شعر العرب ، ولعل اشهرنظامين يحكمان التفاعيل في العروض العربي هما ، البحور الصافية القائمة

1- منهاج البلغاء : 259 - 260.

2- الأسس الجمالية : 221.

3- مفهوم الشعر : 382.

4- فن التقطيع الشعري ، صفاء خلوصي : 17.

على تكرار تفعيلة ما عدداً محدداً ، والبحور الممزوجة القائمة على تبادل تفعيلتين في نظام رباعي او ثلاثي ، امكنتها في الوزن العروضي ، وهذا النظامان يعتمدان التناسب في اجزاء التفعيلة الواحدة ، وفي علاقة التفعيلة بغيرها . ولعل الملاحظة الاكثر حضوراً في نظام الخليل هي كون النموذج القياسي لوزن ما غير متحقق الى مصادفة ، بل هو لا يتحقق ابدا في بعض البحور ، مما انتج لنا مفهومي الزحاف والعله لتفسير اختلاف المنتج عن صورته النموذجية عروضياً ، وهذا ما يؤكده جابر عصفور في حديثه عن الوزن اذ يقول ((الوزن المجرد لكل بحر ، محض تصور ذهني ، شبيه بمفهوم الجوهر عند الفلاسفة لا نواجهه في القصيدة بل نواجه عرضاً او اكثر من اعراضه فحسب انه شيء غير موجود بالفعل وان كان موجوداً بالقوة))[1].

لقد اهتم حازم بعلم العروض ، ووضع فيه كتاباً لم يصل الينا ، وعرضه للمفاهيم الشعرية في المنهاج يدل على انه حاول تفسير ما اهمل الخليل تفسيره ، مستعيناً بنظره الفلسفي ، معتبراً في نظره هذا ذائقة الانتاج الشعري ولذة النفس المتلقية ، محاولً تفسيرهما بقوانين فلسفية تسعى الى الشمول ((لجري الامور على نظام منضبط محكم موقع عجيب من النفس .... ، ولو كان الامر في ذلك على غير نظام لما كان للنفوس في ذلك تعجب))[2]. وسنحاول فحص جماليات التناسب الايقاعي عند حازم بما يكشف لنا اراءه وتفسيراته ومدى شرعية اسسها ونتائجها .

جمالية التغيير :- سبق لنا القول ان الخليل عرض الزحافات والعلل دون تفسير سوى ورودها في شعر العرب ، وهو امر انتجته طبيعة وضع الخليل للعروض ، فقد استقراه من اشعار العرب اصلا، ولم يكن نظاما رياضياً صارماً الا في نموذجه القياسي ((التمام والصحة)) . وقد عرض الفلاسفة العرب حصراً لتفسير هذا الامر ، منطلقين من رؤيه منطقيه رياضيه ، اما البلاغيون فلم يعرضوا الا لقبح بعض الزحافات واضطراب بعض الاعاريض من حيث وقعها الموسيقي لا من حيث اسبابها او تفسيرها.

ذهب ابن سينا الى تعليل النظام والتغير بمواقفة الطبع فقال : ((ومن التغيرات التي تلحق الايقاع ان ينقص زمان او يزاد زمان ، مثلا يكون الوزن على ((مستفعلن)) فيرد الى مفاعلن (كذا، والاصح متفعلن) ، فينقص زمان السين فربما وافق الطبع على وجه يوهم مخالسة وخفة ، وربما لم يوافق حيث لا يحسن استعمال المخالسه ويكون الوزن معدا للرزانه))[3].

اما حازم فيبدأ اولا بتفضيل نظام العروض ، العربي على كل نظام عروضي اخر ، ولعله يقصد العروض اليوناني حصراً لاطلاعه عليه فيقول انه لا يرى ((اصلا في ضروب التركيبات والوضع الذي للحركات والسكنات والاجزاء المؤتلفة من ذلك ، افضل مما وضعته العرب من الاوزان))[4]، وبعد هذا التقرير يبحث حازم في تعليله التغير الناشئ من الحذف بالمنطق نفسه الذي راه ابن سينا ، فهو يعلله بالخفه على النطق قائلاً ((فالسواكن اذا كثرت ثقل مسموع القول وزال بعض بهائه فاذا حذف ذلك عن بعض اجزائه ، كان ذلك شبه راحه للنفس ما ثقل عليها مسموعه ، فلذلك

1-مفهوم الشعر : 412 - 413

2- منهاج البلغاء : 124 ، ينظر : حازم القرطاجني ، النقدية والجمالية ، صفوت الخطيب ، مصر ، 1986 : 245.

3- جوامع علم الموسيقى ، ابن سينا : 94.

4- منهاج البلغاء : 232.

يستحسن الزحاف في بعض اجزاء الاقاويل الموزونة))([1]).

كما انه يعلل الحذف بكراهيه النفس للرتابة وحبها للتبديل اذا يرى ان النفس تسام من الاستمرار على حاله واحده و ((تحب النقلة من الشيء المتنوع الى غيره من المتنوعات ، لكنها تحتمل من التمادي عليه ، مالا تحتمل من التمادي على ما لا تنوع له اصلاً))([2]). فبهذين السببين يرغب حازم قبول الزحاف والعله على انها كسر لرتابة النظام النموذجي الذي لا تحتمل النفس التمادي عليه ، والطريف ان حازم يضع قانوناً احصائياً للتغير ، ربما كان اول استخدام احصائي في هذا المجال ، وان كان غير دقيق ، فعلت ذلك في انه وضعه استنباطاً من القول لا من النموذج، اذ يرى وجوب ان تكون السواكن حائمة حول ثلث مجموع المتحركات والسواكن ، اوبزياده قليله اونقص ، ولان تكون اقل من الثلث اشد ملائمة من ان تكون فوقه)([3]).

وقد احصينا ، نموذجا لما قال حازم ، الصورة النموذجية للبحر البسيط فوجدنا السواكن في البيت الواحد عشرين ، والمتحركات ثمانية وعشرين ، وقياساً لما اثبته حازم ، فان الصورة النموذجية للبسيط جمالية من تشكلاته الاخرى ، وواقع الذائقة الشعرية العربية يثبت هذا الامر فلا ترد ((فاعلن)) في عروض البسيط ولا ضربه ، كاملة الا في الترصيع النموذجي ، وهو ترصيع ذهني لا مثال له في العربية شعرياً .

وعلى الرغم من تحسين حازم للحذف والتغيير وتعليله لهذا الامر فانه اشترط عدم الخروج على ما سوغته العرب في مسموعها من زحافات وعلل ، رافضا للكسر الحاد في العلاقات الايقاعية والتناسبات الوزنية ، رابطاً بين المسموع وراحة النفس والسمع ، رائياً انه ينبغي ان يكون الوزن ((موافقاً لمجاري كلام العرب الصحيحة مع كونه وفقا للنفوس والاسماع))([4]).

ان كلام حازم عن جمالية التغيير بالحذف ، مع انها واقع متحقق في الانتاج الشعري العربي ، لا يختلف عن التحليل الحديث عند نقادنا المعاصرين لهذه الجمالية ، اذ يرى جابر عصفور ان من ((المهم ان لا يصل التغيير الى الحد الذي يربك الاطراد الكمي ، بل يصل – فحسب – الى الحد الذي يحافظ على هذا الاطراد ويلونه ، موفقا بذلك بين الحاجه الى الاطراد والحاجه الى التنوع على السواء))([5]) وهو مقارب في جوهره لاقتراح طرحه الدكتور محمد فتوح احمد في دراسة له([6]) ، مطالباً بإعادة النظر في الزحافات واعلل على انها كسر للرتابة وتلوين ايقاعي وليست عيوباً او نقائض في الاوزان المستعملة في المنتج الشعري .

ان جمالية التغيير واقع متحقق في الانتاج الشعري العربي ، وهذا التحقق هو الذي نبه حازم الى ما راه من اراء ، وهذا التحقق ، رغم عدم انتظامه ، واعتباطية حصوله ، جعل الايقاع العربي متلوناً بشكل جمالي عال ، لان عدم التوقع في حصول الحذف والتغيير يبث طاقات ايقاعية متلونة داخل النظام العام الذي يمثل له الوزن .

1- الموسيقى الكبير ، الفارابي : 109.

2- منهاج البلغاء : 245.

3- م . ن : 267 . 23 ، م . ن : 264.

4- مفهوم الشعر : 397 - 398.

5- شعر التمنبي قراءة الاخرى ، د .محمد فتوح احمد : 113.

6- الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ، مجيد عبد الحميد : 59.

جمالية التوازن والتوازي :- يمثل التوازن نتيجة طبيعية لنظام التفعيلات في العروض العربي،لأن نسق ترتيب هذه الاجزاء العروضية يعتمد على توازن في حضورها النوعي والكمي ، وهذا النسق بالاشتراك مع التغيير ، يخلق بعداً جماليا مؤثرا ، لاسيما في طابعه الموسيقي الصرف ، قبل ان يتحقق قولياً ، ويعرف الدارسون التوازن في التراث البلاغي العربي بأنه ((تعادل فقرات الكلام وجمله كما في شطري البيت الواحد من حيث الايقاع والوزن))[1] ، والحقان هذا التوازن حاصل حتى في الشطر الواحد اذ تتعادل التفعيلات حسب ترتيب معين ، بل ان حركاتها وسكناتها متوازنة بشكل جمالي ، اذن،فالبيت الشعري يشمل توازنا اصغر هو توازن الحركة والسكون داخل التفعيلة الواحدة وتوازنا كبيرا هو توازن التفعيلات داخل الشطر الواحد ثم التوازن الاكبروالاشمل وهو توازن شطري البيت الواحد .

اما التوازي[2] هو استمرار التوازن في نسق النص الشعري ، أي تكرار توازن الابيات في متوازية طرفاها الصدروالعجز حتى نهاية القصيدة ، من جهتي الوزن والايقاع ، ومعروف ان هذا التوازي يمثل جمالية مكانية - بصريه ، وخاص بنظام الشطرين الذي يمثل اغلب الشعر العربي .

ويعلل بعض الدارسين حالة التوازي والتوازن في النص العربي تعليلاً لا نصياً غريباً مرجعاً أياه الى الشخصية العربية ((الذي طبعتها الصحراء العربية التيبه اذ لا جديد في مشاهدها التي تتكرر كل يوم، فأثر ذلك في ذوقها وحسها حتى انطبع في فنها))[3] ، وغرابة هذا التعليل متأتيه من توهم الدارسين حول رتابة الصحراء وتكرار مشاهدها وهو امر لا صحه له ، على الاقل عند اهل الصحراء انفسهم كما ان ظاهرة التوازن و التوازي بوصفهما نمطا للتكرار ، واضحه في كل اللغات، وفي منتجها الشعري لانها من صميم التركيب الايقاعي في اللغة والاوزان وهو موجوده وان لم نتحسسها في شعر الامم الاخرى ، لاننا لا نتذوق ايقاعات لغتهم ولا اوزانها.

لقد اشار حازم القرطاجني الى حالة التوازن من خلال تماثل التفعيلات في البحور الصافية ، والى حالة توازداخلي في التركيب المتضارع المكون من تكرار تفعيلتين بالتوازي الرباعي كما في البحر الطويل والبحر البسيط وعد النوعين من التركيبات المتناسبة معللا ذلك ((لجري الامور على نظام منضبط محكم))[4] حين قال : ((فالتركيبات المتناسبات ، انما تكون باقتران المتماثلات والمتضارعات))[5].

ويبدو ان حازم القرطاجني قد قسم التوازن بين التفعيلات الى قسمين رئيسين لهما فروع ، بناء على واقع المنتج الشعري والذائقة العربية ، فالقسم الاول هو التركيبات المتناسبة أي حصول التوازن بين تفعيلات البيت عبر علاقه ايقاعية ، ويتفرع هذا القسم الى المتماثل (الذي تتوازن فيه التفعيلة مع نفسها كما في البحور الصافية) والمتضارع ((الذي تتوازن فيه تفعيلتان في نظام رباعي في الشطر الواحد كما في الطويل البسيط)) ، والمتشافع (الذي تتوازن فيه تقعيلتان في نظام ثلاثي بنسبة 2-1 في الشطر الواحد ، كما في الخفيف - فاعلاتن -) والمتضاعف (الذي تتوازن

1- م . ن : 59.

2-الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ، مجيد عبد الحميد : 63.

3- منهاج البلغاء : 124.

4- م .ن : 248.

5- فن التقطيع الشعري : 48 - 165.

فيه تفعيلتان في نظام ثلاثي بشرط تكرر احدهما قبل مجيء الثانية كما في السريع - مستفعلن - مستفعلن مفعولات). اما القسم الثاني فهو التركيبات غير المتناسبة أي التي يمتنع التوازن بين اجزائها في علاقه ايقاعيه ، وهو فرعان ، اولهما :- المتضاد (الذي يقع بين تفعيلتين احدهما مقلوب الاخرى كما في - فاعلن ، فعولن - ومتفاعلن ، مفاعلتن - ومستفعلن - مفاعيلن) والثاني :- المتنافر (الذي تختلف فيه تفعيلتان في توازن حركاتهما وسكناتهما دون ان تكون احدهما مقلوباً للاخرى كما في مفاعلتن ومستفعلن ، ومفاعيلن ومتفاعلن) .

وممعن النظر في تقسيم حازم ، يجد ان ما قاله قد ورد عن الخليل ضمنا ، اذ ان المتضادات قد وقعت في دوائر خاصة بها (دائرتي المؤتلف والمتفق)([1]) ولكن الخليل لم يعلل ذلك ، اما حازم فحاول تعليل الظاهره بالتضاد فحسب منكراً ان يعد المتضادان كالمتماثلين ((لا يقع في اقتران المتضادات والمتنافرات تركيب متناسب اصلا))([2]) ويمثل لذلك بعلاقة ((فاعلن)) - ((فعولن)) فيرى ((احدهما مفتتحا بمتحرك بعده ساكن ومختتماً بساكن بعده (كذا ؟) متحركين ، وكان الاخر مفتتحا بمتحركين بعدهما ساكن ، ومختتما بمتحرك بعده (كذا ؟) ساكن ، فكانا لذلك متضادين ، فكيف يوضع المتضادين وضع المتماثلين في ترتيب يقصد به تناسب المسموع ؟))([3]) ، وعلى الرغم من ملاحظة حازم الثاقبة ، فقد فاتته الدقة ، اذ وجب ان يشير الى انفرادهما في التركيب ، فاذا حضر معهما غيرهما ، حصل تناسب المسموع ، كما في مخلع البسيط (مستفعلن فاعلن فعولن) وفي الدوبيت الاعرج (فعلن متفاعلن فعولن فعلن)([4]).

اما التنافر فيعزوه حازم الى اختلاف عدد الاسباب والاوتاد في التفعيلتين المتناظرتين مما يؤدي الى تناسب المسموع . وهي اشارة صائبة ناشئة من استقراء ذوقي للاوزان والاعاريض العربية، ولعل دراسة بمعطيات حديثة ، للبناء الايقاعي العربي وعلاقته بصرف الالفاظ العربية - من حيث علاقة السكون بالحركة - تفضي الى نتائج مهمة اعتمادا على ملاحظة حازم السالفة الذكر عن التركيبات المتناسبة والغير المتناسبة.

جمالية التكرار :- ان أي ايقاع يعتمد على مبدأي الزمن والتكرار ، وعليه فالتكرار اساسا جوهري في الايقاع . والتكرار في نسقه الايقاعي في الاوزان الشعرية يعتمد علاقه موقع الحركة بموقع السكون في تناغم معين بتغير مكونات الوزن ، ويتأثر بالحذف والتغيير ، تأثرا طارئاً يساهم في كسر رتابة التكرار .

ان اول حقيقى تكرارية راسخة في التفاعيل ، والبحور ، هي حقيقة لغوية مفادها ان العرب لا تبدأ بساكن ولا تنتهي بمتحرك ، هذه الحقيقة حكمت على التفعيلة الوحيدة المنتهية بمتحرك (مفعولات) بان لا تقع في نهاية البيت او الشطر (ضربه وعرضه) الا مقصورة ((مفعولات)) اومعلوله بالصلم (مفعولاً ، مفعو) في حين ترد في الحشو كما هي لانها لا تمثل ، عندها ، عروضاً او ضرباً . ولعل الصور النموذجية للاعاريض العربية تعتمد اعتماداً منتظماً على تناغم التكرار بحيث

1- منهاج البلغاء : 148.

2- م . ن : 234 - 235.

3- فن التقطيع الشعري : 285.

4- منهاج البلغاء : 267.

يمكن رسم علاقة الاسباب والاوتاد فيها بما يعطي نظاماً دائرياً او مستطيلاً او تبادلياً يسهل توقعه ، فالطويل، مثلاً ، في صورته النموذجية قائم على التكرار حركة بعدها سببين خفيفين واخرى بعدها ثلاثة اسباب خفيفة بما يسمح عند ربط نهاياته بتكون حلقه تكرارية واضحة :-

ب—ب ---- ب ---- ب ---

وكذا الحال في البسيط :- - ب - - ب - - - ب - - ب –

اما البحور الاخرى فمن الممكن تنظيم ايقاعها بما يعطي قانوناً تكرارياً يتأسس على نوع التفعيلات المشاركة في تشكيلها من حيث تبادل سكناتها وحركاتها مواقعها داخل نسق التكرار .

والحقيقة التكرارية الثانية التي اشار اليها حازم هي تكرار التفعيلة باكملها على نمطين ، اولهما تكرار تفعيلة معينة عدة مرات (كما في البحور الصافية) وثانيهما تكرار تفعيلتين عبر نسق معين (كما في البحور الممزوجه) . ويرى حازم ان السواكن يجب ان تكون ((حائمة حول ثلث المتحركات والسواكن))[1] وهذا الاحصاء الذوقي يسعى الى تنظيم عدد التكرارات في البيت بحيث تخلق تناسباً وتجعل الزحافات والعلل الطارئة على التشكلات العروضية ، طرقة تحد من الرتابة المملة في نسق التكرار .

ويبدو ان ذائقة حازم تفرق بين تكرارين ، الاول التكرار البسيط والذي تتكرر فيه التفعيلة ذاتها في البحور الصافية وهو يعدها من قبيل الايقاعات الساذجة ، والثاني التكرار المركب الذي تتكرر فيه تفعيلتان في نسق معين ، ولا سيما النسق الرباعي الذي يتيح للتفعيلة الواحدة ان تتساوى في تكراراتها مع التفعيلة الاخرى كما في حالة التضارع التي في البحر البسيط والبحر الطويل ، وحازم في منهاجه يفضل الايقاعات المركبة ، ويحلل التضارع بما يشير الى انه يعتبره التناسب الاتم في العروض العربي ((اوزان الشعر منها متناسب تام التناسب ، متركب التناسب ، متقابلة ، متضاعفة وذلك في الطويل والبسيط ... فالاعاريض التي بهذه الصفه هي الكاملة الفاضلة ، وكلما نقص شرط من هذه الشروط كان في الرتبة من مقاربة الكلام او مباعدته بقدر ما نقص منه))[2].

وذائقة حازم هذه لا تختلف عن الذائقة العربية السائدة الا في كونها تعليلية ، لاتكتفي بالاستحسان بل تحاول تفسيره ، وهي لا تقبل في تناسب المسموع قولا كما في قول الشاعر :-

والباهليةُ في زمانِ خصيبها   تمشي الى المرعى بـــــلا أزُرِ

وسبب عدم قبولها هو اختلاف نسق التكرار ، لكون الشطر الاول قائماً على تمام التفعيلة والشطر الثاني اخذ فأنهار النسق لعدم تعادل التكرار فيه (3 تفعيلات في الشطر الاول مقابل اثنين ونصف في الشطر الثاني) كما ان انعدام جمالية التوازن والتوازي في هذا التشكل العروضي جعله قليل الورود في الموروث الشعري العربي[3].

ان جمالية التكرار في رأي حازم قائمة على ثبات اسباب معينة في تشكلات الابيات يمنع التلاعب فيها ، في حين يكسر تكرار ما سواها للقضاء على رتابة النسق وملالته ، وعليه فان في التفعيلات ثوابت تكرارية لازمة يختلف نمطها من وزن الى اخر ، وأي تلاعب فيها يخل بتناسب المسموع ، في

1- منهاج البلغاء : 259 - 260.
2- فن التقطيع الشعري : 38.
3- منهاج البلغاء : 269.

حين يمكن التلاعب بغيرها ، بل يجب احيانا ، لتأمين التلون الايقاعي والتناسب في جمالية المسموع .

الخاتمة

لقد انتبه النقاد المحدثون الى حازم القرطاجني بشكل مركز ، لان تصوره النقدي الذي عرضه في منهاج البلغاء ، هو ابرز تصور نقدي مبني على فهم تحليلي ووعي ناضج مدعم بمنهج اقرب الى العلمية يعتمد المقولات الفلسفية اساسا له .

وقد بدا للباحث ان فهم حازم للتركيب العروضي العربي هو انضج فهم عرفه الموروث في الوزن الشعري وجمالياته وماهية تاليفه واختلافاته ، اذ كان حازم ناظراً نقدياً في مفاهيم الشعر عند العرب، متخذاً من الجزئيات التقنية غير الفنية سنداً له في تحليل فنيات القول الشعري وتركيبات التناسب الايقاعي مستفيداً من اراء وافكار الفلاسفة الاغريق في مقولاتهم العامة حول النفس وطبائعها والكون ونظامه ومقلاتهم الخاصة حول الفن والابداع القولي ، ولا سيما افكار افلاطون في مثالية النظام الكوني ، وافكار ارسطو في الابداع القولي وانساقه وعلاقاته ومشاكلتها للواقع بصورة محاكاة فنية تتمثل قوانينه ونظم تناسبه ، كما افاد كثيراً من التحليلات الموسيقية والنفسية في فلسفة ابن سينا خاصة والفلاسفة المسلمين عامة ، عارضاً مقولاته العروضية بالطريقة التعليلية ذاتها التي سبقه اليها الفلاسفة كمنهج بحث علمي في فحص الاشياء . ويمكن اجمال ما خرجنا به من نتائج فيما يأتي :

إن اثر الفكر الفلسفي واضح في اراء حازم ، ولهذا الوضوح ، فما راينا ، وجهان متميزان ، اولهما العرض النقدي القائم على طرح المقدمات وتعليل الظواهر واستنساخ النتائج ، مستخدماً في ذلك ما يعين تحليلاته من علائق لغوية ونفسية ، بل ورياضية فهو لا يلقي الاراء جزافاً بل يحاول التأكد من صحتها بالاحصاء ، وربما كان هذا اول قانون احصائي في الاوزان العربية ، وهو على علاته يكشف ظاهرة التغير ويعللها من خلال نسبة السكون الى الحركة عددياً . وثانيهما في تفضيل التركيب على البساطة ، فالنظر الفلسفي يحاول تحليل المركبات التي تتيح له ادراك كنه العلاقات الرابطة بين اجزائها ، وحازم ، تبعاً لذلك ، يفضل الاوزان المركبة ذات التفعيلات المتضارعة ، ويفضل ايضا النص المركب الذي تتعدد فيه الاغراض ، وتفضيل الاخير راجع الى سببين ، اولهما استحسان الذائقة العربية - العلماء خاصة - للتعدد الذي بداته المعلقات ، وثانيهما تأثره بأفكار ارسطو عن الشعر اليوناني ، وهو شعر مركب حتى في نمطه الغنائي ، فالملحمة والمسرحية والقصائد الغنائية الاغريقية قائمه على تعدد الاغراض والاصوات ومحاور المعاني.

لقد حاول حازم تفسير الذائقة العربية ، من خلال تحليل ايقاعاتها وبنى اوزانها ، وعلى الرغم من عدم الموضوعية اصلاً في تناول حازم لهذه الذائقة وانحيازه الى شكل من اشكالها (ما يقبله العلماء لا سيما اللغوين) ، فانه اراد ان يعلل علمياً اسباب سيطرة هذا الشكل ، وربما كان في الامر نوع من طمأنة النفس ورضاها بقناعاتها ، وهذه المحاولة أدت الى اجتزاء الموروث ، بمعنى الانتخاب منه بما يدعم وجهة النظر دون اهتمام بما يخالفها او يضعضع تماسكها فكان الشعر الجاهلي دون غيره هو متن التحليل ، مما اِنشأ نتائج غير دقيقة ان لم تكن مخطوءة ، ثم ان التعميم الذي اعقب ذلك كان غير احصائي ، بمعنى ان حازم عمم ملا يعمم فارضا شكلاً جمالياً اوحد هو التضارع مستهيناً بغيره

، لا لشيء الا لكون التضارع هو الاكثر حضوراً في المتن الجاهلي .

لقد قادت النتيجة السالفة الى سقوط حازم في فخ معاني الاوزان ، وسلاحية الوزن للقول الشعري من حيث الغرض ، فحاول ، قياساً الى القول الجاهلي ، ان يحدد الى لكل وزن غرضاً خاصاً به وهي معياريه لم تجد طوال عمر الشعر العربي ، مصداقاً لها فقال ((عروض الطويل تجد فيه ابدا بهاءً وقوة ، وتجد للبسيط سباطة وطلاوة ، وتجد للكامل جزالة وحسن اطراد ، وللخفيف جزالة ورشاقة ، وللمتقارب سباطة وسهولة ، وللمديد رقة ولينا مع رشاقة ، وللرمل ليناً وسهولة ، ولما في المديد والرمل من اللين كانا أليق بالرثاء وما جرى مجراه ، منهما بغير ذلك من أغراض الشعر))([1]). ويقينا انها نظرة غير علمية بالمرة ، من حيث تحديدها المواصفات كل بحر وربط هذه المواصفات بغرض معين ، وان احصاءً سريعاً يكشف لنا حقيقة ان اكثر الرثاء يقع في الطويل والبسيط والكامل والوافر ، بل ان المديد في تشكله الصحيح (فاعلاتن فاعلن فاعلاتن) يتحاماه الشعراء ، لاختلاطه – تناسباً سمعياً - مع الخفيف (فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن) فالفرق بينهما سبب خفيف واحد ، والسامع للمديد يظنه خفيفاً مكسوراً ، ويمكن فحص بقية الاوزان على نسق كهذا وملاحظتها احصائياً ، ونشير الى رأي الدكتور مصطفى جواد في علاقة الرمل بغرض الرثاء حيث يعتبر الرمل بالرثاء لكونه وزناً راقصاً لا يتناسب ووقار الرثاء ومعانيه .

وقد فند الدكتور محمد فتوح احمد([2]) هذه الرؤية (ربط الوزن بغرض ما) بطريقة احصائية اثبتت عمقها وانفتاح الوزن على معاني الأغراض بلا استثناء.

وختاماً ، يبقي وعي حازم ، على أخطائه وموضعاته ، أهم وعي نقدي في عصره وما سبقه .

مصادر البحث

أ. الكتب :-

1. ارتقاء الانسان ، ج برونوفسكي ، ترجمة : سعد مصلوح ، عالم المعرفة - الكويت ، 1981.
2. الأسس الجمالية في النقد العربي ، د. عز الدين إسماعيل ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد، 1986.
3. الأسس النية لأساليب البلاغة العربية ، د. مجيد عبد الحميد ناجي ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط1 ، 1984.
4. الأسلوبية والأسلوب ، نحو بديل السني في نقد الأدب ، عبد السلام المسدي ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا - تونس ، 1977.
5. الأقصى القريب في علم البيان ، محمد بن محمد التنوخي ، القاهرة ، 1327هـ.
6. بحث في علم الجمال ، جان بارتيملي ، ترجمة أنور عبد العزيز ، دار النهضة مصر ، القاهرة ، 1970.
7. التصور والخيال ، س.ل ، بريت ، ترجمة د. عبد الواحد لؤلؤه ، دار الرشيد ، بغداد 1979.
8. حسن التوسل الى صناعة الترسل ، شهاب الدين الحلبي ، تحقيق : دراسة أكرم عثمان يوسف ، دار الرشيد ، بغداد 1980.

1- في التراث العربي ، د . مصطفى جواد : 2/213.

2- شعر المتنبي : 180.

9. الجمالية بين الذوق والفكر ، د. عقيل مهدي ، مطبعة سلمى ، بغداد ، ط ، 1988.
10. جوامع علم الموسيقى ، من قسم الرياضيات من الشفاء ، ابن سينا ، تحقيق : زكريا يوسف ، الادارة العامة للثقافة ، 1956.
11. شعر المتنبي ، قراءة ، اخرى ، د. محمد فتوح احمد ، دار المصارف ، القاهرة ، 1983.
12. فلسفة الفن في الفكر المعاصر ، د. زكريا ابراهيم ، القاهرة ، د.ت.
13. فن التقطيع الشعري والقافية ، د. صفاء خلوصي ، دار الشؤون ، بغداد ، 1986 .
14. في التراث العربي ، د. مصطفى جواد ، ج2 ، دار الرشيد ، 1980 .
15. مفهوم الشعر ، دراسة في التراث النقدي ، د. جابر عصفور ، المركز العربي للثقافة والعلوم ، 1982 .
16. منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، حازم القرطاجني ، تحقيق : محمد الحبيب بن الخوجه ، المطبعة الرسمية للجمهورية الوتنسية - تونس ، 1966 .
17. الموسيقى الكبيرة - الفارابي ، تحقيق : غطاس عبد الملك ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، 1967.
18. نقد العقل المجرد ، ايما نويل كانت ، ترجمة : احمد الشيباني ، دار مكتبة الحياة ، د.ت.
19. الوساطة بين المتنبي وخصومه ، القاضي الجرجراني ، تحقيق : محمد ابي الفضل ابراهيم وعلي البجاوي ، تحقيق : محمد ابي الفضل ابراهيم وعلي البجاوي ، مطبعة عيسى ألبابي الحلبي ، القاهرة ، 1966.

ب. المجلات :

1. عالم الفكر ، المجلد التاسع ، العدد الثاني ، يوليو ، اغسطس ، سبتمر ، 1978 - الكويت دراسة بعنوان ((نحو علم جمال عربي)) د .عبد العزيز الدسوقي.

النّص وفلسفة التأويل في هرمينوطيقا غادامير

د. مليكة حيمر - جامعة الإخوة منتوري قسنطينة1/ الجزائر

ملخص :

يهدف هذا المقال إلى تسليط الضوء على ماهية الهرمينوطيقا وحدودها الفلسفية في تأويل النّصّ الأدبي عند واحد من أهمّ أقطاب التأويلية في العصر الحديث، هانز جورج غادامير (Hans-Georg GADAMER) الذي أصبحت معه الهرمينوطيقا (Herméneutiké) عملية تأويل تقوم على الفهم والتفسير والحوار. وحول هذه القضية تتأسّس إشكالية المقال انطلاقا من أسئلة يثيرها هذا الموضوع، نذكر منها:

كيف نظر غادامير إلى الهرمينوطيقا باعتبارها فنّ التأويل؟

ماهي الآليات التي يقوم عليها تأويل النّص في هرمينوطيقا غادامير؟

كيف يكون تأويل النّص في الفلسفة الهرمينوطيقية عند غادامير؟

الكلمات المفتاحية: النّصّ، التأويل، هرمينوطيقا، غادامير

Abstract :

The purpose of this article is to highlight the meaning of Herméneutiké and its philosophical limits in the interpretation of the literary text at one of the most important interpreters of the modernera Hans-Georg Gadamer which follow the Herméneutiké as a philosophy of the process of understanding interpretation and dialogue, On this issue, the intervention tries to answer some of the questions raised by the subject   :

- How did Gadamer see Herméneutiké as the art of interpretation?

- What are the mechanisms on which the interpretation of the text in Herminutiké Gadamer?

- How is the interpretation of the text in the Herméneutic philosophy at Gadamer?

Key words: Text, Interpretation, Herméneutiké, Gadamer

توطئة:

تمثّل الهرمينوطيقا (Herméneutiké) منهجا للفهم؛ أي المنهج المناسب لتحقيق الموضوعية في دراسة الظواهر الإنسانية أو كلّ ما يمكن أن يعبّر عن الإنسان سواء في ميدان النّصوص الأدبية أو الآثار الفنية، وهذا ما حدث في العصر الحديث على يد كلّ من شلايرماخر (FRIEDRICH SCHLEI-ER MACHER) ودلتاي، إذ اعتبر هذا الأخير الهرمينوطيقا بمثابة منهج للعلوم الإنسانية، إلاّ أنّ هذه النظرة وجدت في العصر الحديث من يرفضها، وذلك من خلال رأي هانز جورج غادامير(Hans-Georg GADAMER) الذي لم يَرَ في الهرمينوطيقا منهجا بديلا للمنهج التجريبي، كما أنّه يرى أنّ الظاهرة الإنسانية ذات معنى و دلالة، وبالتالي فهي حاملة للمعنى و موصلة إلى الحقيقة و لا تقلّ

أهمية عن الظاهرة الطبيعية ، بل قد تعبّرعن الحقيقة التي يجب على الإنسان أن يُنشدها ويهتمّ بها.

فالكلام الحقيقي الذي يريد التعبيرعن شيء مَا ويبحث عن الألفاظ التي بوساطتها نتواصل مع الآخر هو الهرمينوطيقا التي هي في نظر غادامير الوصول إلى لغة مشتركة؛ بمعنى الوصول إلى اتّفاق ومن ثمّ تتحقّق عملية الفهم.

تختلف هرمينوطيقا غادامير عن الهرمينوطيقا التقليدية التي حلّت مشكلة التأويلية من خلال الأنموذج السيكولوجي الديكارتي، بدلا من الأنمودج اللّساني الذي بناه غادامير، فالهرمينوطيقا التقليدية تعتقد بقدرة التأويل على جعل كلّ شيء مألوف، ومن هنا يظهر لنا وبشكل واضح أنّ الهرمينوطيقا لا تقوم إلاّ من خلال اللّغة لكونها تعبير عن الكينونة الإنسانية، لكن مع غادامير تأسّس مفهوم جديد للهرمينوطيقا فبعدما كانت تستند إلى البُعد النفسي مع شلاير ماخر ودلتاي ولصيقة بالأنطولوجيا في فلسفة هايدغر وأسيرة الفينومينولوجيا مع إدموند هوسرل صارت أقرب إلى البُعد الفلسفي العالمي مع غادامير قائمة على حلقة الفهم والتفسير والتطبيق كنقطة جوهرية، فركّزت على كون الحقيقة ليست مطلقة، بل هي حقيقة إنسانية فلا مجال للنهاية واليقين والاكتمال، الحقيقة نسبية متغيرة باستمرار، ومن ثمّ فالتأويل عند غادامير فعل عالمي لا يقتصر على النّصوص الأدبية فحسب بل يتعداها إلى غيرها من النّصوص بل أكثر من ذلك إلى فهم الظاهرة الإنسانية. وهنا نطرح تساؤلات كالآتي:

-ماذا تعني الهرمينوطيقا في مفهوم غادامير لها؟

- ماهي آليات تأويل وقراءة النّص في الفلسفة الهرمينوطيقية عند غادامير ؟

أوّلا- الهرمينوطيقا نظرة في الأصول والمرجعيات:

تعدّ الهرمينوطيقا أو فنّ التأويل من أهمّ المفاهيم الحاملة لثقافة الإنسان، حيث حملت دلالات متباينة ومختلفة عبر العصور، أدّت إلى نشأة مذهب فلسفي قائم بذاته يتمثّل في التأويلية الفلسفية.

فالهرمينوطيقا كمصطلح مرّ بمراحل تاريخية عديدة لم ينفصل فيها عن مفهومه الأوّل الذي وُضِعَ له وإنّما حدث فيه بعض التحوير يتراوح بين الاتّساع والاختزال، وهذا الأمر الذي زاده تعقيدا في بعض الأحيان.

وعندما نتتبّع المسار التاريخي لمصطلح الهرمينوطيقا (Herméneutiké) نجد أنّها أخذت مفاهيم مختلفة، وذلك راجع في الأساس إلى اختلاف نظرة الدّارسين لها وتبنّيهم وجهات نظر محدّدة وفق ما يخدم وجهاتهم الفكرية ووفق ما تقتضيه ثقافة عصرهم، ولعل ظهور مصطلح الهرمينوطيقا كان مرتبطا بالفلسفة، ولذلك كان اليونانيون هم أوّل من تداولوا هذا المصطلح؛ فالهرمينوطيقا كلمة مشتقة في أصلها من" الفعل اليوناني HERMENEUEIN و الذي يعني يفسّر، والاسم يعني تفسير ، والتي ترتبط في أصلها بالإله هرمس HERMES رسول آلهة الأولمب و الوسيط"[1].وهذا ما أكّده الفيلسوف اليوناني أفلاطون (PLATON) حينما استعمل مصطلح

1- مدخل إلى الهرمنيوطيقا : نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامير، عادل مصطفى، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1(2003)، ص:01.

الهرمينوطيقا في محاورة أيون (Ion) ، و هو شاعر يقوم بتلاوة أشعار هوميروس ، ومن ثمّ فهو يقوم بالتعبير و تأويل و تفسير معانيه ممّا يجعله حاملا لرسالة هوميروس لإيصالها للمستمعين، و هذا ما يجعل وظيفته شبيهة بوظيفة هرمس[1] ، ولقد اعتبر أفلاطون الشعراء مفسري الآلهة[2] ؛ يعني هذا أنّ الهرمينوطيقا عند أفلاطون ظهرت في حيّز مقدّس (ديني) مرتبط بالآلهة، وهي تعني التعبير ولتأويل والتفسير. حيث كان لتطور مفهوم الهرمينوطيقا في العصر اليوناني دور فعّال في تفسير النصوص المقدّسة وتطوّرها، ومن ثمّة تنوّعها ممّا فتح المجال أمام تعدد القراءات و التفسيرات.

أمّا في العصر الوسيط نجد أنّ الهرمينوطيقا عند القديس والفيلسوف أوغستين SAINT AU-GUSTIN قد تطوّر مفهومها نوعًا مَا، حيث ارتبطت بقراءة وتفسير النّص الديني لكن بالاعتماد على الرمزية في التأويل والتفسير، وبالتالي يكون قد "جمع بين القراءة الحرفية والرمزية في آن واحد، إذ لابد من التقيّد بالقواعد اللغوية والنحوية لفهم النّص الديني"[3]، وعليه فالهرمينوطيقا في العصر الوسيط تقوم على أساس تفسير النّص الدّيني، حيث يقوم التفسير على المعادلة الآتية: التفسير الرمزي (Allégorique)+ التفسير الحرفي= الهرمينوطيقا.

أمّا في عصر النهضة فقد أخذ مفهوم الهرمينوطيقا تطوّرا واضحا ، حيث أصبح اهتمامها قائما على كيفية تفسير النص المقدّس و ما هي القواعد اللازمة لذلك، وقد ثار مارتن لوثر ((MARTIN LUTHER مؤسس المذهب البروتستنتي على القراءة الرمزية للنّص الديني، وكان يرمي عمله إلى تفاعل القارئ بكل حرية مع الإنجيل كمرجع و معيار للممارسة الدينية و الذي يستمد معناه من خلال المعنى الظاهر المباشر للنص متجاوزا في ذلك سلطة الكنيسة الكاثوليكية وفسادها و ما كانت تفرضه من معان ، مما يعني أنه كان بالدرجة الأولى يأخذ بالمعنى الحرفي و الأخلاقي للإنجيل، فهو يرى أنّه " لا حاجة إلى أية مرجعية فالنص المقدس يفسّر نفسه بنفسه ، النّص يفسّر النّص و هو مرجع كل التفسير، و قراءة النّص تبدأ بالمعنى الحرفي الذي ينمو منه الفهم الروحي لأنّ الإنجيل بالنسبة له طريق الوصول إلى الله" [4].

يبدو من هذا الكلام أنّ الهرمينوطيقا تعني التفسير والفهم للنّص الدّيني، وهذا الفهم والتفسير يقوم في أساسه على المعاني الحرفية التي يحملها النّص المقدّس؛ أي أنّ النّص يُقرأ من خلال معانيه التي يوحي بها من دون الاستناد إلى أيّة مرجعية ثقافية كانت أم فكرية أم عقائدية .

والواقع أنّ معاني التأويل قد اختلفت عبر العصور بحسب آراء الفلاسفة والمفسرين. فالهرمنيوطيقا لم تكن أبدًا ساكنة، بل متطوّرة ومتغيّرة باستمرار بتغير الكيفية التي تقرأ بها النصوص، وبتغير فهمنا لأنفسنا.

إنّ التطوّر الذي عرفه مصطلح الهرمينوطيقا بداية من العصر اليوناني إلى عصر النهضة أرسى دعائم الفهم الصحيح لهذا المصطلح، ليأتي العصر الحديث بنظرة مغايرة للعصور السابقة،

1- المرجع نفسه، ص:25-24

2- مقدمة في الهرمينوطيقا ، دافيد جاسبر ، ترجمة وجيه قانصو، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1(2007)، ص 21

3- لمرجع السابق، ص: 65-64.

4- المرجع نفسه، ص:89-88..

فأصبح مفهوم الهرمينوطيقا في العصر الحديث يتجاوز تفسير النّص الدّيني إلى نصوص أخرى

غير دينية؛ أي أنّ مفهوم الهرمينوطيقا بدأ يتّسع شيئا فشيئا على مرّ العصور ليأخذ دلالات أعمّ وأشمل من الدلالات السابقة من خلال آراء بعض الفلاسفة في مفهوم هذا المصطلح، حيث وضع اللاهوتي والفيلسوف الألماني شلاير ماخر FRIEDRICH SCHLEIER MACHER أسس هرمينوطيقا عامة بوصفها فن الفهم، إذ يرى أنّ ما يوجد هو فروع متعددة للهرمينوطيقا منفصلة عن بعضها البعض، فهناك هرمينوطيقا فيلولوجية وأخرى لاهوتية وثالثة قانونية إلاّ أنّها لا توجد كمبحث عامّ يهتم بفن الفهم[1]. فالهرمينوطيقا عنده هي " فنّ الفهم؛ أي إدراك المعنى المتواري في ثنايا الخطاب"[2]. وأهمّ ما شغل فِكر شلاير ماخر هو الثغرات التي قد تصيب هذا التصوّر الذي قد يؤدي إلى عدم الفهم " فعندما ندّعي أنّنا فهمنا نصّا أو فكرة، فهل الفهم في هذه الحالة كامل؟ أليس هناك بقايا عدم الفهم؟"[3].

لا يتمّ الفهم عند شلاير ماخر إلاّ من خلال الوقوف على الجوانب النفسية والعقلية والدوافع الذاتية لمؤلف النّص ممّا يجعل عملية التأويل عنده تمر بمرحلتين أساسيتين: المرحلة اللغوية، والمرحلة السيكولوجية، وتتعلّق بكلّ ما تشتمل عليه الحياة النفسية للمؤلف والتي تقف وراء النّص[4]، و هذا ما جعله يميّز بين نوعين من التأويل: التأويل اللّغوي[5] والتأويل السيكولوجي[6].

تقوم عملية الفهم حسب شلاير ماخر على المعارف المسبقة والتي تظهر من خلال اللّغة من حيث هي وسيط حسي و الموضوع[7]؛ يعني هذا أنّ عملية التأويل عند شلاير ماخر تظهر من خلال عملية التفاعل بين الكلّ والجزء، أي أنّ فهم الكلّ يتوقف على فهم أجزائه والعكس، فحياة الإنسان لا تُفهم إلاّ من خلال ربط الكل بأجزائه. ويكون شلاير ماخر بذلك قد وسّع مجال فهم النّص الأدبي إلى المجال الفيلولوجي والدّرس النفسي والتاريخي وأخيرا بالفهم الهرمينوطيقي.

أمّا في العصر المعاصر فأخذ مفهوم الهرمينوطيقا في التطوّر على يدي كلّ من هوسرل EDMUND HUSSERL وهيدغر MARTIN HEIDEGGER الذي شهد معه المنهج الهرمينوطيقي قفزة جديدة، إذ سيرتبط ارتباطًا وثيقًا بالفلسفة، وخاصة الفينومينولوجيا، فقد أقام هيدغر الهرمنيوطيقا على أساس فلسفي، والفلسفة على أساس هرمنيوطيقي، وكلاهما صحيح، كما يرى نصر حامد أبو زيد، طالما أنّ الفلسفة هي فهم الوجود، والفهم هو أساس الفلسفة وجوهر الوجود[8].

1- مدخل إلى الهرمنيوطيقا : نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامير، عادل مصطفى،ص:65.

2- الإزاحة والاحتمال (صفائح نقدية في الفلسفة الغربية)، محمد شوقي الزين، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط1(2008)،ص:53.

3- المرجع نفسه، ص:52.

4- مدخل إلى الهرمنيوطيقا : نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامير، عادل مصطفى،ص:67.

5- التأويل اللغوي: يعتبره ذا وظيفة سلبية فهو يبحث في القواعد اللغوية التي تضع الأطر والحدود التي يجب للفكر أن يعمل وفقها وذلك بتحديد القوانين الموضوعية والعامة التي من خلالها يمكن الوصول إلى المعنى.

6- التأويل السيكولوجي: يعتبره ذا وظيفة إيجابية في عملية التأويل فهو يبحث في الشروط الفكرية التي تقف خلف النّص ، ومن ثمة فهو يركز على الجانب الذاتي الخاصّ بالمؤلّف، وهو من أجل ذلك يتطلب اندماجا وجدانيا بالمؤلف.

7- المرجع السابق، ص:80-78.

8- الهرمنيوطيقا ومعضلة تفسير النّص، أوراق فلسفية، نصر حامد أبو زيد، العدد العاشر، سنة 2004، ص :21

إن الهرمنيوطيقا بهذا المعنى لا تعنى بتأويل النصوص، ولا النظر إليها باعتبارها منهجًا للعلوم الإنسانية، وإنما تعبّر عن كشف فينومينولوجي للوجود الإنساني ذاته. فالفهم والتأويل هما أسلوبان لوجود الإنسان. وهكذا، فقد عمّق هيدغر من مفهوم الهرمنيوطيقا، وبضربة واحدة أصبحت ذات صلة وثيقة بأنطولوجيا الفهم[1]. هذا، وبقدوم هانز جورج غادامير[2]--Hans-Georg GADAMER-، نجد أنّ أفكار هيدغر التأويلية قد تطوّرت لتتخذ شكل عمل نسقي منظم في الهرمنيوطيقا الفلسفية التي عرضها في كتابه "الحقيقة والمنهج".

ثانيًا- الهرمينوطيقا الفلسفية عند هانز جورج غادامير:

يعتبر الفيلسوف الألماني هانز جورج غادامير من المنظّرين الذين استندوا إلى مرجعيات ثقافية وخلفيات فلسفية راديكالية، امتدّت جذورها إلى الفلاسفة اليونانيين الأوائل، وفي مقدّمتهم أرسطو نظرا لأسبقيتهم في تناول قضايا التأويل والفنّ والفلسفة، فكانت آراؤهم بمثابة المرجعية التي استند عليها غادامير في تأسيس مفاهيمه حول التأويل، حيث عمّق المنهج الهرمينوطيقي خاصّة في كتابه "الحقيقة والمنهج" الذي حاول فيه تطبيق الهرمينوطيقا على الفنون الجميلة، وهو يدعونا إلى الأخذ بخيار نهائي ما بين الأخذ بالحقيقة وبين هيمنة المنهج في البحث عنها، حيث اتّخذت بذلك شكل نظرية فلسفية تنظر إلى التفسير باعتباره مطلبًا وتوجّهًا فكريًا ضروريًا في عصر يغلب عليه طابع التعقيد والاغتراب والغموض . وبالتالي فالهرمينوطيقا عند غادامير أخذت طريقها نحو التطوّر، فغدت مهمة التفكير الهرمينوطيقي هي الاهتمام بالوجود كأساس للفهم والتأويل.

-1-2 الهرمينوطيقا فلسفة الفهم:

ينظر غادامير إلى الهرمنيوطيقا على أساس أنّها فلسفة الفهم تبحث في الفهم كعملية أنطولوجية في الإنسان، يقول غادامير:" لئن جعلنا الفهم موضوعاً لتفكيرنا، فليس المرمى من وراء ذلك هو فن الفهم أو تقنية الفهم"[3] ؛ يعني هذا أنّ الهرمينوطيقا عند غادامير تتجاوز النظرة السطحية في فهم النّصوص إلى النظرة العميقة والتي تتمثّل في معرفة حقيقة النّصوص.

يرفض غادامير تلك النظرة التي تختزل الفهم، ومن ثمّ الحقيقة إلى مجرد قواعد، فالظاهرة التأويلية في نظره ليست مشكلة منهج، ولا تسعى إلى صياغة مناهج للفهم، ولا تشيّد معرفة مثّبتة،

1- مدخل إلى الهرمنيوطيقا : نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامير، عادل مصطفى، ص:51

2- غادامير: ولد هانز جورج غادامير في ماربورغ ((Marburg بألمانيا في 11 فيفري1900م ، وهو من أكبر مؤسسي الهرمنيوطيقا الفلسفية، درس الفلسفة في ماربورغ على يدي "بول ناتورب" الذي يعد من أشهر مؤرخي الفلسفة، و"نيكولاي هارتمان" حيث التقى بالكانطية الجديدة والوضعية في المجال العلمي. انتقل بعد ذلك إلى "فرايبورغ" سنة 1923 م لدراسة الفينومينولوجيا على يدي هوسرل وهيدغر، وكان إعجابه قويًا برائد الوجودية هيدغر، الذي وجد في فلسفته مفاتيح فكرية ومفاهيم هامة في بناء فلسفته التأويلية، حصل على الدكتوراه سنة 1922م بعمل قدمه عن أفلاطون بعنوان " ماهية اللذة في حوارات أفلاطون". وفيما بين 1986م نشر غادامير أعماله الكاملة في عشرة أجزاء، الصادرة في "توبنغن « Tübingen » بألمانيا: الجزء الأول: التأويل: الحقيقة والمنهج، القواعد الأساسية في التأويل الفلسفي. الجزء الثاني: التأويل: الحقيقة والمنهج. الجزء الثالث: الفلسفة الحديثة: هيجل- هوسرل- هيدغر. الجزء الرابع: الفلسفة الحديثة: مشكلات ومنظومات. الجزء الخامس: الفلسفة الإغريقية. الجزء السادس: الفلسفة الإغريقية. الجزء السابع: الفلسفة الإغريقية: أفلاطون في حوار. الجزء الثامن: الجمالية والشاعرية. الجزء التاسع: الجمالية والشاعرية. الجزء العاشر: إضافات وملحقات. توفي غادامير في 14 مارس2002 في هيدلبرغ وعمره102 سنة.

3- الحقيقة والمنهج الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفيّة ، غادامير، ترجمة حسن ناظم وعلي حاكم صالح، دار أويا، طرابلس، ليبيا، ط1(2007)، ص:29.

على غرار المعرفة العلمية، على الرغم من أنهّا معنية في الوقت نفسه بالمعرفة والحقيقة، وبالتالي فالهرمينوطيقا في نظره ليست منهجية للعلوم الإنسانية ولكنّها " محاولة من أجل فهم مَا في الحقيقة وما يربطها بكلية تجربتنا في العالم، ففهم العالم وتأويله من خلال اللّغة التي تحمله يستند إلى ذات واعيّة بوجودها الساكن في هذا العالم نفسه" [1]. فالحقيقة تتأتّى من فهم الذات التي تعيش الوجود.

إنّ غاداميروعلى غرار هيدغر يرفض تلك النظرة التي ترى في الهرمنيوطيقا مجرد منهج للعلوم الإنسانية والتاريخية. فالهرمنيوطيقا في نظره تتمركز حول عملية الفهم الإنسانية، والفهم ليس فعلاً نحقّقه منهجيًا وموضوعيًا، وإنمّا هو حدث.

إنّ الهرمينوطيقا الفلسفية تتجاوز التعددية المنهجية في التأويل إلى نظرة كلية تأويلية منطلقها البنية اللغوية للعالم، فالهرمينوطيقا هدفها فهم الفهم [2].

فالبحث العميق في ظاهرة الفهم كفيل بأن يبرّر مشروعية الحقيقة التي تتجاوز العلم وآلياته المنهجية، بل إنّ هذا السؤال ذاته لا يمكن تجاوزه حتى داخل ميدان العلم، فظاهرة الفهم تكتسب شرعية مستقلّة داخل المنهج العلمي ذاته، وتقاوم كل محاولة لإذابتها فيه، وعليه يصير هدف الهرمنيوطيقا عند غاداميرهو البحث عن خبرة الحقيقة التي تتجاوز المنهج العلمي أينما وجدت.

هكذا تكون الهرمينوطيقا الفلسفية كما يتصوّرها غاداميرهي عملية تأويل تقوم على الفهم و الحوار و من ثمّة فمهمتها هي تجاوز حالة الاغتراب التي تكون عليها الذات [3]، و يترتّب على ذلك أنّها تبنى على أسس ثلاثة: التأويل والفهم والحوار، وذلك لعدم إمكانية الفصل بينها فلا تأويل من دون فهم ، و أيضا لا فهم من دون حوار تتجاوز من خلاله الذات النظرة المنهجية التي تحاول أن تسيطر وتستحوذ على الموضوع ، فالحوار يجعل من الذات منفتحة على الموضوع أي انفتاح الأنا على الآخر للاتّفاق و من ثمّة للفهم [4].

وعليه فإنّ الهرمينوطيقا عند غادامير تقوم أساسا على فكرة فهم الوجود، وهذا ما يؤدي بنا إلى طرح تساؤل مؤدّاه: على ما يقوم تأويل النّص في الفلسفة الهرمينوطيقية عند غادامير؟ أوماهي الآليات المعتمدة في تأويل النّص في الفلسفة الهرمينوطيقية عند غادامير؟

ثالثا- آليات تأويل النّص في الفلسفة الهرمينوطيقية عند غادامير:

يقوم هذا المبحث على سؤال مؤدّاه: ماهي الآليات التي تحقّق تأويليّة النّص في الفلسفة الهرمينوطيقية عند غادامير؟

إنّ البحث في تأويلية غاداميرو من خلالها عملية الفهم بشقيها الإبستيمولوجي والأنطولوجي يقوم على ثلاثة مستويات أساسية، هي : مستوى الوعي التاريخي، ومستوى الوعي الجمالي ، ومستوى اللّغة، فهذه المستويات تختصر آليات التأويل عنده، وتحدّد الخطوات المتتالية في عملية القراءة.

1- اللغة والتأويل مقاربات في الهرمينوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي، عمارة ناصر، منشورات الاختلاف، الجزائر ط1(2007)، ص:22.

2- الفلسفة والتأويل، نبيهة قارة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1(1998)، ص:55-54.

3- جلي الجميل ومقالات أخرى، هانز جورج غادامير، تحرير: روبرت برناسكوني، ترجمة: د/سعيد توفيق، المجلس الأعلى للثقافة، (د، ط) (1997)، ص:07.

4- المصدر نفسه، ص:11.

3-1-1- مستوى الوعي التاريخي:

يعدّ الوعي التاريخي من أهمّ المستويات التي تقوم عليها العملية التأويلية وفعل القراءة عند غادامير؛ لأنّه يمكّننا من فهم الآخر، وبالتالي فهرمينوطيقا الوعي التاريخي ترمي إلى تحديد شروط الفهم، ذلك أنّ الفهم الإنساني فهم تاريخي ، أي أنّ كلّ ذات تخضع لمعطياتها وبنائها التاريخي، و بذلك فعملية الوعي التاريخي الفعّال تتأثّر بهذه المعطيات الذاتية، ممّا يعني أنّ وجود الذات تتجاوز معرفتها بنفسها، ويترتّب على ذلك ضرورة وعيها بالتراث الذي يمثّل الشروط القبلية لهذا الوعي أي أن تتعرّف ذات على نفسها من خلال تعرّفها على تاريخها [1].

وبالتالي تتأثّر عملية الوعي التاريخي بمعطيات ذاتيّة تتجاوز معرفة الذات نفسها، فالفهم الإنساني فهم تاريخيّ؛ أي أنّ كلّ ذات تخضع لمعطياتها وبنائها التاريخي، ويحتاج التاريخ كذات إلى " التفكيك والتشريح، بُغية الفهم وإعادة الفهم، فليس هناك ما يُهمّش من عناصر تاريخيّة، فالنّص التراثي جزء لا يتجزّأ من التاريخ الإنساني العالمي، إذ لا وجود للقهرية في فلسفة غادامير لأنّه يصبو إلى اختزال الذوات في ذات واحدة، وإحداث التماهي بين الفواصل والحدود، ويتحقّق هذا المقصد من خلال أدبيات الحوار بين القارئ والعناصر التاريخية"[2] . يعني هذا أنّ عملية تأويل النّصوص – حسب غادامير- تخضع لتأثير الماضي، ويظلّ الماضي مسيطرا على الذّات التي تتماهى وتذوب فيه، وبالتالي تتحقّق عملية الفهم من خلال دخول الذّات في التراث وذوبانها فيه.

إنّ الوعي التاريخي الهادف هو الذي يجعل الحاضر من خلال انفتاحه على الماضي يُدرك الحقيقة الكامنة فيه، ولهذا فالنّصوص لا تُكسب الذات معرفة موضوعيّة بل تُكسبها خبرة تجعلها أكثر نضجا وانفتاحا على الماضي، وهذا ما يعين مفهوم الخبرة التي هي ذات أهميّة في عمليّة التأويل[3] . يبدو من هذا الكلام أنّ انفتاح الذات على الماضي هو ما يحقّق لها عملية فهم وتأويل النّصوص من خلال الخبرة التي يكسبها إيّاها ذلك الماضي.

وقد وضع غادامير شروطا مساعدة في عملية الفهم، مرتبطة بتاريخانية الفرد كالتراث، والخرافة، والسلطة، والتي تتمثّل فيما يُسمّى بالأحكام السّابقة، وهذا ما يمكن أن نلمسه فيما قدّمه عصر التنوير من نقد ورفض للتقاليد (التراث) والخرافة (الأسطورة) وأيضا الأفكار المسبقة، وذلك لدورها السلبي لأنّها تقف عائقا أمام العقل والتفكير الموضوعي[4]، لكن غادامير يرى أنّ عملية الفهم لا يمكن أن تتمّ أو تتجاوز ما قبل الفهم أو الافتراض المسبق (الأحكام المسبقة)، ذلك أنّ الفهم المسبق يقوم في أساسه على التراث أو التقاليد التي ينشأ ويعيش في سياقها المؤوّل، وهذا ما يدعو إلى ضرورة الاهتمام بالتراث بما في ذلك الفلسفي انطلاقا من أنّه يمثّل الشروط القبليّة المحدّدة لعمليّة الفهم من جهة، كما يعبّر عن طبيعة الوجود الإنساني من جهة أخرى؛ أي أنّ التأويلية الفلسفية عملت على ردّ الاعتبار للتراث والأحكام المسبقة والخرافة لفهم الوجود الإنساني وتاريخانيته، من

1- المصدر نفسه، ص:14.

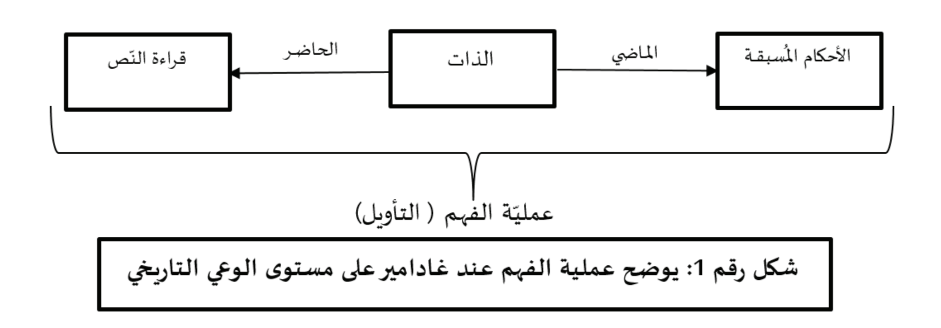
2- التأويلية عند غادامير – قراءة في المرجعيات والمنظومات والآليات- ، لزهر فارس، مجلة فتوحات، العدد (2) جوان 2015، ص:197.

3- مدخل إلى الهرمينوطيقا نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامير، عادل مصطفى، ص: 230.

4- التحليل النفسي والفلسفة الغربية المعاصرة، فاليري ليبين، فرويد، ترجمة زياد الملا، مراجعة:د: تيسير كم نقش، دار الطليعة الجديدة، دمشق، سوريا، ط1(1997)، ص:179.

حيث إنّ الإنسان ذات مساهمة في هذا التراث من جهة، وخاضع له من جهة ثانية، وهذا ما يُعطيه بُعده التاريخيّ [1].

فالنّص لا يمكن بأيّ حال من الأحوال أن ينفصل عن تاريخه وعن ماضيه، كما لا يمكن أن يُفهم إلاّ من خلال استدعاء الذّات القارئة لماضي النّص والظروف التي كُتب فيها؛ أي أنّه قبل كلّ عمليّة تأويل (استخراج المعنى من النّص) هناك شروط قبليّة تضع النّص في سياق مُعيّن، فالافتراض المُسبق هو "وضع الوعي المتّجه للنّصّ في سياق تاريخي ولغوي خاصّ، فكلّ عمليّة للفهم أو التأويل تتجه من القارئ إلى المقروء، تخضع لعامل التاريخ واللّغة كعوامل مساعدة لفهم المعنى، فالحكم المُسبق يعبّر عمّا هو قبلي في عمليّة الفهم، ويُعبّر أيضا عن مدى انصهار الآفاق بين ما هو راهن وما هو ماض"[2]. حيث يتوقّف فهم أيّ نصّ وإدراك معناه على علاقته بالحاضر؛ أي بالموقف التأويلي الراهن، هذا لا يعني أنّ الذات يُمكنها أن تفرض ما تشاء على النّص دون أن تكون ذات صلة به، بل هذا يؤكّد على عدم ثبات المعنى لأنّه مرتبط بأفق الذات أي بتاريخيتها، فالجدل القائم بين الحاضر والماضي هو أساس العملية التأويلية[3]. وبذلك تتعدّد معاني النّص تبعا لتعدّد الذوات، فكلّ ذات تقرأ النّص انطلاقا من تاريخيتها، ووفق ما تسمح به لها مؤهلاتها أو أحكامها المسبقة، فعمليّة التأويل التي تستند إلى مستوى الوعي التاريخي تقوم عند غادامير على المعرفة التي تكتسبها الذات حيال النّص، وهذا ما يوضّحه الشكل الآتي:



شكل رقم 1: يوضح عملية الفهم عند غادامير على مستوى الوعي التاريخي

يندرج ضمن مستوى الوعي التاريخي المسافة الزمنية أو التاريخية [4] والتي تعتبر عاملا ضروريّا لتحقيق ذلك الوعي . فعند غادامير ليس الزمن " شرطا إيجابيّا وخصبا يقدّم العون للفهم، فهذه المسافة ليست هاوية سحيقة إنّما مملوءة باستمراريّة العادات والتقاليد، وفي ضوئها يقدّم ما يصلنا من التراث نفسه إلينا" [5]. وهي وحدها التي تسمح للتأويلات الخصبة بأن تفرض نفسها بوصفها كذلك، وقد ألغى غادامير الهوّة الموجودة بين المؤوّل والموضوع التراثي. كما طرح غادامير مسألة

1- المرجع السابق، ص:179.

2- الإزاحة والاحتمال (صفائح نقدية في الفلسفة الغربية)، محمد شوقي الزين، ص:39.

3- مدخل إلى الهرمينوطيقا نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامير، عادل مصطفى، ص:218.

4- نقصد بالمسافة الزمنية أو التاريخية تلك المباعدة التي شيّدها المنهج بين الذّات والموضوع من خلال أنّ هذه المسافة تمنع من الالتحام بالماضي.

5- الحقيقة والمنهج، غادامير، الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفيّة ، غادامير، ترجمة حسن ناظم وعلي حاكم صالح، دار أويا،

الحوار (السؤال والجواب) بين المؤوّل والنّص كبُعد أساسي في عمليّة الفهم وواقعيّة التفاهم.

تناول غادامير أيضا مسألة انصهار الآفاق (أي انصهار كلّ من أفق الذات المؤوّلة والنّص)؛ فالذّات مقيّدة بأفقها الخاصّ الذي لا تستطيع أن تتجاوزه في عمليّة الفهم، وفي مقابل الذّات نجد النّص له أفقه الخاصّ الذي أنتجه، وهو بذلك التقاء بين أفقين؛ أفق الذّات وأفق النّص، ومنه فكلّ قراءة هي تأويل من خلال دخول تاريخية الذات القارئة في تاريخيّة النّص المقروء. فتأويل النّص –حسب هذه النظرة- يقتضي أن تندمج الذّات وما تكتسبه من أحكام مُسبقة مع النّص المقروء وتاريخه، ولذلك فانصهار الآفاق؛ أي أفق القارئ وأفق النّص يُكوّن أفقًا واحدًا لعمليّة الفهم، وما يجمع بينهما هو التاريخ. وبالتالي فإنّ غادامير حاول أنسنة التاريخ بتحويله إلى ذات تُجادل، وتفرض علينا كينونتها، وتُظهر تميّزها.

3-2- مستوى الوعي الجمالي:

يتعلّق هذا المستوى بحياة المبدع الّذي أخرج النّص الأدبي إلى الوجود، حيث ينطلق غادامير، هنا، من الفنّ بمعناه الأنثروبولوجي، ويقصد بذلك استرجاع تجربة المبدع الأولى " فيتقصّى القارئ حيثيات العصر الذي عاش فيه، ويستقرئ معالمه وأحداثه، حتّى يكتسب الخبرة الجماليّة الكافيّة التي تُشكّل لديه ثقافة عن تلك الشخصية من جهة، وعن العصر من جهة أخرى"[1]. إذن فماهي حقيقة الوعي الجمالي عند غادامير؟ وماهو دوره في تأوليّة النّص؟

إنّ الوعي الجمالي عند غادامير يتحدّد انطلاقا من مبدأين أساسين، هما: التمايز الجمالي، واللاتمايز الجمالي.

أ- التمايز الجمالي Distinction esthétique:

ينطلق غادامير في تحديده حقيقة التمايز الجمالي من فكرة نقده النظرة التي ترى الجمال مجرّد إدراك حسّي غايته المتعة الحسّية الخالصة، ولا يمكن أن يكون حاملا للمعرفة ولا موصل إلى الحقيقة لأنّه شكل من دون مضمون، بحيث يُصبح الفنّ، ضمن هذا السياق، ذا سيادة مستقلّة، ولكنّها مرتبطة بما هو خيالي ولا واقعي، وحتّى لا يسقط في أفق البساطة والابتذال اللّذان يطبعان الوعي الجمالي المجرّد، حيث عمل غادامير على انتزاع المظاهر الشكليّة من التجربة الفنّية، إذ يفقد التمايز الجمالي هذه المكانة السياديّة في فهم خبرتنا بالعمل الفني؛ لأنّ الجانب الجمالي أو الشكلي في مواجهتنا لأيّ عمل فنيّ هو جزء ممّا يقوله لنا، وينتمي انتماءً جوهريّا إلى الشيء المقصود، بحيث يُصبح التمايز الجمالي مُصطنعا وباطلاً[2].

2-2- اللا تمايز الجمالي Non distinction esthétique :

يبدو أنّ فهم الفنّ على أنّه مظهر جمالي هو أصل هذا الاغتراب الذي يتجاهل العناصر فوق الجماليّة التي ترتبط بالعمل (وظيفته، غرضه، دلالته) هذه العناصر تأخذ عند غادامير قدرة خلاّقة على توليد الدلالة الكليّة التي يتمتّع بها العمل الفنيّ، فما نُسمّيه أثرا فنيّا والذي نُكوّن عنه خبرة جماليّة لا يمكن أن يُدرك كأثر فنيّ خالص إلاّ إذا جرّدناه من جذوره ومحيطه الأوّل الذي

طرابلس، ليبيا، ط1(2007).ص:407.

1- التأويلية عند غادامير – قراءة في المرجعيات والمنظومات والآليات- ، لزهر فارس، ص: 195.

2- مدخل إلى الهرمينوطيقا نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامير، عادل مصطفى، ص:203.

أوجده ومنحه الحياة ومن كلّ وظيفة دينيّة أو دنيويّة كان يُؤدّيها والتي حدّدت معناه[1]. يبدو حسب هذه النظرة أنّ النّص الإبداعي لا تتحقّق له الجمالية إلاّ إذا جرّدناه من كلّ مسببات وجوده؛ أي عزل النّص عن محيطه الذي وجد فيه، فهل هذا الاعتبار يعدّ صحيحا؟

إنّ الحديث عن مستوى الوعي الجمالي يستدعي بالضرورة التطرّق إلى مقاصد المتكلّم؛ بمعنى البحث عن المعنى الأصلي الذي تتمركز حوله الدّلالة المقصودة، وهذا ما نادى به (مارتن هايدغر) أستاذ غادامير لكن التفسير غير كافٍ لفهم النّص فهمًا عميقًا.

تعتبر القراءة الجماليّة للنّص نوعا من القراءة الإسقاطيّة، كما أوحى بذلك تودوروف بمعنى التعامل مع النّص، كما لو أنّه وثيقة يحاول القارئ إثبات صحتها [2]؛ أي أنّ القراءة التأويليّة في هذا المستوى الجمالي تدمج النّص في سياقه الثقافي الخاصّ من خلال معرفة الأسس الجمالية والقيّم الفكريّة والاجتماعيّة والدّينية في عصر المؤلّف، وهكذا يتحقّق الجمال من خلال قصديّة المبدع، فيصطدم بالنّص لأوّل وهلة، فيحدّد موقفه الجمالي من خلال القراءة الجماليّة للنّص.

3-3- مستوى اللّغة:

تعدّ اللّغة دائرة التأويل بامتياز؛ لأنّها الوسط الّذي تجري فيه عمليّة الفهم من خلال الإحاطة بجزئيات النّص؛ من أصوات وأشكال تعبيريّة، وهذا ما يؤدّي بنا إلى طرح تساؤل كالآتي: ما هو دور اللّغة في العمليّة التأويلية عند غادامير؟

تُمثّل اللّغة عند غادامير الوسط الحامل للتجربة التأويلية، فمن خلالها يمكننا استنباط المعنى، وفهم النّص ومن ثمّ تأويله، فاللغة –حسب غادامير- هي " الوسط الذي يتحقّق فيه التفاهم والاتّفاق بين الشركاء، ومثال الترجمة يجعلنا نعي أنّ العنصر اللّغوي هو الوسيط الذي بفضله نتفاهم" [3]. وهذا الانصهار الذي يحدث في الفهم هو الإنجاز الفعلي في اللّغة؛ حيث إنّ اللّغة هي الوسط الذي يحدث فيه وخلاله الكشف الأنطولوجي، ولهذا يرفض غادامير النظر إلى اللّغة كمجرد أداة؛ لأنّ اللّغة هي التي تخلق العالم وتتيح إمكانية أن يكون للإنسان عالما، وهذا ما عبّر عنه غادامير في عبارته المشهورة " الوجود الوحيد الذي يمكن فهمه هو اللّغة"[4] . لذا فإنّ الحقيقة تحدث بوصفها استجابة للتراث الذ يتوجّه إلينا في لغة يمكن فهمها؛ إي أنّ اللّغة بالنسبة لغادامير تُمثّل وجودا قائما بذاته، وهي المجال الذي تتبلور فيه الخبرة الإنسانية للعالم، ولهذا فهو يرى أنّ الوجود الجدير بالفهم هو اللّغة.

وعليه فإنّ الخبرة التأويلية هي تفاعل بين أفقين؛ أفق النّص وما يحمله من موروث وأفق المؤوّل، والصبغة اللّغويّة هي نقطة التواصل بينهما، واللّغة هي الوسط الحامل للتراث والمحافظ عليه عبر الزمن. فالتأويل إذن يجب أن يجد اللّغة المناسبة إذا أراد فعلاً أن يجعل النّص يتكلّم [5]. معنى هذا أنّ فهم النّص هو أن نتركه يقول شيئا مَا وأن نستمع له، وبذلك فهو يعبّر عن وجوده الخاصّ الذي

1- الحقيقة والمنهج، هانز حورج غادامير، ص:150.

2- التأويلية عند غادامير – قراءة في المرجعيات والمنظومات والآليات- ، لزهر فارس، ص: 196.

3- الحقيقة والمنهج ، هانز جورج غادامير، ص: 506.

4- فنّ الخطابة وتاويل النّص ونقد الأيديولوجيا، هانز جورج غادامير، ترجمة: نخلة فريفر، العرب والفكر العالمي، مركز الإنماء القومي، العدد الثالث، صيف 1988، ص:13.

5- الحقيقة والمنهج: الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفيّة، هانز جورج غادامير، ص: 521.

تحمله اللّغة، فالنّصوص الأدبيّة " أنظمة من العلامات الدّالة وتستطيع اللّغة الأدبيّة أن تحوّل العالم كلّه إلى موضوعات جماليّة، ولا شكّ أنّ تفاعل الفكر مع المكوّنات التخييلية هو مَا يكشف عن التقاطعات والتمفصلات والعلاقات الكامنة في اللّغة؛ فاللّغة أنطولوجيا خاصّة بها، حين ترحل الأشياء من فضائها لتسكن اللّغة، ولتلك الكائنات اللّغوية قيمة جماليّة وتصويريّة"[1].

فالأديب لن يكون له فضل الخلق والابتكار مع كلّ نصّ يكتبه إلاّ إذا أدرك أنّ الأدب والفنّ عموما صورة ومادّة في وقت واحد، ظاهر وباطن في اللحظة نفسها، وعليه أن يستعين بالاستراتيجيات النّصية؛ أي أن يستعين الأديب في نقل عواطفه إلى المتلقي بالرموز الفنّية التي تحتويها اللّغة والتي تتعدّى الدلالة الظاهرة للنّص إلى فهم دلالته العميقة المتوخّاة من وراء فعل التأويل.

وختاما نصل إلى عدّة نتائج كالآتي:

- إنّ فلسفة التأويل في هرمينوطيقا غادامير هي عبارة عن فهم الفهم؛ أي فهم الحقيقة ومعرفتها انطلاقا من تأويليّة النّص التي تتحكّم فيها عدّة آليات وتقع في ثلاثة مستويات (الوعي التاريخي، الوعي الجمالي، اللّغة) فكلّ هذه الآليات تتضافر في مقولاتها؛ لأنّ النّص الجيد يحوي في ثناياه تلك البؤر الإشعاعيّة الجماليّة، ليس على المستوى الواحد فقط، بل على مختلف المستويات الفكريّة والتاريخيّة واللّغويّة.

- الفهم من منظور غادامير، هو دائمًا حدث لغوي جدلي تاريخي، ولا وجود لفهم بمعزل عن اللّغة والبحث في مجالها، وهذه التجربة لا تنطبق على العلوم الإنسانية فحسب، بل أيضًا على العلوم الطّبيعية بل وأكثر من ذلك على التجربة الإنسانية برمّتها.

- لا ينفصل تأويل النّص في هرمينوطيقا غادامير عمّا هو تاريخيّ؛ فللتراث دور في عمليّة فهم النّص التاريخيّ؛ فلكلّ ذات موروث خاصّ اكتسبته من خلال التربية أو التنشئة الاجتماعيّة وأنّه لا يمكن لها أن تؤوّل نصّا دون رجوعها إلى هذا الموروث سواء كان ذلك عن قصد أو عن غير قصد، فعلاقة التراث بالتأويل عند غادامير تعني قراءة التراث من خلال تشكيل وعي تأويلي قوامه التاريخ والنقد في معالجة موضوعاته، حيث يمكّن هذا التاريخ الذّات المؤوّلة من إنشاء عمليّة حوار مع الآخر (المبدع) من خلال ما خلّفه من آثار.

- ارتكز تأويل النّص عند غادامير على عنصر اللّغة، بحيث لا ينفصل تأويل النّص عن اللّغة؛ ذلك أنّ أيّ نصّ مهما كانت طبيعته فهو عبارة عن لغة؛ أي مجموعة من الرموز مُنظّمة في قالب خاصّ، بحيث تتمّ عمليّة الفهم ضمن هذا السياق اللّغوي الحامل للخبرة الإنسانية، فما يجعل الفهم ممكنا هي اللّغة باعتبارها الوسيط التواصلي بين البشر.

وتبعا لما سبق تبدو نسبية معنى النّص واضحة عند غادامير الذي يؤكّد أنّه لا يوجد أيّ منهج يستطيع الوصول إلى معرفة حقيقة النّصّ كما هو.

1- التأويلية عند غادامير – قراءة في المرجعيات والمنظومات والآليات- ، لزهر فارس، ص: 199.

قائمة المصادروالمراجع:

-المصادر:

-1 تجلي الجميل ومقالات أخرى، هانزجورج غادامير، تحرير: روبرت برناسكوني، ترجمة: د/ سعيد توفيق، المجلس الأعلى للثقافة، (د، ط) (1997).

-2 الحقيقة والمنهج الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفيّة ، غادامير، ترجمة حسن ناظم وعلي حاكم صالح، دارأويا، طرابلس، ليبيا، ط1(2007).

-3 فنّ الخطابة وتاويل النّص ونقد الأيديولوجيا، هانزجورج غادامير، ترجمة: نخلة فريفر، العرب والفكرالعالمي، مركزالإنماء القومي، العدد الثالث، صيف 1988.

-المراجع:

-1 الإزاحة والاحتمال (صفائح نقدية في الفلسفة الغربية)، محمد شوقي الزين، الدارالعربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط1(2008).

-2 التأويلية عند غادامير – قراءة في المرجعيات والمنظومات والآليات- ، لزهرفارس، مجلة فتوحات، العدد (2) جوان 2015

-3 التحليل النفسي والفلسفة الغربية المعاصرة، فاليري ليبين، فرويد، ترجمة زياد الملا، مراجعة:د: تيسيركم نقش، دار الطليعة الجديدة، دمشق، سوريا، ط1(1997)

-4 الفلسفة والتأويل، نبيهة قارة، دارالطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1(1998).

-5 اللغة والتأويل مقاربات في الهرمينوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي، عمارة ناصر، منشورات الاختلاف، الجزائر ط1(2007).

-6 مدخل إلى الهرمنيوطيقا : نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامير، عادل مصطفى، دار النهضة العربية ، بيروت، لبنان ، ط1(2003)

-7 مقدمة في الهرمينوطيقا ، دافيد جاسبر ، ترجمة وجيه قانصو ، منشورات الاختلاف، الجزائر،ط1(2007)

-8 الهرمنيوطيقا ومعضلة تفسيرالنص، أوراق فلسفية، نصرحامد أبوزيد، العدد العاشر، سنة 2004

التَّأوِيلُ مُقَارَبَةٌ فِي الْمُصطلح والمفهوم.

د. أمين مصرنّي. المدرسة العليا للأساتذة. وهران/الجزائر.

الملخّص:

يغدو التأويل تفاعلاً، و انسجامًا و تماهيًا بين الذّات و الموضوع، من خلال إدراكٍ واعٍ، ضمن مقولة كلّ وعي هو وعي "بـ" شيء ما أبدًا، إنّها محاولةٌ لا تنتهي قصد الوصول إلى الجميل، أو التّأويل الجميل، و الجميل ها هنا هو ذلك التّماهي الحاصل بين الذّات و الموضوع، فإذا هي هو، وهو هي، و فق هيرمينوطيقا جماليّة ؛ تفصح عن نفسها متلبّسةً ثوب الأنطولوجيا و الفينومينولوجيا، باحثةً أبدًا عن قارئ نموذجيّ، وعن كائن تأويليّ جماليّ.

الكلمات المفتاحيّة: التأويل. الأنطولوجيا. الفينومينولوجيا. الجميل. الذّات. الموضوع.

Abstract:

Interactive interpretation becomes and harmonious and identification between self and subject, through conscious awareness within a saying all consciousness is consciousness of something, it's endless attempt to achieve the beautiful, beautiful, beautiful or interpretation here is that estrangement between the subject and the Object, If she is he, and he is she, and it's an aesthetic hermeneutic, Revealing herself in the Act and ontology dress phinominology, researcher of the typical reader, Interpretive and aesthetic object.

keywords : The interpretation – The ontology – phinominology -The beautiful – The subject – The object.

من الثّابت في تاريخ الدراسات التأويلية، وعند فلاسفة الهرمينوطيقا أن التأويل "فعالية ذهنية إنسانية، تتيح للمتلقي تعمق أغوار النص، والبحث عن حقائقه المضمرة، وربما المغمورة لاعتبارات خاصة بغرض فهمه"[1].

وعلى ذلك فإنه (أي التأويل) ذلك "التجسيد العمليُّ لمضمون الفهم في كلّ عملية تواصلية... بل إنّه وسيلة لاكتشاف السَّنن باختلاف أنواعها: دينية، علمية، أخلاقية، ثقافية، إبداعية ...."[2]، ولذلك تستحيلُ عمليةُ التأويل لصيقةً بمحاولة فهمِ إشكاليّة وجود الفهم أو كينونته، لا باعتبارها تصوُّرًا نفسيًّا، ولكن بوصفها تصوُّرًا وجوديًا، يراعي خصوصية انفتاح الكائن على ذاته وعلى الوجود، ذلك أن للفهم أبعادًا وجوديةً وجمالية وتاريخية[3].

المبحث الأوّل: تَأْثِيل المصطلح والإحاطةُ بِه:

1-الجوديّ، لطفي فكري محمّد، النّصّ الشّعريّ بوصفه أفقًا تأويليًا: قراءة في تجربة التّأويل الصّوفيّ عند محي الدّين بن عربيّ، (مؤسّسة المختار للنشر والتّوزيع، القاهرة، ط1، 2011، ص 15.

2-المرجع السابق، والصّفحة السابقة.

3-الزين، محمد شوقي، "الفينومينولوجيا وفن التأويل"، مجلة فكر ونقد، المغرب، 1999م، العدد 16، ص: 71.

أ. تَأْثِيل المصطلح اللغوي:

تكاد معاجمُ اللغة تُجْمِعُ على أن مفهوم كلمة "التأويل" يتمركز حول معاني الرجوع والمآل، والعاقبة، والتفسير، والوضوح، ويتركّز على التأمل و التدبر، إذ يقول ابن منظور: "الأوْلُ الرجوع آل الشَّيْءُ يَؤُول أَوْلاً ومَالاً رَجَعَ إليه الشيء رَجعهُ وأُلتُ عن الشيء ارتددت وفي الحديث (من صام الدّهر فلا صام ولا آل) أي لا رجع إلى خير، ويقال طَبَخْت النبيذَ حتى آل إلى الثّلث أو الرُّبع أي رَجَعَ.....

وأوّلَ الكلامَ وتأوَّله دبَّره وقدّرَه وأَوَّله وتأَوَّله فسَّره وقوله عزوجل "ولمَّا يَأتِهم تَأْوِيلُه"(يونس: 39)، أي لم يكن معهم علم تأويله وهذا دليل على أن علم التأويل ينبغي أن ينظر فيه وقيل معناه لم يأتهم ما يؤُول إليه أمرهم في التكذيب به العقوبة ودليل هذا قوله تعالى: "كذَلِكَ كذَّبَ الّذينَ من قبلهم فانْظُرْ كانَ عَاقبَةُ الظَّالِمِين"(يونس: 40).

والمراد بالتأويل نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل، لولاه ما تُرِك ظاهرُ اللفظ..

أما التأويل فهو: "تفعيل من أوّل يؤَوِّل تأويلاً، وثُلاثِيُهُ، آل يؤُول أي رجع وعاد، وسُئِل أبو العباس أحمد بن يحي عن التأْويل، فقال: التأْويل والمعنى والتفسير واحد قال أبو منصور يقال أُلتُ الشيءَ أؤوله إذا جمعته وأصلحته، فكان التأويل جمع معاني ألفاظ أَشكَلَت بلفظ واضح لا إشكال فيه، وقال بعض العرب أوّل اللهُ عليه أَمَرك أَي جَمَعَه، وإذا دَعَوا عليه قالوا لا أوَّل اللهُ عليك شَمْلَكَ، ويقال في الدعاء للمُضِلّ أَوَّل الله عليك أي رَدَّ عليك ضالَّتك وجَمَعَها لك، ويقال تأَوّلت في فلان الأجرَ إذَا تَحرَّيته وطلبته..... والتأَوُّل والتَّأويل تفسير الكلام الذي تختلف معانيه ولا يصح إلا ببيان غير لفظه"[1]. ولا شكّ في أنّ هذا الرّأي الأوّل دالّ على أن المعنى ينصرف إلى مصطلحيْ "الشرح" و"التفسير" "L'explication " و "L'exégèse"، خصوصا عندما يرد بتصدير "أيْ".

وليس يختلف "الأزهريّ" عن ذلك حين يذهب هو الآخر إلى أنّ: "التأويل من "آل يؤول، أي رجع وعاد...وأُلْت الشيء: جمعته وأصلحته، فكأن "التأويل" جَمْعُ معانٍ مُشكِلَة بلفظ واضح لا إشكال فيه"[2].

وقد ذكر الزّبيديّ أن معناه مأخوذ من "آل إليه يَؤُولُ أَولاً ومآلاً: رَجَعَ ومنه قولُهم: فُلان يَؤُول إلى كرم. وطَبَخْتُ الدّواءَ حتى آل المَنَّان مِنْه إلى مَنّ واحِدٍ. وفي الحديث:"مَنْ صامَ الدَّهرَ فلا صامَ ولا آلَ"أي رَجَع إلى خيرٍ وهو مَجازٌ"[3].

وعليه فإنّ التأويل لغةً هو الرّجوعُ و التّفسير و المآلُ، فلكأنّه العمليّة اللغويّة العقليّة التي تُعمِل الذّهن و تعتملُ فيه من أجل العود إلى المعنى الأصلي و فهمِه وتفسيرِه.

تأثيلُ المصطلحِ الفلسفيُّ:

ممّا يقال في مقدّمة هذا العنصر أنّ التأثيل الفلسفي الذي نحن بصدده يتكئ على المعنى اللغوي الذي أشرنا إليه آنفًا و يحاول التعرض خلال ذلك لمسألتين اثنتين، هما:

الرّجوع إلى تاريخ الكلمة، و مصادرها و أوليّات استعمالها.

1 -ابن منظور، لسان العرب، ج11 ، (دار صادر ، بيروت، ط1، 2003) ، ص: 32 وما بعدها.

2-الأزهري، تهذيب اللغة، (دار الكاتب العربي، ج15، القاهرة 1967م)، ص437.438.

3-الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج 7، (دار الفكر للطباعة والتوزيع، القاهرة (د.ت)، ص215.

و محاولة إيجاد معادل حاضرًا و تاريخًا و فلسفةً.

يذهبُ "لالاند" إلى أنّ التّأويل HERMENEUTIQUE هو: "تفسير نصوص فلسفية أو دينية، وبنحو خاص الكتاب (شرح مقدّس). تُقال هذه الكلمة خصوصًا على ما هو رمزي"[1]، و من ثمّة فلا يخرج التأثيل الفلسفي .وفق لالاند .عن التفسير، غير أنّه مخصوصٌ بتفسير نصوص فلسفية و دينية و هو ما سينطلق منه "شلايرماخر" لاحقًا، كما سيأتي، ولأنّ التأويل عند "لالاند" مرتبط بالفلسفة وبالدّين، فلقد كان محظوظًا أن تأتي لفظة " HERMETISME " بعد " HERMENEU-TIQUE"مادام الجذر واحدًا "HERME" نسبة إلى "هرمس"، وعليه فما الهرمسيّة؟

يقول "لالاند": هرمسيّة HERMETISME

أ. يُطلق اسم هرمسية على مجموعة عقائد يُظنُّ أنها ترجع إلى الكتب المصرية المسمّاة كتب توت Toth المثلث العظمة هذه العقائد معروضة في نصوص يونانية يحوم الشكُّ حول تاريخها وأصلها؛ طبعها للمرة الأولى، في ترجمة لاتينية، Marsile Ficinبعنوان:

(Mercurii Trismegisti liber de potestate et et sapientia Dei (Trévise, 1471

وفي النص اليوناني، طبعها Turnébe. Ad(باريس، 1554). وهي تتألف من (عدة أجزاء ومأثورات).

ب. مرادف خيمياء Alchimie مصدر الربط بين هذين المعنيين هو انتساب الخيميائيين اليونانيين إلى هرمس، واعتباره بمثابة مبدع علمهم. عزا خيميائيو العصر الوسيط إلى هرمس، فضلاً عن الكتب المذكورة أعلاه، كتاب la Tabula Smargdina (المنشور للمرة الأولى في سنة 1541 والذي يظهر منذ ذلك الحين في كل المباحث الخيمائية) [2].

وعلى ذلك فإنّا نفهم من "هرمس" أنه الخارق إبداعًا، المانحُ إياه، و المعين عليه، أو كما يقول "إيكو" رمز للنهائي. و كون الشيء ونقيضه في آن، للوصول للتفسير اللانهائيّ، كما سيأتي[3]، و لا بدّ أن نبيّن أنّه حال ورود اللّفظ السّابق يردُ رديفًا له، و مرادفًا أو مشترِكًا لفظيًّا لفظُ " Interpretation " وهو ما يدفعُ "جميل صليبا" لتفسير الكلمة قائلاً:

"التأويل: في الفرنسية Anagogique(sens)

في الانجليزية Anagogic interpretation

التّأويل مشتق من الأول وهو في اللغة الترجيع، تقول أوله إليه رجّعه، أما عند علماء اللاهوت فهو تفسير الكتب المقدسة تفسيراً رمزياً أو مجازياً يكشف عن معانيها الخفية.

قال الجرجاني(ت816): التأويل في الشرع "صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله إذا كان المحتمل الذي يراه موافقًا للكتاب والسنة مثل قوله تعالى يخرج الحي من الميت. إن أراد به إخراج الطّير من البيضة كان تفسيرا، و إن أراد إخراج المؤمن من الكافر، أو العالم من الجاهل كان تأويلا "[4].

1-أندري لالاند ، موسوعة لالاند الفلسفيّة، المجلد الأول (A-G)، تعريب: خليل أحمد خليل، إشراف: أحمد عويدات، (منشورات عويدات، باريس، ط2، 2001)، ص555.

2-المصدر السّابق، ص556.

3-أومبرتو إيكو، التّأويل بين السيميائيّة و التّفكيكيّة، تر: سعيد بن كراد، (المركز الثقافيّ العربيّ، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2004)، ص28 و ما بعدها.

4-الجرجانيّ (محمّد السّيّد الشّريف)، معجم التّعريفات، تحقيق و دراسة، محمّد صدّيق المنشاويّ، (دار الفضيلة للنّشر و

وإذا كانت الشريعة كما يقول بعضهم مشتملةً على ظاهر وباطن لاختلاف فطر الناس وتباين قرائحهم في التصديق كان لابد من إخراج النص من دلالته الظاهرية إلى دلالته الباطنية بطريق التأويل. فالظاهر هو الصور والأمثال المضروبة للمعاني، والباطن هو المعاني الخفية التي لا تنجلي إلاّ لأهل البرهان. والتأويل هو الطريقة المؤدية إلى رفع التعارض بين ظاهر الأقاويل وباطنها.

والتأويل عند (ليبني) مرادف للاستقراء منها إلى الملة الأولى، وهي الله. وما يسميه الفيلسوف استقراء يسميه الفيلسوف استقراء يسميه اللاهوتي تأويلا. والغرض من الطريقتين معرفة بواطن الأشياء"[1]، ومن هذا فإنّ "صليبا" يتقدّم خطوة ليجعل التّأويل ك. الهرمسيّة. تأويلاً فلسفيًّا و دينيًّا، غير أنه أكثر عمقًا من سابقيه، إذ بالتأويل ينكشف التعارض ويتلاشى، إنّه إذن "الفهم" أو الطريق المؤدّية إليه، انتهاءً. اتّكاءً على ليبنيز. إلى أن الاستقراء و التأويل شيء واحدٌ، الفرق بينهما هو التّمثّل، فإذا كان التّمثّل و الميدانُ لاهوتيّا، نعتناه بـ "التّأويل"، و إذا كان فلسفيًّا وسمْناهُ بـ "الاستقراء"، وبذلك يهيّؤنا "جميل صليبا" لما سيحدث في الممارسة التأويلية الّتي تحاول الرّهان على الشقّ التّأويليّ الدّينيّ أو اللاّهوتيّ، والشّقّ الثّاني الفلسفيّ، ممثّلا في "الفينومينولوجيا" و"التّفكيكيّة"، وغيرها.

أمّا "مراد وهبة" فيناقش المصطلح هو الآخر، وينتهي من حثه إلى أنّه:

"تأويل" Interpretation; Interprétation

لغة: الترجيح والرد، والتفسير، والتدبر وحسن الخلق.

واصطلاحا: رد الشيء إلى الغاية المرادة منه علمًا كان أو عملاً.

وهو عند ابن رشد "إخراج دلالة اللفظ .....وأول من عرض مسألة التأويل عند ابن رشد هو المستشرق الاسباني Alonsoفي كتابه: El Tàwily. Y la Herméunitica secra de Avorroés. Per Al- Andulus. Tom7. 1942.p.127.151

ونظرية ألنسو تستند إلى أربع نقاط:

الوحي الإلهي لا يلتزم بالضرورة وجود أسرار.

مبادئ الميتافيزيقا فاشلة في فهم العقائد.

ابن رشد لا هو عقلاني ولا هو أدري.

و في رأي كوريان لا يمكن فهم ابن رشد من غير مفهوم التأويل.

والتأويل غير التعليم الباطني Esotérisme ولكنه مثل الباطنية في التفرقة بين الظاهر والباطن، وبين الخاصة والعوام.

التأويل والتنزيل متلازمان عند الشيعة. التنزيل هو ألفاظ الوحي كما أملاها جبرائيل والتأويل هو العودة إلى الأصل، إلى المعنى الحقيقي.

استخدمه آباء الكنيسة للدفاع عن المسيحية في مواجهة أعدائها والهراطقة. وتأثر فيلون بالتراث اليوناني في الفهم المجازي لشعر هوميروس وهزيود. واستعان أوريجانوس بالمجاز على نحو ما هو وارد لدى فيلون فميز بين ثلاثة مستويات في شأن المعنى في الإنجيل: الحرفي والخلقي والروحي أو الصوفي (De Principiis. Iv.16.18.20)

التوزيع والتّصدير، القاهرة، 2004)، ص46.

1-صليبا، جميل، المعجم الفلسفيّ، (دار الكتاب اللّبنانيّ، بيروت ، 1982م)، ص: 234.

أمّا توما الاكويني فلم يفرق بين المعنى الحرفي والمعنى المجازي.

أمّا أوريجانوس فقد ارتأى أن النص الإنجيلي ينبغي أن يكون على أعلى مستوى من المعنى وهو المستوى الروحي.

يرفض Cruz Hermandez لفظ شرح"Commentary"ويؤثر لفظ قراءات " Readings " ليدل على تأويلات ابن رشد لأعمال أرسطو"[1]، لا شكّ أنّ الانطباع الّذي نجده بعد الاطّلاع على هذا الكلام، هو أنّ "مراد وهبة" يستثمر جهد سابقيه ويحاول جمعه، والانطلاق منه إلى الجديد، وهو ما يُحب له، مع أنّه لم يضف على ما قاله أسلافه، إلاّ انّه فصل بين التّأويل وتأويل يسمّيه "التّأويل الإشاريّ" أسند إليه تأويل الكتب المقدّسة، وهو:

"تأويل إشاري: Anagogic interpretation, Anagogique: تأويل الكتب المقدسة تأويلاً رمزياً يشير إلى معان خفية"[2].

وليس بعيدا عن هذا يقف "جلال الدّين سعيد"، ويضيف حين ينتهي إلى أنّ:

التأويل: Interprétation:

هو استخلاص المعنى الكامن انطلاقًا من المعنى الظاهر، أي أنه، بعبارة أخرى، الانطلاق من المعاني المجازية بحثا عن المعاني الحقيقية. ومن أهم المجالات التي يمارس فيها منهج التأويل النص الديني الحافل بالرموز والاستعارات والذي لا يخلو في كثير من الأحيان من الغموض والتناقض الظاهري. لكن منهج التأويل ينصبّ أيضا على نصوص أخرى غير النص الديني، فنجد التأويل كذلك الطريقة المثلى التي يعتمدها التحليل النفسي لسبر أغوار اللاشعور انطلاقًا من معاينة التصرّفات اليومية العادية (من النسيان والزلّات والهفوات إلخ) ومن تفسير الأحلام.

"إذن فالقاعدة العامة التي نضعها لتفسير الكتاب هي ألا ننسب إليه أية تعاليم سوى تلك التي يثبت الفحص التاريخي وعمّا ينبغي أن يكون عليه، وما ينبغي أن يعرفنا به أساساً:

يجب أن نفهم طبيعة اللغة وخصائصها التي دوّنت بها أسفار الكتاب المقدس والتي اعتاد مؤلّفوها التحدث بها. وبذلك يمكننا فحص كلّ المعاني التي يمكن أن يفيدنا النص حسب الاستعمال الشائع

يجب تجميع آيات كلّ سفر وتصنيفها تحت موضوعات أساسية عددها محدود، حتى تستطيع العثور بسهولة على جميع الآيات المتعلقة بنفس الموضوع، وبعد ذلك تجمع كلّ الآيات المتشابهة والمجملة، أو التي يعارض بعضها البعض.

يجب أن يربط هذا الفحص التاريخي كتب الأنبياء بجميع الملابسات الخاصة التي حفظتها لنا الذاكرة. أعني سيرة مؤلّف كلّ كتاب وأخلاقه والغاية التي كان يرمي إليها ومن هو وفي أيّ مناسبة كتب كتابه وفي أيّ وقت ولمن وبأيّة لغة كتبه"[3]، في هذا التأثيل الأخير يقدّم لنا "جلال الدّين سعيد" طرحًا كالّذي سبقت الإشارةُ إليه ملخصًا إياه،ويُعقِبُه بأهمية التأويل، وبحضوره في ميادين كثيرة منها اليومي، و التحليل النفسي، والدين برؤيةٍ فلسفيةٍ يقصرها على فيلسوف له باعٌ في ميدان اللاهوت والكتاب المقدس، ألا وهو "سبينوزا"، يعرض من خلاله لصعوبة التأويل باعتباره ممارسة

1- انظر: وهبة، مراد، المعجم الفلسفيّ، (دار قباء الحديثة، القاهرة ، 2007م)، ص: 158. 160.

2-المصدر نفسه، ص :160.

3-جلال الدّين سعيد، معجم المصطلحات و الشّواهد الفلسفيّة،(دار الجنوب القديم، تونس، 1994)، ص: 91-90.

لا تنظيرا يستوجب أركيولوجيا آليّةً وتقنيّةً، لفحص الكتاب المقدّس، وتنخيله، ليكون التّأويل صحيحًا وهو يستند للمعلوماتِ الصّحيحة لا المنحولة. وكلّ هذا سيكون -مع تعديلاتٍ لا تمسّ الجوهر-مدارَ التأويل في الفكر الغربي الحديث والمعاصر.

المبحث الثالث: مقاربة مصطلح التأويل في الفكر الغربي:

لم يكُ مصطلح (التّأويل) في الفكر الغربيّ يُعرف إلاّ بـ (الهرمينوطيقا- Herméneutique) " وهي مشتقّة من الفعل الإغريقيّ "Hermeneuein"، وهو فعل يدلّ على عمليّة كشف الغموض الذي يكتنف شيئًا ما، أو إعلان رسالة وكشف النقاب عنها[1]. يشتق الفعل من اسم الإله الإغريقي هرمس (Hermes) وهو إله متعدد المواهب: فهو رسول الآلهة، وإله الحدود، وإله التجارة، وصانع القيثارة"[2]. ومن هذا نجد أنّ مواهب هرمس قِوامها سمتان اثنتان هما:

الوساطة بين الحروف؟

والقدرةُ على استخدام الحيل روْمًا للوصول إلى الهدف المنشود الذي قد يكون الفهم، لتتم عملية التواصل.

ومِن ثمّة فهاتان خصلتان مهمّتان للوصول إلى الكشف عن الغموض الذي يدل عليه اللفظ الإغريقي (Hermeneue)، الّذي منهُ اشتقت الكلمة الإنجليزية (Hermeneutics)، والتي اعتاد الباحثون العرب، ودرجُوا على ترجمتها ومقابلتها بمصطلح "الهرمينوطيقا"، وهي في أبسط تعريف" وصفٌ للجهود الفلسفيّة التحليلية التي تهتم بمشكلات الفهم والتأويل"[3].

وعلى كل الذي سبق ويلحق تقوم الهرمينوطيقا في الفكر الإنساني، والغربي خاصة على فلسفة التغلغل و التعمق إلى الما وراء، أي ما وراء ظاهر التعبيرات والعلامات والرموز للكشف عن المعاني الممبثوثة المتوارية، والجوانب غير المتعينة من الخبرة "L'experience"،التي استطاع الإنسان خلال الثقافة أن يتجاوز بها، أو أن يخرج من ربقة "الهنا" و"الآن"[4]، في محاولة لفهم المجهول بالمعلوم، أو الغائب بالشّاهد،أو الحاضر بالغائب -على حدّ تعبير دريدا - فجوهر عملية التأويل في الفكر الغربيّ تقوم أساسًا على الكشف عمّا يكمن خلف الأشياء الظاهرة من دلالات ومعانٍ، ومحاولة سبر غوْر الغموض اللاّئح خلال ظاهر النصوص، سبرًا يتعمّق بُناها الداخليّة، والبحث عن الحقائق المضمرة في النصوص، وربّما المطموسة لاعتبارات تاريخية ومذهبية، نقول هذا الكلام معبّرين عن أنّها اللّحظة الّتي يسجم فيها سؤال التأويل، وسؤَالَ التّفكيك.

فالتّأويليّة أو ما يُطلق عليها "هرمينوطيقا" تطلقُ -بدايةً-على كلّ تلك الاتجاهات التي يعتنقها بعض الفلاسفة والمفكرين الغربيين، وهم يولون الاهتمام الخاصّ لمشكلات: الفهم، والتّأويل والتّفسير. فالكلمة كلمةٌ جامعةٌ تعني ذلك كلّه، إذ أنّ اللفظ اليوناني يشير في وقت واحد إلى "الهرمسيّة" الّتي هي الكلام والتّفسير في آنٍ، مما قد يعني أنّ الكلام هو الطّريقة التّي يفسر بها الإنسانُ أفكاره

1-أحمد زايد: "التأويل والظاهرة الاجتماعية"، مجلة: التسامح، وزارة الأوقاف الشؤون الدينية، سلطنة عمان، عدد11، صيف 1426هـ، 2005م، ص: 152.

2- انظر: بيار ريمال: الميثولوجيا اليونانية، تر: هنري زغيب، (منشورات عويدات، باريس، 1982)، ص:51-50

3 - المرجع نفسه، ص51.

4-انظر: أومبرتو إيكو، العلامة.تحليل المفهوم و تاريخه.، تر: سعيد بنكراد، مراجعة: سعيد الغانميّ، (المركز الثّقافيّ العربيّ، الدّار البيضاء، المغرب، ط2، 2010)، ص19.

للآخرين، فهي تعني "هرمينوطيقا" في الاستعمال الفلسفيّ، و المعجميّ تفسيرَ النّصُوص، و إن كانت لا تخرج عن نطاق تفسير النّصوص اللاّهوتيّة، إذ كانت مرتكزة على القواعد والآليّات و الخطوات الّتي ينبغي لمفسّر النّصّ "الكتاب المقدّس" سلوكَها.

وسيظلّ هذا الفهمُ هو السّائدَ المقتصرَ على اللاهوتيّات، والتي منها البروتستانتيّات تحدِيدًا، إلى حين مجيئ "شلايرماخر""Schleiermache"، الّذي يُنسب له، ويُحسبُ نقلُ المصطلح من الاستخدام اللاهوتيّ الضّيّق، إلى دائرة أوسعَ يصيرُ معها فنًّا أو عمليَّةً لعملية للفهم بكلّ ما تستوجبه من شروط و مقدّمات و مراحل للوصول إلى تحليل النّصّ[1].

وأساس نظرة "شلايرماخر" أن النص هو ذلك الوسيطُ اللغوي الذي ينقل فكرَ المؤلف إلى القارئ[2]، وعلى ذلك فهو يشير إلى جانبين اثنيْن: لغوي يخص اللغة بكاملها. ونفسي قوامه العلاقة الرابطة بين الذات المبدعة،و الذات المتلقية[3]. وعلى ذلك تغدو عملية التأويل متنائيةً عن مجرّد تفسير أيٍّ كان، إلى مسألة تتعقّد كلما تقدمت الكتابة وتقدم الزمن، وهو ما يراه"شلايرماخر" داعيًا لوضع قواعد الفهم التي أساسها اللغوي والنفسيّ[4].

وهنا - من دون شكّ- تكمن قيمة هرمنيوطيقا "شلايرماخر" الذي استطاع أن يتعد الانطباع، إلى عملية المنهجة العامة التي تخضع للعقل والقانون، الذي يرى أن شكل التعبير لا بُدَّ يعكس الروح العامة للثقافة، وهذا ما صار يجهل من "الهيرمينوطيقا منهجًا مستقلاّ له حدوده وقوانينُه، وآليّاته ومنطلقاتُه[5].

ومن ثَمَّ تصير مسؤولية التأويل مسؤوليّةً دلاليّة تفرضها العلامةُ بقوانينها، بل بوجودها أساسًا، وذلك باعتماد وسيلتين هما: عملية تجريد المعنى، أو إخراجِه من سياقه، ثمّ وضعه في سياق جديد. باعتبار التّأويل نظرية للمعنى المتعدّد. حسب "ريكور" و غيره ،. وإن تدَخَّلَ السِّياقُ في إنتاج هذا التّعدّد، أليس يقول (أي ريكور): "سوف أنطلق من التعريف الذي يعتبر الهييرمينوطيقا فنا لتأويل النصوص. فعندما تؤدي المسافة الجغرافية والتاريخية والثقافية التي تفصل النّص عن القارئ إلى وضعية انعدام الفهم، والتي لا يمكن تجاوزها إلا في إطار قراءة متعددة، أي في إطار تأويل متعدد الأبعاد، آنذاك يصبح وجود فن مخصوص أمرا لازما. وبهذا الشرط الأساسي يغدو التأويل باعتباره موضوعا مركزيا للهيرمينوطيقا، نظريّةً للمعنى المتعدّد"[6].

1-المرجع السابق، ص: 20.

2. Interpréter et traduire la pensée , Réflexions à partir de Schleiermacher, "Conférence inédite, Journée d'étude La traduction philosophique, Centre d'étude des systèmes, Faculté de philosophie, Université de Lyon 3, Lyon, 30 mars 2001"p4.

3- انظر: مختارلزعر، "المصطلح النّقديّ Hermenetics، بين خلفيّة الفكر الغربيّ وواقع التّصوّر العربيّ"، مجلّة النّدوة الدّوليّة الثّانية، قراءة التّراث الأدبيّ واللّغويّ في الدّراسات الحديثة، جامعة الملك سعود، قسم اللّغة العربيّة، شبه الجزيرة العربيّة، 2014، ص785 وما بعدها.

4-المرجع نفسه، ص: 788.

5-انظر: نصر حامد أبوزيد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، (المركز الثقافي العربي، بيروت. الدار البيضاء، ط7، 2005)، ص: 156.

6-بول ريكور، "البلاغة والشعرية والهيرمينوطيقا، تر: مصطفى النحال"، مجلة فكر ونقد، المغرب، العدد 16، فبراير 1999، ص: 113.

والفضل لا شكّ يرجع إلى "شلايرماخر" في أنّه أوّلُ من عمل على توسيع الدلالة، وإن لم تسلم نظريَّة "شلايرماخر" من النقد، بسبب ما وضعه من قانون يحتم على القارئ –عند تفسير النّصّ – أن يتناءى، وأنْ يتباعد عن ذاته، وعن أفقه التّاريخيّ الرّاهن، حتّى يتسنّ له أن يكون موضوعيًّا ويفهمها فهماً موضوعيًّا تاريخيًّا، خلال موضعة نفسه محلّ المؤلف، إذ رأى فيها البعض الاستحالةَ المنطلقة مِنْ اللاّواقعيّة[1]، وهو ما سيعمل التّأويليّون اللاّحقون من قبيل: "ويلهلم ديلتي""Wilhelm Dithey" و"هايدغر" "Heidegger" و"غادامير""Gadamer" على تجاوزها.

فلم يتوقف في هذه المرحلة تطوّر الرؤيا التأويلية عند آراء "شلايرماخر" "Schleirmacher" بل تعدّتها إلى آراء "ويلهلم ديلتاي" "Wilhelm Dilthey"، ولقد تميّزت نظرتُه التّأويليّة بانجذابها نحو مصطلحاتٍ أهمّها: "النّوايا" و "التّقمّص العاطفي" و"الذاكرة" و"خبرة القراءة"، وهي الّتي -وفق "ديلتاي"-"منطلقةً من مقولة أن فهم أي تعبيرٍ ثقافيٍّ تجود به قريحةُ الكائن البشري، لا يمكنُ أن يكون إلا بتقمصٍ عاطفيّ لهذا التعبير، ويرومُ ذلك ويرمِي إلى إقامةِ التعبير الثقافي على أساس منهجي يختلفُ عن أساس العلوم الطّبيعيّة المنهجيِّ، من خلال فارق جوهريٍّ مائزْ، ينطلقُ من اعتبارٍ مفادُه أن مادة العلوم الإنسانية هي العقول البشرية، وهي المادّة المُعطاةُ سلفًا، وليست مشتقة من الطبيعة، بخلاف مادة العلوم الطبيعية، وعليه فإنّ العلوم الروحية تجد مفتاح العالم في نفسها وليس في خارجها[2].

فالأساس المعرفي الجديدُ الذي يقترحه "ديلتاي" يتأسس على التجربة الذاتية، التي هي المقابل الموضوعي للتجربة في العالم الخارجي بالنسبة للعلوم الطبيعية. وهي الشرط الضروري الذي لا يمكنُ لأي معرفةٍ أن تتجاوزه ما دامت مشتركًا عامًّا بين البشر، ومن هنا يصير من اليسيرِ، بل من المتيسِّر الإدراكُ الموضوعيُّ القائمُ خارج الذات[3]، ومِن ثمّة يصيرُ التعبير السمة أو العنصر الحاضرَ في كل سلوك اجتماعي وتعبير ثقافي سواءً كان نصًّا مكتوبًا أو شفهيًّا.

وعلى كلٍّ فنظريّة "ديلتاي" تقوم على أن "الهرمينوطيقا" لا تعني عملية الفهم لشيء معطًى سلفًا،بل إنّ هناك شراكةً بين المتلقّي والنّصّ الأدبيّ هو تجربة الحياة "vie Experience de la "، هذه التجربة ذاتية عند المتلقي، ولكنّها تحدِّد له الشروط المعرفية التي لا يستطيع تجاوزها. وهي تجربة موضوعيّة باعتبارِ الميدان المختلِف.

وغير بعيد عن "ديلتاي" يقفُ "مارتن هايدغر" "Heidegger"، إذ يحاول السيرَ على نهجه متجاوزًا بعد التّفاصيل المنهجيّة السّيمتريّة الصّارمة الّتي يؤسّس على ضوئها "ديلتاي". فمنهج "مارتن هايدغر" يكشف عن الحياة من خلال الحياة نفسها، معتمدًا على الوجود الإنساني، إذ الفهم عنده هو قدرة إدراك الذات للوجود في سياق حياة الشخص، ووجوده في العالم. ففهم الوجود بما هو موجود هو أساس "الهرمينوطيقا" عند " هايدغر"،ألسنا نراهُ يقول: "إنّ التّجربة الجماليّة الخاصّة لا تستطيع أن تغضّ الطرف عن طابع العمل الفنّيّ، فالحجر موجود في العمل الفنيّ المعماريّ... والصّوت موجود في العمل الفنيّ اللّغويّ، واللّحن موجودٌ في العمل الفنيّ الموسيقيّ، فالطّابع إذن لا

1-انظر: نصر حامد أبو زيد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، ص:23.

2-المرجع نفسه، ص24. 25.

3-المرجع نفسه، ص: 25.

يتزحزحُ عن العمل الفنيّ، حتّى إنّنا لنكاد نقول العكس حتمًا؛ يغلب على الظنّ أنّ السّؤال عن ذلك سيكون زائدًا عن اللّزوم ومُربكًا، لأنّ العمل الفنيّ شيء آخر بعد أن يتجاوز الشّيئيّ....العمل الفنيُّ شيءٌ مصنوعٌ، ولكنّه يقول شيئًا آخر غير الشيء المجرد في ذاته... العمل يُعرف بآخره علنًا، يوحي بشيء آخر، إنّه المجاز، ومع الشّيء المصنوع يُجمع في العمل الفنيِّ شيءٌ آخر... العمل الفنيُّ رمزٌ. المجازُ والرّمزُ يقدّمان إطارَ التّصوّر، الّذي يتحرّك في مجال رؤيته وصف العمل الفنيّ"[1].

وهو في الوقت ذاته أساسٌ للُّغة والتّأويل، إذا علمنا أنّ التأويل "هو عبارة عن إضفاء الصراحة على الفهم، لأن الفهم متقدّمٌ على التأويل فيكون التأويل مبنيًا على أصل الفهم"[2].

وفي ما يتعلّق بـ"غادامير" "Gadamer" فقد نهج نهْج "ديلتاي" و"هايدغر" غير أنّه أضفى على ذلك الفضاء جديدًا وشيئًا من الاختلاف. فصار الفهم عنده لا يشير إلى علم التّأويل أو قواعده، ولا إلى ذلك منهج العلوم الإنسانية المعرفي كما هو عند "ديلتاي"، فهو عنده فعلٌ فلسفيّ، مرتكِزٌ على عمليّة الفهم، وإمكانيّة حدوثه. فهو يري أن الفهم فعل تاريخي، انطلاقًا من نظرة يشوبها شيء من الهيغليّة[3]، بمعنى أن النص لا يفهم إلا في سياق متطلبات العصر، ولهذا فإن الفهم يرتبط دائمًا بالزمن الحاضر، ولا وجود له خارج التاريخ، وأن المفسر له فهم خاص يختصّ بعصره يجب أن لا ينفك عنه، بل لا يستطيع ذلك[4].

وحين كانت مهمّة العمليّة التأويلية تتمركز حول الواقع وحركيّته في علاقته بالإنسان في سياق تاريخيّ متغيّر، كان التّأويلُ عمليّة متمركزةً حول الواقع وحركيَّات النّصّ في علاقته بالمتلقّي، ومِن هنا يبدأُ الاهتمام بدور القارئ في دراسة النص الأدبي، هذا الاهتمامُ الّذي سيشغل حيزًا ذا أهميّة في الدراسات الغربيّة المعاصرة، منذ تربّع مقولة الإنسان على العرش الفلسفيّ الغربيّ وقد اختلفت نظرة هذه المدارس إلى القارئ باختلاف منطلقاتها وتوجّهاتها، فلم تعد العلاقة علاقة منتج بمستهلك، إذ أنّها شيئا فشيئا صارت تتعدى ذلك إلى حدود التفاعل والمشاركة، فلم يعد القارئُ مستهلكًا، ولم يعد النص يسطيعُ السلطة على القارئ، بعد أن صار القارئ هو الآخر قادرًا على بسطِ سلطته على النّص، والدّخول إلى عالمه، مالئًا فجواته، سائرًا به إلى مدًى أبعد من مدَى صاحبه الأوّل، وصار التسلّط تجاذُبًا و شراكةً[5].

لقد أدركت الدراسات التي تتعامل مع النص تنظيرًا وتطبيقًا أن المنتج يدعو القارئ لتقبل العمل، ودون هذا التقبل لا وجود للنص ولا مبرر لمشروعيته. فالتلقي أصبح عنصرًا مهما في دراسة النص وتأويله؛ لأن دراسة النص دون تفاعل بين النص والقارئ تغدو دراسة مبتورة وناقصة، مما يعني أن النص في حقيقته نصان: نص ظاهر تفيض به اللغة، ونص خفي تفيض به قريحة القارئ/ المتلقّي،

1-مارتن هايدغر، أصل العمل الفنيّ، تر: أبو العيد دودو، (منشورات الجمل، كولونيا، ألمانيا، ط1، 2003)، ص62. 63.

2-مشيل باسل عون، الفسارة الفلسفية بحث في تاريخ علم التفسير الفلسفي الغربي، ، الفصل الخامس: "فسارة هايدغر"، (دار المشرق، ، بيروت، سلسلة المكتبة الفلسفية ،ط1، 2004)، ص: 254.

3-انظر: عادل مصطفى، فهم الفهم ، مدخل إلى الهيرمينوطيقا، . نظريّة التّأويل من أفلاطون إلى جادامر . (دار رؤية للنّشر والتّوزيع، القاهرة، ط1، 2007)، ص278 و ما بعدها.

4-انظر: هانز جورج غادامير، الحقيقة و المنهج، . الخطوط الأساسيّة لتأويليّة فلسفيّة . تر: حسن ناظم، علي حاكم صالح، مراجعة:جورج كتورة، (دار أويا للطباعة و النّشر و التّوزيع و التّنمية الثّقافيّة، طرابلس، ليبيا، ط1، 2007)، ص:311.

5-انظر: سوزان روبين سليمان و إنجي كروسمان، القارئ في النّصّ. مقالات في الجمهور والتّأويل. تر: حسن ناظم و علي حاكم صالح، (دار الكتاب الجديدة المتّحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2007)، ص39.

حين صرنا عاجزين وغير قادرين على تحديد المبدع الأكبر إذا ما أردنا المقارنة بين المبدع والقارئ، حيث ظهرت بذلك مقولةُ اللاّتحديد"Indeterminacy"[1].

فعلى القارئ يُناطُ "دورٌ مهم وفاعل في الكشف عن أسرار النص ومعانيه التي لم يبح بها بشكل مباشر، وهذا الكشف لا يمكن أن يتم إلا بالتفاعل الواعي، والعميق بين النص والقارئ. فالعمل الأدبي بخصائصه الأسلوبية واندراجه التاريخي ضمن جنس أو نوع إنما يتحدد باستقباله وما يتحقق جماليًا بالقراءة، وتلك مهمة المتلقي الذي يذهب إلى النص بتراكمه المعرفي، فيكشف عبر هذا التفاعل كوامن العمل الأدبي التي تفتقدها في الدراسات التي تقف عند حدود التقبل دون أن تتفحصه"[2].

وهكذا يتضح أن النص الأدبي نسيج من الألفاظ المرتبة ترتيباً يفضي إلى معنى، ومن ثم فهو ممارسة دلالية، بمعنى أنه يقيم معنى ويؤسس مرجعية، أي يحيل على العالم الخارجي ، بما فيه من أشياء وأشخاص ووضعيات وما إلى ذلك .... على حدّ تعبير "رولان بارث".

وممّا يجب تأكيده أنّ مسألة التّأويل قد عرفت ثلاث حلقات لا تزال كلّها موجودةً:

حلقة التّأويل و الدّين.

حلقة التّأويل و الفنّ أو التّأويل الجمالي للوجود.

حلقة النّصّ الأدبيّ كنصّ تأويليّ متعالٍ، بظهور "نظريّة التّلقّي الّتي استلهمت البعد الفلسفيّ الهيغلي والنيتشويّ والهيدغريّ.

ومن أبرز دارسي هذه الحلقة الثّالثة ومنظّريهم "فلفغانغ إيزر" Wolfgang Iser " و"هانز روبرت ياوس" "Hans Robert Jauss" وهما اللّذان أسّسا مدرسة "كونستانس" التّأويليّة النّقديّة الألمانية[3]، غير أنّ التّأويل والنّصّ الأدبيّ لم يقف عليهما فقط،-وإن اختلفت الرّؤية والتّوجّه -إذ نجد من أعلام الفكر السيميائي الغربيّ "رولان بارت" "Rolan Barthes" و"ريفاتير" " M.Riffaterre" الفرنسيانّ، و"أمبرتو إيكو" "Umberto Eco" الإيطاليّ، ويرى "آيزر" أنّ للعمل الأدبي قطبيْن يمكن عدُّهما قطبيْ العمل الأدبيّ، وهما: القطبُ الفنّيُّ والقطب الجماليُّ، إذ القطب الفنّيُّ هو نصّ المؤلّف، أمّا القطب الجماليُّ فهو ذلك الإدراك الّذي يضطلع به القارئ للنّصّ، ومن خلال الحوار النّاشئ بينهما،أو الدّيالكتيك الفنّيّ الواعي يتشكل الأثر الجمالي"L'œuvre esthétique". فالعمل الأدبيّ -في الأخير- "ليس نصًّا تمامًا، وليس ذاتية القارئ تمامًا، ولكنه يشملهما مجتمعين أو مندمجين"[4].

فالتواصل بين الكاتب والقارئ داخل النص حسب مفهوم إيزر له هو "عملية لا يحركها أو ينظمها قانون مسبق، بل تفاعل مقيد وموسع متبادل بين المعنى الواضح والمعنى الضمني، بين

1-انظر: المرجع نفسه، ص: 40.

2 - الجوديّ، لطفي فكري محمّد، النّصّ الشّعريّ بوصفه أفقا تأويليًا، ص: 33.

3-مدرسة (كونستانس)من أشهر المدارس النقدية التي ظهرت في ألمانية، في الستينات وأوائل السبعينات من القرن الماضي، والتي توجهت بأكبر محاولة لتجديد دراسات النصوص، على ضوء القراءة والتلقي، وينادي رائداها، هانز روبرت ياوس، وفولفغانغ أيزر، بالانتقال في الدراسة، من العلاقة بين الكتاب ونصه، إلى العلاقة بين القارئ والنص، انظر: محمود عباس عبد الواحد: قراءة النص وجماليات التلقي بين المذاهب الغربية الحديثة وثراتنا النقدي . دراسة مقارنة .، (دار الفكر العربي، ، القاهرة، ط1991،6م)، ص 27 وما بعدها.

4- انظر: محمد خرماش: "النّص الأدبيّ وإشكاليّة القراءة والتأويل"، مجلّة قراءات، بسكرة. الجزائر، السنة 2010، العدد 12، ص19 وما بعدها.

الكشف والخفاء. إن الشيء الخفي يحرض القارئ على الفعل، ويكون هذا الفعل مضبوطاً بما هو ظاهر، ويتغير الظاهر بدوره عندما يخرج المعنى الضمني إلى الوجود، وكلما سد القارئ الثغرات بدأ التواصل، وتعمل الثغرات كالمحور الذي تدور حوله العلاقة بين القارئ والنص"[1].

أما "هنس روبيرياوس" فيستفيد من تيارات معرفية مختلفة في فهم عملية القراءة، ويدافع عن الإنجاز المرتقب من خلال التفاعل الخلاق بين النص والقارئ، بين ما هو قائم وما هو متوقع؛ وذلك بتقدير المسافة الجمالية بين عالم النص وعالم القراءة، أو بين عملية تحطيم أفق كائن وبناء أفق ممكن، من خلال تشغيل مفاهيم (الشعرية - Poésis) و(الإدراكية - Aisthésis) و(التطهيرية - Ca-tharsis) وما إلى ذلك[2]، أمّا "رولان بارت" فيرى في الومضات المثيرة للمعاني جاذبية مغرية تستدرج القارئ للوقوع في غواية رقص الكلمات الهاربة والاستمتاع بلذة النص وعذاباته، فتتفجر الهوية (القرائية) الآمنة[3].

ويلحُّ "ميشال ريفاتير" على ثنائية الصّلة بين النّصّ والمتلقّي: قائلاً إنه "لا يقفُ تشكّل الظاهرة الأدبية على النص، فحسب، بل تتشكل كذلك من القارئ أو ردود الأفعال الممكنة التي يبديها حيال النص – الملفوظ والتلفظ"[4]. وينفي أن يكون للمؤلف علاقة بالنص، ففي الظاهرة الأدبية "تكمن العلاقات بين النص والقارئ، وليس بين النص والمؤلف، أو بين النص والواقع"[5].

ومعنى هذا أنّ التّعبير الثّقافيّ، والأثر الفنّي، أو النّصّ الشعري يملكُ طاقة خاصة، تختلف عن الدلالة المعتادة. وبناء على ذلك، فإن هذا المنحنى النقدي يخالف ما كان متداولا في التراث، حيث يعالج النصّ الخارج، كما يرى ريفاتير، وأن الخطوة العادية لإدراك الرسالة ومقاربتها من المتلقي، هي الانطلاق من الداخل إلى الخارج[6].

وتزداد أهمية المتلقي عند "ريفاتير"، فيربط بين جماليات النص ومتلقّيه، ربطًا أسلوبيًّا و فنّيًّا، ضمن مقصديّة يحتملُها عُرف النّصِّ، فيقول: "لا يكون النص أثرًا فنيًا، إلا إذا فرض نفسه على القارئ، واستثار وجوبًا رد الفعل، وضبط بشكل ما سلوك من يتولى فك رموزه"[7]، وعلى ذلك فنحن أمام مسنِّن L ' encodeur، ومفكّك لهذا السّنن، واعٍ به، ومكمِّلٍ ما به من فراغاتٍ، ولذلك نكون أمام أنواع من القارئين:

القارئ المُخبِر "L'informateur": وهو القارئ الذي يخبر -عند "ريفاتير" -عن وجود أحداث أسلوبيّةٍ في النّصّ، وما يهمّ الباحثَ الأسلوبيّ ليست الاستجاباتُ، وإنّما المثيرات، أي التّراكيب

1- انظر: فيرناند هالين، فرانك شويرفيجن، ميشيل أوتان، بحوث القراءة و التلقّي. فصل: من التّأويليّة إلى التّفكيكيّة .، تر: محمد خير البقاعيّ، (دار النّشر، دوكولو، باريس، 1987)، ص19 .20.

2-المرجع نفسه، ص16 .17.

3-المرجع نفسه، ص 17 .

4-نقلاً عن: مصطفى درواش: خطاب الطبع والصنعة –رؤية نقدية في المنهج والأصول، (منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا 2005)، ص279.

5-المرجع نفسه، ص:280

6-المرجع نفسه، ص 279، أو انظر: فريدة بوساحة، "القارئ و بنية النّصّ"، مجلّة العلوم الإنسانيّة، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، نوفمبر، 2006، ص:278.

7-ميكائيل ريفاتير، معايير تحليل الأسلوب، ترجمة، تقديم، و تعليقات: حميد لحميدانيّ، (منشورات دراسات. سال، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1993)، ص: 25 26-.

النّصيّة، حيث يُطلب من القارئ المخبر تسطير كلّ ما يشدّ انتباهَه...[1].

القارئ الأعلى: هو قارئ استكشافي داخل عالم التّراكيب، ونسيجٌ نصيٌّ بنيويّ لثنائيّات متضادّة متضَمّنَةٍ في النّصّ، وهو وسط حقيقيّ بين قارئيْن، "القارئ المتوسّط""Le Lecteur Moye" و"القارئ المتفوّق" "Le Sur Lecteur "، فالقارئ المتوسّط قارئ سطحيّ، والمتفوّق يخرج بالنّصّ إلى معارفه، وثقافته الواسعة، ولذلك يكون الوسط الّذي هو القارئ الأعلى هو الأحسن والأجمل.

وعلى ذلك فالقارئ هو المؤوّلُ على رأي "فولفغانغ إيزر"حيث يقول: "إنّ مُهمّةَ المُؤوّلِ.. يجبُ أن تكُونَ هيَ توْضِيحُ المعاني الكامنةِ في النّصّ، وينبغي أن لا يقتصر على معنًى واحد فقط، فمن الواضح أنّ المعنى الكامنَ الكليَّ لا يمكنُ أبدًا إنجازُه من خلالِ عمليّة القراءة، ولكنّ هذا الأمرَ ذاتَه هو ما يجعلُهُ أكثرَ جوهريَّةً إلى حدِّ أنّ المرءَ يجب عليه أن يتصوّر المعنى كشيءٍ يحدُثُ، لأنّنا آنئذٍ فقط ندرك تلك العواملَ الّتي تكون شرْطًا سابقًا لتكوين المعنى، وحتّى لو كان المعنى المُحقَّقُ في كلّ حالةٍ على حدةٍ معنًى فرديًّا، فإنّ فعلَ صياغتِه ستكون له دائمًا خصائصُ يمكنُ التَّأكُّدُ منها بطريقةٍ تذَاوُتيَّةٍ. والآنَ بدأ الشّكلُ التّقليديُّ للتّأويل، وهو قائمٌ على البحث عن المعنى الوحيد بإرشاد القارئ، وبالتّالي جنح إلى تجاهُل طبيعة النّصّ بوصفه حدثًا وتجربةً للقارئ، ينشّطها هذا الحدثُ في آنٍ واحد... إنّ هذا المعنى المرجعيّ لا يمكنُ أن تكونَ لهُ طبيعةٌ جماليَّةٌ، ومع ذلكَ فهو شيْءٌ جَمَاليٌّ أَصلاً، لأنّه يحملُ إلى العالَمِ شيْئًا لمْ يكُن موجودًا مِن قبْلُ..."[2].

وفي ما يتعلّق بـ"أمبرتو إيكو" فإنّه يرى أنّ فعل القراءة ليس يقوم إلاّ على أساس تنشيط للنّصّ، وأنّ ذلك يقتضي تشغيلَ الكفاءة القرائيّة، ومراقبة أمكنة التغرات الحدسية في القراءة الخطية، وبناء سلسلة المرجعيات الممكنة حسب شبكة العلاقات العاملة الموجهة لحدس القارئ وتخميناته في حركة دائبة بين معطيات الكتابة، وإمكانيات القراءة، ولذلك يقول: "إذن فالنّصّ إن هو إلاّ نسيجُ فضاءاتٍ بيضاءَ، وفُرُجاتٌ ينبغي ملؤُها، ومن يبُثُّهُ يتكهّنُ بأنّها (فُرُجاتٌ) سوف تُملأُ، فيترُكَها بيضاءَ، لسببيْن: الأوّلُ، وهو أنّ النّصَّ يمثّلُ آليّةً كسولةً (أو مقتصِدةً) تحيا مِن خلال قيمة المعنى الزّائدة الّتي يكون المتلقّي قد أدخلها إلى النّصّ؛ والحقّ أنّ النّصّ لا يُوسم باللّغو ولا يكتسِبُ تعييناتٍ لاحقةٍ إلاّ في حال بلوغه ذروةَ الحذْلقة، وذروة الاهتمام التّعليميّ أو في حالٍ من الكبْت ، إلى الحدِّ الّذي تُنتهكُ فيه القواعدُ التّحادثِيّةُ المألوفةُ، ومن ثَمَّ، فإنّ النّصّ بقدر ما يمضي في وظيفته التّعليميّة إلى وظيفته الجماليّة، فإنّهُ يتركُ للقارئ المبادرةَ التّأويليّةُ، حتّى لو غلبتْ فيه الرّغبةُ، بعامّة، في أن يكون النّصّ مُؤَوَّلاً وفق هامشٍ من الأُحاديّة كافٍ، أنّ نصًّا غالبًا ما يتطلّبُ إعانةَ أحدهم لكي يتحقّق عملُه "[3].

وبعد كلّ هذا تكون نظرية التّأويل أو القراءةِ أو التّلقّي قد تخطت النظرة الأحادية للعمل الأدبي عند هؤلاء النقاد، ومن ثَمَّةَ أصبح العمل الأدبيّ مسيرة إنتاجيّة، تحتاج في تفاعلها إلى جميع

1-انظر: المرجع نفسه، ص: 30.

2-ولفغانغ إيزر، فِعل القراءة. نظريّة جماليَّةِ التّجاوب في الأدب، تر: حميد لحمدانيّ و الجلالي الكُدية، (منشورات مكتبة المناهل، فاس، المغرب، 1995)، ص 14-13.

3-أمبرتو إيكو، القارئ في الحكاية. التّعاضد التّأويليّ في النّصوص الحكاية.، تر: أنطوان أبو زيد، (المركز الثّقافيّ العربيّ، الدّار البيضاء، المغرب، ط1، 1996)، ص 63 64-.

العناصر المساهمة في إنتاج النص، وهي "المؤلّف"+ "النّصّ" + "القارئ"، -من دون ذكر عناصر "ياكوبسون" في نظريّة التّواصل -حيث تجسّد العناصر الثلاثةُ مُثلّثَ العمليّة الإبداعيّة الأساس.

فالسلطة هنا ليست سلطة القارئ على النص فقط، ولكن للنص أيضًا دور وسلطة يمارسها على القارئ، إذ يمارس دوره في توجيه القارئ نحو القراءة المختارة. فتتحدد عمليّةُ التأويل النصّي في البحث المستمر عن شكل الفهم والاستيعاب الأمثل والأعلى، من منطلق التّذاوتِ، ومن منطلقِ أنّ كلَّ فهم يفتح طريقاً إلى التّساؤل وإلى تنشيط الفكر؛ ومن ثَمّةَ يصحُّ القولُ أو يجوزُ بتجاوز منهجيّة العلوم الطّبيعيّة القائلة بامتلاك الحقيقة كلّها، ومراجعة مفهوم التّسلسل المنطقيّ للوقائع الطّبيعيّة، واستبدال ذلك كلّه بمقولة الإنسان المتلقّي الفاعل، وبمفهوم فهم الإنسان والكون، أيْ بالمفهوم القائم على تحديد"العلامات/ الدِّلالات" سواءً على المستوى الطّبيعيّ أو على المستوى السُّلوكيّ، قصد الوصول إلى ذلك الإدراك الذكيّ العارف للقيم والمعلومات، ومن ثم الخلوص إلى ارتباط الفهم بالقدرةِ على تصوُّر الآخَر -مهما كان هذا الآخر-وقبوله بعيدًا عن المعياريّة الضّيّقةِ الثّابتة، أو الموضوعيّة المترمّتة.

وبذلك تتغذّى نظريّة التّأويل من الظّاهراتيّة /الفينومينولوجيا .Phenomenology، الرّامية إلى أنّ الإدراك يتمّ بالضّرورة عن طريق تفاعل الذّات والموضوعَ،وتجاوز معادلة الفصل بين الذّات والموضوع، التي رسختها المناهج العلمية. فالتأويل محكوم بعملية استطلاع الحقيقة السرية أو المعنى المختفي وراء الإشارات والتعبيرات المختلفة؛ "وحينما نتحدث عن تأويل النّصّ الأدبيّ، فإننا نفترض أنّ في معناه من الاتّساع والعمق أو التّعدّد ما يجعلُ القراءة الواحدةَ غيرَ مدرَكَةٍ، وغير كافيةٍ، وحتّى القراءاتُ المتعددة"[1]، إذ من الممكن أن يتخذ القارئ، أو القارئون أدوار المفسّرين في مقابلة لا تنتهي بحيث يظلون منغمسين في استكناه الشّبكة الدّاخليّة للنّصّ، وهو ما يمكن تحقُّقه ضمن العالَم الّذي تحدِّدُه اللُّغةُ، ويربطه بالعالم المتحرّك، وبالنّاس الّذين هو منهم، بلْ إنّ الإدراك يتدخّل في تشكيل النّصّ، حيث تتلاشى ثنائيّة الذّات والموضوع، وتصيران في بوتقة واحدة. على رأي صاحب كوجيتو الجسد "ميرلوبونتي"[2].

ومن ثمّةَ فإنّه يجدر القولُ إنّ هناك منعرجًا هرمينوطيقيًّا، "سيبدو في صورة من يسعى لتجذير برنامج الفينومينولوجيا وتعميق نظرتها، ولذلك فإنّه تجاذب بين حقلين كبيرين في تاريخ الفلسفة، إذ يمكن القول بأنه منعرج هيرمينوطيقيّ للفينومينولوجيا، ومنعرجٌ فينومينولوجيّ للهيرمينوطيقا، لعلّة أنّ هذا المنعرج قد وُضِع موضعَ تساؤُلِ التصور التّأسيسوي للفلسفة يمكنُنا أن نجده عند هوسرل، لا لشيء إلاّ لأنّه اكتشف تصورا أكثر أصالة، وأكثر تجذُّرًا في التجربة الهرمينوطيقية للغة. لكن من الصعوبة بمكان موقعة هذا المنعرج في تاريخ الفينومينولوجيا، فهل كان تمهيدٌ له من قِبَل "هوسرل"؟، ولم يُنجز إلاّ مع "هيدغر"؟ أم تُراهُ يتعلق بتوجّه متأخّر يُعزَى لكلٍّ من "غادامير "Gadamer" و "ريكور" "Ricoeur"؟ ذلك أنه لا "هوسرل" ولا "هيدغر" تحدثا بشكل مباشر عن "منعرج هرمينوطيقي"، بل إنّ "غادامير" و"ريكور" نفسهما لم يشيرا إلى ذلك إلا في محاولات ذات

1. محمّد خرماش ، النّصّ الأدبيّ وإشكاليّة القراءة والتأويل، ص 20.

2 -انظر: ميرلوبونتي، العين و العقل،تر: حبيب الشّاروني، (منشأة المعارف، الاسكندريّة، مصر، 1989)، ص 14 و ما بعدها.

طابع استعادي ماضوي ألفت في مجملها بعد أن أنهيا إنجاز مؤلفاتهما الهرمينوطيقية الأساسيّة[1].

ولكن لنقل إنّه المنعرج الّذي يتوافق مع منعرج قائم في فكر "هيدغر"، هو المنعرج الألسنِيُّ القائم في الفلسفة الأنجلوسكسونيّة[2]، وهكذا يمكنُ فهم المنعرج الهرمينوطيقي للفينومينولوجيا، خلال اكتشاف نسيج اللغة، انطلاقًا من تصوُّرها شرْطًا أساسيًّا لكل فكر، من منطلقٍ غاداميريٍ يسير وفقه في خطٍّ متوازووضعه لذلك التّصوّر الأداتي أو النوميناليّ (الاسمي) للّغة، حيث تصيرُ موضع تساؤل، والذي تميز بحضور لافت عبر تاريخ الفلسفة فالكلمات بالنسبة لهذا التصور الأداتي ما هي إلا تعييناتٌ يلجأ إليها العقل إذا ما قرّر الإفصاح عن أفكاره، أو أراد الإبلاغ بها، فلكأنّ التّفكير يتمّ بدايةَ الأمر لغة. وبهذا المعنى يظهر أمرُ اللغة كأنّها عنصرٌ ثانويٌّ ، إن لم نقل عنصر التباس خطيرًا بالنّسبة إلى الفكر، إلى الحدّ الّذي يشبهُ ما يسمّيه "غادامير" نسيانَ اللُّغة[3].

وليس ينبغي بعد ذلك إلاّ توفّرُ مُعطًى وحيدٍ لأيِّ فينومينولوجيا هرمينوطيقية وهو أن تعمل على تجذير فكرة القصدية حيثُ تقومُ معها بتجريد "الأنا" من دوْر الذات الذي كانت تمارسه، بوجود دازاينٍ متناهٍ يحاول الالتفاف حول معنًى متأبٍّ على الوصول إلا المآل، وممّا سبق يتضح أنّ المتلقّي قد انتقل من دور الشّارح و المفسّر، وارتفعت بذلك مسؤوليّاته حيال العملية التّأويليّة للنّصّ، إذ لم يعد عملُه مجرّدَ تلميع للنّصّ وإظهار لبريقه، وإزالة لما به من غموض، بل تعدّاه إلى البحث عن الدّلالات الممكنة، وتفتيق للعلامات الظّاهرة والخفيّة بوضع (فهم/ دلالة)، ما دمنا مع مفهوم "الانفتاح" ومفهوم "البناء الغائب" ومفهوم "الأثر المفتوح".

مصادر البحث ومراجعُه:

1- أحمد زايد: "التأويل والظاهرة الاجتماعية"، مجلة: التسامح، وزارة الأوقاف الشؤون الدينية، سلطنة عمان، عدد11، صيف 1426هـ، 2005م.

-2 الأزهري، تهذيب اللغة، دار الكاتب العربي، ج15، القاهرة 1967م.

3 . أمبرتو إيكو، القارئ في الحكاية . التّعاضد التّأويليّ في النّصوص الحكاية .، تر: أنطوان أبو زيد، المركز الثّقافيّ العربيّ، الدّار البيضاء، المغرب، ط1، 1996.

4 ـ التّأويل بين السيميائيّة و التّفكيكيّة، تر: سعيد بن كراد، المركز الثقافيّ العربيّ، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2004.

5 ـ العلامة . تحليل المفهوم و تاريخه .، تر: سعيد بنكراد، مراجعة: سعيد الغانميّ، المركز الثّقافيّ العربيّ، الدّار البيضاء، المغرب، ط2، 2010،

-6أندري لالاند ، موسوعة لالاند الفلسفيّة، المجلد الأول (A-G)، تعريب: خليل أحمد خليل، إشراف: أحمد عويدات،منشورات عويدات، باريس، ط2، 2001.

7 . بول ريكور، البلاغة والشعرية والهيرمينوطيقا، تر: مصطفى النحال، مجلة فكر ونقد، المغرب، العدد 16، فبراير 1999.

1-انظر: جان غراندان، المنعرج الهيرمينوطيقيّ للفينومينولوجيا، ترجمة وتقديم: عمر مهيبل، (منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2007)، ص: 20 21-.

2-نشير هنا إلى التّيّار التّحليليّ الّذي نشأ على يد "برتراند راسل" و "فتجنشتين".

3-انظر: هانس غيورغ غادامير، فلسفة التّأويل . الأصول. المبادئ. الأهداف .، تر: محمّد شوقي الزّين، (منشورات الاختلاف، الجزائر، ط2، 2006)، ص 23.

8. بياربيمال: (الميثولوجيا اليونانية)، تر: هنري زغيب، منشورات عويدات، باريس، 1982.

9. جان غراندان، المنعرج الهيرمينوطيقيّ للفينومينولوجيا، ترجمة وتقديم: عمر مهيبل، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2007.

-10الجرجانيّ (محمّد السّيّد الشّريف)، معجم التّعريفات، تحقيق و دراسة، محمّد صدّيق المنشاويّ، دار الفضيلة للنّشر و التوزيع والتّصدير، القاهرة، 2004.

11. جلال الدّين سعيد، معجم المصطلحات و الشّواهد الفلسفيّة، دار الجنوب القديم، تونس، 1994.

-12الجوديّ، لطفي فكري محمّد، النّصّ الشّعريّ بوصفه أفقًا تأويليًّا: قراءة في تجربة التّأويل الصّوفيّ عند محي الدّين بن عربيّ، (القاهرة: مؤسّسة المختارللنشروالتّوزيع، ط1، 2011.

13. الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج 7، دار الفكر للطباعة والتوزيع، القاهرة (د.ت).

-14الزين، محمد شوقي، "الفينومينولوجيا وفن التأويل"، مجلة فكر ونقد، المغرب، 1999م، العدد 16، ص: 71.

15. سوزان روبين سليمان و إنجي كروسمان، القارئ في النّصّ. مقالات في الجمهور و التّأويل .تر: حسن ناظم و علي حاكم صالح، دار الكتاب الجديدة المتّحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2007.

-16صليبا، جميل، المعجم الفلسفيّ، دار الكتاب اللّبنانيّ، بيروت، 1982.

-17 عادل مصطفى، فهم الفهم ، مدخل إلى الهيرمينوطيقا، . نظريّة التّأويل من أفلاطون إلى جادامر .،، داررؤية للنّشر والتّوزيع، القاهرة، ط1، 2007.

18. فريدة بوساحة، القارئ و بنية النّصّ، مجلّة العلوم الإنسانيّة، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، نوفمبر، 2006.

-19فولفغانغ إيزر، فِعل القراءة . نظريّة جماليَّةِ التّجاوب في الأدب، تر: حميد لحمدانيّ و الجلالي الكُدية، منشورات مكتبة المناهل، فاس، المغرب، 1995.

-20 فيرناند هالين، فرانك شويرفيجن، ميشيل أوتان، بحوث القراءة و التلقّي. فصل: من التّأويليّة إلى التّفكيكيّة .، تر: محمد خير البقاعيّ، دار النّشر، دوكولو، باريس، 1987.

-21 مارتن هايدغر، أصل العمل الفنّيّ، تر: أبو العيد دودو، منشورات الجمل، كولونيا، ألمانيا، ط1، 2003.

-22 محمد خرماش: "النّص الأدبيّ وإشكاليّة القراءة والتأويل"، مجلّة قراءات، بسكرة. الجزائر، السنة 2010.

23. محمود عباس عبد الواحد: (قراءة النص وجماليات التلقي بين المذاهب الغربية الحديثة وثراتنا النقدي. دراسة مقارنة .، دار الفكر العربي، ط1، القاهرة 1996م.

24. مختارلزعر، المصطلح النّقديّ Hermenetics، بين خلفيّة الفكر الغربيّ وواقع التّصوّر العربيّ، مجلّة النّدوة الدّوليّة الثّانية، قراءة التّراث الأدبيّ واللّغويّ في الدّراسات الحديثة، جامعة الملك سعود، قسم اللّغة العربيّة، شبه الجزيرة العربيّة، 2014.

-25 مصطفى درواش: (خطاب الطبع والصنعة –رؤية نقدية في المنهج والأصول)، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا2005.

26. مشيل باسل عون، الفسارة الفلسفية بحث في تاريخ علم التفسير الفلسفي الغربي، ، الفصل الخامس: "فسارة هايدغر"، دار المشرق، ، بيروت، سلسلة المكتبة الفلسفية ،ط1، 2004.

27 - ميرلوبونتي، العين والعقل، تر: حبيب الشّارونيّ، منشأة المعارف، الاسكندريّة، مصر، 1989.

-28 ميكائيل ريفاتير، معايير تحليل الأسلوب، ترجمة، تقديم، وتعليقات: حميد لحميدانيّ، منشورات دراسات. سال، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1993.

29 . ابن منظور، لسان العرب، جـ 11، بيروت، دار صادر، ط1، 2003.

30 – نصر حامد أبو زيد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، بيروت . الدار البيضاء، ط7، 2005.

-31 هانز جورج غادامير، الحقيقة و المنهج، . الخطوط الأساسيّة لتأويليّة فلسفيّة . تر: حسن ناظم، علي حاكم صالح، مراجعة: جورج كتورة، دار أويا للطباعة والنّشر و التّوزيع و التّنمية الثّقافيّة، ط1، 2007.

32 . هانس غيورغ غادامير، فلسفة التّأويل . الأصول. المبادئ. الأهداف .، تر: محمّد شوقي الزّين، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط2، 2006.

33 . وهبة، مراد، المعجم الفلسفيّ، دار قباء الحديثة ، القاهرة، 2007م.

المراجع الأجنبيّة:

. Schleiermacher,Interpréter et traduire la pensée , Réflexions à partir de"Conférence inédite, Journée d'étude,La traduction philosophique, Centre d'étude des systèmes, Faculté de philosophie, Université de Lyon 3, Lyon, 30 mars 2001".

المنهج البنيوي الشكلي - إشكالية الزمن في الرواية عند سعيد يقطين

الأستاذة : بحوص نوال

كلية الأدب العربي والفنون جامعة عبد الحميد بن باديس – مستغانم-

ملخص :

بعد التطور الذي لحق بالنقد الأدبي والذي أوجب عليه التعامل مع النص الأدبي تعاملاً مختلفاً عن ما طرحه النقد التقليدي السياقي،انتقل النقد المعاصر نقلةً نوعيةً جعلته يتعامل مع النص في حدِّ ذاته ملغياً كل الاعتبارات الخارجية،سواء كانت تاريخية أو اجتماعية أو حتى نفسية ليقارب النص مقاربةً خاصة،وهذا ما جاء مع الاتجاه البنيوي الشكلي الذي اهتم بدراسة "النسق" وأكدّ على مقولة "موت المؤلف"،وانعكس هذا المنهج النقدي الغربي في النقد العربي من خلال عدد من المدونات النقدية من بينها كتاب سعيد يقطين،تحليل الخطاب الروائي الذي يعد من أهم المراجع التي سعت إلى تطبيق المناهج الغربية على النصوص العربية .

Résumé :

Après le développement de la critique littéraire, qui l'a obligé à traiter le texte littéraire différemment de la critique contextuelle traditionnelle, la critique contemporaine a subi un changement qualitatif qui en soi, annule toutes les considérations extérieures qu'elles soient historiques sociales ou même psychologiques .et cela se reflétait dans la tendance structurelle qui mettait l'accent sur l'étude du (format)et soulignait la (mort de l'auteur) .cette approche critique occidentale se reflétait dans la critique arabe à travers un certain nombre de livres, parmi eux se trouve le livre de Saïd yaktine (analyse du discours du romancier) , qui est l'un des références les plus importantes l'applications des approches occidentales aux textes arabes.

سعت المقاربات النقدية المعاصرة إلى دراسة النصوص الأدبية من جوانب مختلفة، بناءاً على توجهات أصحابها ومنطلقاتهم الفكرية ومرجعياتهم الثقافية، التي تختلف من فترة إلى أخرى بحسب التغيرات التي يتبناها العصر، وبذلك انتقل النقد عبر مختلف مراحله من طريقة إلى أخرى في تعامله مع الإبداع الأدبي، وأثناء هذا التغيير سعى دائماً للوصول إلى (رؤيةٍ أوضح) و(فهمٍ كامل) للنص .

-1 المفهوم :

تعد القراءة البنيوية الشكلية أول اتجاه نقدي ظهر مع المدرسة الشكلانية التي تبنت نظرة اللسانيات في تعاملها مع اللغة، وطبقتها على النصوص الأدبية، وقد تعاملت القراءة البنيوية الشكلية أو كما يسميها بعض النقاد (الشكلانية) مع النص باعتباره "كياناً قائماً بذاته" ينبغي دراسته دون العودة إلى العوامل الخارجية التي ساهمت في إنتاجه.

وبالتالي فإن البنيوية الشكلانية تركز اهتمامها على الجانب الشكلي، أي شكل النص الأدبي

وتنطلق في تعاملها معه من "الكيفية التي يشيد بها الإبداع الأدبي وهي كيفية لغوية بحتة"([1])

ويذهب هذا الاتجاه إلى (تشريح) الإبداع الأدبي من أجل فهمه ثم إعادة (تجبيره) وفي ذلك يهدف الناقد إلى البحث عن الثمار التي كان يخفيها العمل الأدبي في جوفه. ([2])

فالناقد يتناول الإبداع الأدبي بالتفكيك "ثم يضم أجزاءه بعضها إلى بعض هادفا بذلك إلى إنتاج نص جديد"([3])

فالبنيوية الشكلية هي منهج لساني ينظر للأدب على أنه عمل لغوي والناقد فيه "لا يبحث في تحديد معنى sens العمل الأدبي، وإنما يسعى إلى معرفة القوانين العامة التي تحكم وجود أي عمل أدبي في ذاته". ([4])

-2 المقولات الكبرى للمنهج البنيوي الشكلي :

هناك مقولات أساسية اعتمدتها البنيوية الصورية في دراستها للأعمال الأدبية ذات الطابع اللغوي وهي:

أ- مقولة النسق:

يقصد من خلال هذه المقولة الانطلاق في القراءة من داخل النص، فالبنيوية الشكلية هي قراءة (داخلية)، تلغي أية علاقة تربط الأثر الأدبي بالقيم الاجتماعية أو غيرها من بقية العوامل الخارجية.

ولقد كانت دراسة (فلاديمر بروب) Vladimir Propp المعنونة بـ"مورفولوجيا الحكاية الشعبية" هي أولى الدراسات التي ركزت على الجانب الشكلي للعمل الأدبي، حيث انطلقت من تصور مغلق ومسيج، وأقرّت بمبدأ (النسق العام)، حيث توصل بروب إلى أن الحكايات أو الخرافات الشعبية تندرج كلها تحت نسق واحد يتمثل في مجموعة الوظائف أو المراحل التي تتكرر في جميع الخرافات، وداخل هذا النسق العام تتحرك الشخصيات وتدور الأحداث التي تختلف من حكاية إلى أخرى، وانطلاقا من هذا التصور فإن النسق عام والبنية خاصة.

وقد كان دي سويسر أكثر اللسانيين شغفا بالنسق، فقد نظر إلى اللغة باعتبارها "نسق مركب من أدوات التعبير، إنه من الصعب تصور النسق اللساني خارج إطار الكلية والانسجام". ([5])

وبذلك فقد كانت اللسانيات الباب الذي دخل منه البنيويون للبحث في النسق الأدبي.

وقد تحدث أصحاب الاتجاه البنيوي الشكلاني أو (الصوري) كما يطلق عليه بعض النقاد عن "النسق المغلق"، والذي يقصد من خلاله عزل النص عن أية عوامل خارجية، سواء عن مؤلفه أو العوامل الاجتماعية أو التاريخية... وهو ما أطلق عليه أصحاب هذا الاتجاه النقدي في الغرب بـ"التحليل المحايث".

1- خالدة سعيد، حركية الإبداع، دراسات في الأدب العربي الحديث، دار العودة، بيروت، 1979، ص 59.

2- ينظر: شايف عكاشة، نظرية الأدب في النقدين الجمالي والبنيوي في الوطن العربي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ص. ص -102 103.

3- حسين الواد ، البنية القصصية في رسالة الغفران ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، 1977، ص 13.

4- ينظر: محمد اقضاض، مقاربة الخطاب النقدي المغربي (التأسيس) شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط1، 2007، ص 180.

5- أحمد يوسف ، القراءة النسقية سلطة البنية ووهم المحايثة ، ج 1، منشورات الاختلاف، ط 1، الجزائر، 2003.ص 117.

ب- موت المؤلف :

ارتبطت القراءة "البنيوية الصورية" بمقولة "موت المؤلف" ، من منطلق أن القراءة النفسية قد بالغت في اهتمامها بالبحث عن المؤلف وسيرته وعقده النفسية داخل النص الأدبي، وبذلك فقد رفض الاتجاه الشكلاني البحث عن مؤلف النص الأدبي وأكثر من ذلك فقد دعا إلى موته .

وكان أول من تحدث عن هذه المسألة هو الفيلسوف الفرنسي "ميشال فوكو"(*) (Michel Foucault) في كتابه (الكلمات والأشياء) ([1])، حيث رأى بأن الإنسان "تم استبداله بلغته" فجوهره لا يكمن في ذاته، وإنما في الكلمات التي ينجزها باعتبار أن الكلمة خالدة والإنسان فانٍ.

وانطلاقا من هذه الفكرة فإنه لا دخل للمؤثرات الخارجية ومن بينها (المؤلف) في إدراك حقيقة النص، وإنما حقيقة النص تدرك من خلال شكله وذاته.

وفي وجود هذه التركة الثقيلة من الإرث الفلسفي الذي مجد الإنسان، فهو:

الإنسان ذلك المجهول؛

الإنسان ذلك المعلوم؛

دفاع عن الإنسان؛

الإنسان هذا النرجس المريب.

أمام هذا الزخم الفلسفي، ما كان أمام البنيوية إلا أن ترفض رفضاً قاطعاً المعتقدات التقليدية القديمة، وتدعو إلى تبني فكر عقلاني موضوعي يدعو إلى "موت هذا الإنسان" ومع تحليلها للأدب فهي "تقتل المؤلف".

فإذا كان فرويد قد دعى إلى الربط بين الإبداع الأدبي ومبدعه، "فإن البنيويون لا يعترفون بأهلية فرويد النقدية، ولا يعترفون إلا بما هو مختص فيه وهو علم النفس".([2])

هذا الطرح الداعي إلى "موت الإنسان" ومن ثمة "موت المؤلف" مع التحليل البنيوي للأدب لم يتحمس له "ميشال فوكو" وحده وإنما أيده فيه العديد من النقاد.

فقد رأى لويس التوسير بأن "الإنسان كان موضوعا للاقتصاد الماركسي".([3])

وايضا جاك لاكان، الذي أقصى سيرة "إدجار آلا نبو" (Idjar Alain Poe) أثناء تحليله لقصة "الرسالة المسروقة"، فدرس نسق القصة، وركز على تحليل الجانب اللغوي مقصيا تماما "ألان بو" وسيرته. ([4])

ولقد تأثر رولان بارث بقضية "موت المؤلف" ورأى بأن الإعلان عن موت المؤلف فيه إعلان عن ميلاد القارئ من جهة، وميلاد الكتابة من جهة ثانية، وبالتالي سيادة الكتابة التي فرضت على المؤلف الانسحاب واستبدلته باللغة.

- الزمن عند جيرار جينيت :

وقد خصص (جيرار جينيت) جهوده لدراسة السرد، وقد ميز في كتابه "خطاب الحكاية (بحث في

1-Michel Foucault, les mots et les choses, éditions Gallimard ,paris 1966.

2- عبد الملك مرتاض، في نظرية النقد، دارهومة ، د.ط، الجزائر، 2002، ص 5.

3- أحمد يوسف، القراءة النسقية سلطة البنية ووهم المحاثية، م، س، ص 168.

4- ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها .

المنهج) "[1] بين (زمن الحكي) و(زمن القصة).

فزمن الحكي كما رآه جينيت وهو الترتيب الذي اختاره الروائي لأحداث الرواية ، أما زمن القصة فهو التتابع الزمني الفعلي الذي وقعت فيه الأحداث.

ويميز جينيت خمس مقولات مركزية في تحليل السرد وهي:

الترتيب: تعني دراسة الترتيب الزمني لحكاية ما " مقارنة نظام ترتيب الأحداث أو المقاطع الزمنية في الخطاب السردي بنظام تتابع هذه الأحداث أو المقاطع الزمنية نفسها في القصة ."[2]

المدة : يقترح جيرار جنيت أربعة مفاهيم لدراسة هذا المستوى وهي:[3]

- الوقفة : تتحقق عندما تذهب الحكاية إلى الوصف .

- الحذف : يساهم في تسريع القص، حيث يختصر مراحل زمنية طويلة أو قصيرة .

- المشهد : و يكون من خلال الحوار، ويحقق تساويا بين زمن القصة وزمن الحكاية .

- الملخص : يكون فيه زمن الحكاية أقل من زمن القصة، حيث يتم فيه تلخيص ما حدث في عدة سنوات في بضع فقرات .

التواتر : وهي مجموع التساؤلات حول الحدث من خلال إمكانية تكراره مرة أو عدّة مرات في مواقع مختلفة .[4]

الصيغة: ويقصد من خلالها جيرار جنيت كيفية رؤية الرواي للحدث من وجهة النظر هذه أو تلك، وهذه القدرة و أشكال ممارستها هي التي تشير إليها مقولة الصيغة السردية.[5]

الصوت : والذي يرتبط بفعل السرد ذاته أي بنوع السارد، ويمكن أن نجد هنا ترتيبات عديدة بين (زمن السرد) و(زمن المسرود) وبين فعل تلاوة القصة والأحداث التي تتلى، فقد تتم حكاية الأحداث قبل حدوثها، أو بعده أو أثناءه ويمكن لسارد أن يكون غائبا عن سرده، أو خارجا عن نطاقه، أو ممثلا داخل نطاق السرد وبارزا فيه بوصفه الشخصية الرئيسية في الوقت ذاته.[6]

وبهذا فان القراءات السردية الغربية مع الاتجاه البنيوي، حاولت التعامل مع النصوص الأدبية انطلاقا من بنيتها ومكوناتها الداخلية، على اختلافها وبارتباطها مع بعضها البعض، من أجل إرساء قواعد ثابتة في التعامل مع النصوص السردية .

-4 الزمن في الخطاب الروائي قراءة في مدونة سعيد يقطين "تحليل الخطاب الروائي (الزمن – السرد –التبئير) .

يعد الناقد المغربي سعيد يقطين أحد أبرز النقاد الذين اهتموا بدراسة وتحليل النصوص السردية.

---

1 - جيرار جنيت ، خطاب الحكاية (بحث في المنهج) ، تر: محمد معتصم و آخرون ، الهيئة العامة للمطابع الأميرية ، ط 2 ، المغرب، 1997.

2 - المرجع نفسه ، ص 47.

3 - ينظر : المرجع نفسه ، ص . ص 109-108.

4- ينظر : جيرار جنيت ، خطاب الحكاية (بحث في المنهج) ، م س ، ص 129.

5 - ينظر : المرجع نفسه ، ص 177.

6- ينظر : محمد عزام ، تحليل الخطاب الأدبي في ضوء المناهج النقدية الحداثية ، دراسة في نقد النقد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2003،ص29.

وقد اخترنا كنموذج للمنهج البنيوي الشكلي كتاب "تحليل الخطاب الروائي (الزمن- السرد- التبئير) (2) ، الذي حاول من خلاله الناقد "سعيد يقطين" الاستفادة من البحوث البنيوية الغربية واستثمارها في تحليل النصوص الروائية.

وسعى من خلال هذه الدراسة إلى توضيح نظريات المنهج البنيوي، وتطبيقها على نصوص روائية عربية، فتحدث في (المدخل) عن المدرسة الشكلانية الروسية التي اهتمت بالبحث في (أدبية الأدب)، وذلك بالتركيز على النص الأدبي باعتباره عالم مستقل بذاته، وذكر الناقد بأن البنيوية جاءت بأساليب جديدة تعاملت بها مع النصوص الأدبية.

فإذا كانت اللسانيات قد تعاملت مع "الجملة باعتبارها أكبر وحدة قابلة للوصف النحوي"([1])، وبالتالي هي ذلك التركيب الذي يقوم عليه الدرس النحوي فهو يبحث في "تأليفها و نظامها، ومن حيث طبيعتها، ومن حيث أجزائها، ومن حيث ما يطرأ على أجزائها في أثناء تأليفها من تقديم وتأخير ، ومن إظهار و إضمار ، وما يعترضها من معاني عامة تؤديها أدوات التعبير التي تستخدم لهذا الغرض"[2]، هذا الطرح استثمرته المدرسة الشكلانية وجعلته يتعدى حدود الجملة ليطبق على الخطاب الأدبي، بنفس التصورات والأدوات التي تحلل بها اللسانيات الجملة .

ولقد وضح الناقد سعيد يقطين بأن الريادة في تحليل الخطاب كانت مع الباحث الغربي ز- هاريس (z.harris) الذي قدم بحثا عنونه بـ" تحليل الخطاب"سنة1952 فذكر بأنه أول لساني حاول توسيع مجال البحث اللساني بجعله يتعدى الجملة إلى الخطاب ([3]) .

حيث سعى هاريس إلى توسيع حدود الوصف اللساني إلى ما هو خارج الجملة، ولم يهتم بالبحث في العلاقات الموجودة بين اللغة والثقافة والمجتمع .

ووقف الناقد في تحليله للخطاب الروائي عند ثلاث مكونات وهي :

الزمن

الصيغة

التبئير (الرؤية السردية)

وقد أورد الناقد سعيد يقطين جملةً من التعاريف حاول من خلالها تحديد مفهوم الخطاب : (discours)

فهو من منظور سيكو_لساني[4]* : "متتالية منسجمة من الملفوظات"[5]

ويعرفه موشلر (1985) (j.mochler) بأنه " حوار "[6]

1- سعيد يقطين، تحليل النص الروائي، م س، ص15

2- نعيمة سعدية ، الجملة في الدراسات اللغوية ، مجلة كلية الآداب و العلوم الانسانية والاجتماعية ، العدد 09 ، بسكرة ، 2011، ص72.

3-ينظر : سعيد يقطين ، تحليل النص الروائي ، م س ، ص17.

4 *- منهج السيكولساني : هو منهج يهتم بدراسة السلوكات اللفظية ، كاكتساب اللغة ، و الحالات اللغوية و المرضية ، كما يهتم بدراسة المستويات اللغوية الثلاثة : -المستوى الفنولوجي : تحليل الأصوات ، ووصف مخارج الحروف ، والتداخل بين الأصوات اللغوية .- المستوى الدلالي . - المستوى التركيبي .

5 - سعيد يقطين ، تحليل النص الروائي ، م س ، ص 24.

6 - المرجع نفسه ، ص 25.

ويراه " مايكل هوو " " مونولوج شفوي "[1]

وتوصل الناقد من خلال بحثه في هذه الآراء المختلفة التي ذهبت إلى تحديد مفهوم الخطاب إلى ملاحظتين أساسيتين وهما :

1) – أن دلالات الخطاب تتعدد بتعدد اتجاهات و مجالات تحليل الخطاب .

2) – لتحديد مفهوم الخطاب وطرق تحليله، لابد من تحديد المجال الذي نشتغل فيه ، ونجيب عن الأسئلة التالية :

لماذا هذا التعريف ؟ ما هي الأدوات و الإجراءات المناسبة ؟؟ إلى ماذا نبغي الوصول ؟ وكيف ؟؟ ...

يوضح الناقد في بداية حديثه عن الخطاب الروائي، أن هذا الأخيريندرج ضمن حقل الخطاب الحكائي أو السردي لذلك فإن التحليلات المدرجة " تقدم إجراءات أو نماذج قابلة للاختبار على الخطاب الحكائي أيًا كان نوعه . "[2]

يجعل الشكلانيون الروس " المبنى الحكائي " أساساً في تحليلهم للأعمال الإبداعية الحكائية، لذلك نجد توماشفسكيtomashofski يميزبين المبنى الحكائي والمتن الحكائي في قوله " إننا نسمي متناً حكائياً مجموع الأحداث المتصلة فيما بينها، والتي يقع إخبارنا بها خلال العمل ... وفي مقابل المتن الحكائي، الذي يتألف من نفس الأحداث بيد أنه يراعي نظام ظهورها في العمل، كما يراعي ما يتبعها من معلومات تعينها لنا ..."[3] وينطلق تودوروف Todorovمن تمييز توماشفسكي بين المتن والمبنى، "فيؤكد بدءً أن لكل حكي أدبي مظهرين متكاملين . إنه في آن واحد : قصة وخطاب "[4]

القصة : (histoire) " تعني الأحداث في ترابطها وتسلسلها وفي علاقاتها بالشخصيات في فعلها وتفاعلها . وهذه القصة يمكن أن تقدَّم مكتوبة أو شفوية بهذا الشكل أو ذاك . "[5]

الخطاب : (discours) " فيظهر لنا من خلال وجود الراوي الذي يقوم بتقديم القصة وبحيال هذا الراوي هناك القارئ الذي يتلقى هذا الحكي . وفي إطار العلاقة بينهما ليست الأحداث المحكية هي التي تهمنا (القصة)، ولكن الذي يهم الباحث في الحكي بحسب هذه الوجهة هو الطريقة التي بواسطتها يجعلنا الراوي نتعرف على تلك الأحداث (الخطاب) "[6]

يحدد تودوروف من خلال كتابه " البويطيقا" طرق تحليل النص الأدبي الذي يراه مكون من ثلاث جوانب أساسية وهي : الدلالي، اللفظي، التركيبي[7].

1 – الجانب الدلالي : نجيب فيه عن سؤالين : هل يدل النص على شيء ؟ وعلى ماذا يدل ؟ و نطرح فيه قضايا الكلام ؟

2 – الجانب الفظي : يتضمن المقولات التالية : الصيغة (mode) و الزمن (temps) والرؤيات (visions) والصوت (voix) .

---

1 - المرجع نفسه والصفحة نفسها .

2 - سعيد يقطين ، تحليل الخطاب الروائي ،المرجع السابق ، ص 28.

3 - المرجع نفسه، ص 29.

4 - المرجع نفسه ، ص 30 .

5 - سعيد يقطين ، تحليل النص الروائي ، المرجع السابق ، ص 30.

6 - المرجع نفسه والصفحة نفسها .

7- ينظر : المرجع نفسه ، ص 35.-

3 – الجانب التركيبي : ويتضمن ، بنيات النص الفضائي (و هو خاص بالشعر) – التركيب السردي – تخصيصات وارتدادات (وهنا يتحدث عن المحمولات السردية) .

أ-مرجعية الناقد في تحليل الزمن في الخطاب الروائي :

عرض الناقد من خلال هذا العنصر جهود (لاينس) في تعريف الزمن :

* الزمن الفزيائي: زمن خطي لامتناه .

*الزمن الحدثي : وهو متتالية من الأحداث .

ثم تحدث عن الوصف الذي رآه اختلف في الرواية الجديدة اختلافا جذريا، حيث لم تعد الأهمية في الشيء الموصوف، ولكن في حركة الوصف نفسها، أما الزمن فأصبح مع الرواية الجديدة يمثل (زمن القراءة أو زمن المشاهدة).

ب- تحديد مفهوم الزمن :

غيرت لسانيات فرديناند دوسوسير طرق دراسة الزمن و أحدثت قطيعة مع التحليل التقليدي للزمن في اللغة، ويظهر ارتباط مقولة الزمن باللسانيات من خلال الطرح الجديد الذي قدمه البحث اللساني لها .

وهذا ما يتضح من خلال ما قام به الباحث اللساني جون لاينس (j.lyons) الذي ذهب إلى القول بأن التقسيم الثلاثي التقليدي للزمن : الماضي، الحاضر المستقبل هو تقسيم غير دقيق .

ومن بين التقسيمات التي يشير "لاينس" إلى بعضها نجد :[1]

1- اجتماع نقطة الصفر (الحاضر) مع الماضي الشيء الذي يعطيه ثنائية (مستقبل – لا مستقبل) .

2- اجتماع النقطة نفسها مع المستقبل لتقدم لنا ثنائية (الماضي – اللا ماضي)

3- و على أساس التمييز بين الآن و غير الآن، وبدون اعتبار جريان الزمن يمكن تقديم ثنائية أخرى بين (الحاضر و اللا حاضر) .

4- باستعمال مفهوم القرب (proximité) يمكن التقسيم قريب – لا قريب أو تقسيم ثلاثي يشمل الآن والقريب و البعيد .

في كل هذه الاقتراحات ينطلق لاينس من الخاصية الأساسية لمقولة الزمن والتي تكمن في ربط لحظة الحدث في الجملة بلحظة التلفظ (الآن) .

ج- القصة – الخطاب – النص :

ينطلق الناقد في دراسته للزمن داخل الرواية من ثلاثة أقسام :

1- زمن القصة .

2- زمن الخطاب .

3- زمن النص .

و يشير إلى أن " زمن القصة صرفي، وزمن الخطاب نحوي وزمن النص دلالي. وفي الزمن الأخير تتجلى زمنية النص الأدبي (الروائي هنا) باعتباره التجسيد الأسمى لزمن القصة وزمن الخطاب في

---

1 - ينظر : سعيد يقطين ، تحليل النص الروائي ، المرجع السابق، ص 64

ترابطهما وتكاملهما " [1]

يذهب الناقد عبد الملك مرتاض إلى الحديث عن الزمن الذي يراه مظهرا وهمياً "يزمن الأحياء والأشياء فتتأثر بماضيه الوهمي، غير المرئي، غير المحسوس، والزمن كالأكسجين يعايشنا في كل لحظة من حياتنا، وفي كل مكان من حركاتنا، غير أننا لا نحس به، ولا نستطيع تلمسه، ولا نراه ."[2]

ولدراسة الزمن في العمل الروائي لابد من التمييز بين ثلاث أزمنة : زمن القصة وزمن الخطاب وزمن النص، إذ أنه ليس من الضروري – من وجهة نظر البنيوية- أن يتطابق تتابع الأحداث في رواية ما، أو في قصة مع الترتيب الطبيعي لأحداثها –كما يفترض أنها جرت بالفعل -، هذا ينطبق أيضا على الروايات التي تحترم هذا الترتيب، فإن الوقائع التي تحدث في زمن واحد لابد أن ترتب في البناء الروائي تتابعيا، لأن طبيعة الكتابة تفرض ذلك، مادام الروائي لا يستطيع أن يروي عددا من الوقائع في آنٍ واحد .[3]

وبالتالي فإن زمن القصة :

يقصد به التسلسل المنطقي للأحداث، فلكل حكاية بداية ونهاية، وأحداث متتابعة تجري في زمن معين .

وزمن الخطاب :

هو زمن السرد حيث لا يخضع للتتابع المنطقي للأحداث، فإذا كانت القصة تحتوي على مجموعة من الأحداث المتتابعة بشكل منطقي على النحو التالي :

أ ب ج د

فإن سرد هذه الأحداث في رواية ما، من الممكن أن يتخذ شكلا مختلفا عن سيرها في زمنها العادي، فمثلا يمكن أن يكون سرد الأحداث على الشكل التالي :

ج د ب أ

وهذا ما يسمى بـ:"المفارقة الزمنية " بين زمن السرد وزمن القصة .

أما زمن النص :

فيقصد به "زمن الكتابة" ، فالكاتب يكتب نصه في لحظة زمنية تختلف عن زمن القصة وزمن الخطاب .

وبذلك،يُعد كتاب "تحليل الخطاب الروائي (الزمن ، الصيغة ، التبئير) " من أهم المراجع النقدية التي تسعى إلى توضيح مختلف النظريات الغربية التي اهتمت بتحليل الخطاب الروائي، حيث خصص الناقد سعيد يقطين، جانبا للدراسات النظرية مقدما استعراضا دقيقا لمختلف الآراء النقدية الغربية التي سعت إلى تحليل الخطاب الروائي وفق منطلقات جديدة، وفي المقابل استخدم هذه النظريات وحاول تطويعها لقراءة النص الروائي العربي، وقد سعى الناقد من خلال

---

1 - سعيد يقطين ، تحليل النص الروائي ، المرجع السابق، ص 89.

2- عبد الملك مرتاض ، في نظرية الرواية ، بحث في تقنيات السرد (عالم المعرفة) ، المجلس الوطني للثقافة والفنون ، الكويت ، 1998 ،ص209

3 - ينظر : ميشال بوتور ، بحوث في الرواية الجديدة ، ترجمة : فريد أنطونيوس ، منشورات عويدات ، ط 2 ، بيروت ، 1982 ،ص101.

هذه الدراسة إلى إبراز ثلاثة معايير يقوم عليها الخطاب السردي وهي :

- الزمن .
- الصيغة .
- التبئير أو الرؤية السردية .

ولم يكتف الناقد بتوضيح هذه العناصر من الناحية النظرية فقط، وإنما قام باستخدامها في تحليل النص الروائي العربي، وقد سعى جاهدا أن يبقى وفيا لمختلف النظريات والإجراءات؛ التي قام عليها كل عامل من هذه العوامل المكونة للخطاب الروائي.

قائمة المصادر والمراجع :

-1 أحمد يوسف ، القراءة النسقية سلطة البنية ووهم المحايثة ، ج 1، منشورات الاختلاف، ط 1، الجزائر، 2003.ص 117.

-2 حسين الواد ، البنية القصصية في رسالة الغفران ، الدار العربية للكتاب ، تونس ،1977.

-3 خالدة سعيد، حركية الإبداع، دراسات في الأدب العربي الحديث، دار العودة، بيروت، 1979.

-4 جيرار جنيت ، خطاب الحكاية (بحث في المنهج) ، تر: محمد معتصم و آخرون ، الهيئة العامة للمطابع الأميرية ، ط 2 ، المغرب،1997.

-5 سعيد يقطين تحليل الخطاب الروائي(الزمن السرد التبئير) ، المركز الثقافي العربي ، ط3 ، المغرب ، 1997.

-6 شايف عكاشة، نظرية الأدب في النقدين الجمالي والبنيوي في الوطن العربي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر .

-7 عبد الملك مرتاض ، في نظرية الرواية ، بحث في تقنيات السرد (عالم المعرفة) ، المجلس الوطني للثقافة والفنون ، الكويت ، 1998 .

-8 عبد الملك مرتاض، في نظرية النقد، دار هومة ، د.ط، الجزائر، 2002.

-9محمد اقضاض، مقاربة الخطاب النقدي المغربي (التأسيس) شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط1، 2007.

-10 محمد عزام ، تحليل الخطاب الأدبي في ضوء المناهج النقدية الحداثية،دراسة في نقد النقد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2003.

-11 ميشال بوتور ، بحوث في الرواية الجديدة ، ترجمة : فريد أنطونيوس ، منشورات عويدات ، ط 2 بيروت ، 1982 .

-12 نعيمة سعدية ، الجملة في الدراسات اللغوية ، مجلة كلية الآداب و العلوم الانسانية والاجتماعية ، العدد 09 ، بسكرة ،2011.

13 -Michel Foucault, les mots et les choses, éditions Gallimard ,paris 1966.

المعيار الأخلاقي في الخطاب النقدي العربي القديم

د. شميسة خلوي - جامعة الجزائر2

الملخص: إن معيار النقد الفني عند النقاد العرب القدامى لم يقف عند نقد المعنى أو المبنى، بل تعداه إلى المعيار الأخلاقي المرتبط بالجانب الديني، ومعلوم ما للنظام الأخلاقي من أهمية في العبادات والمعاملات في الإسلام، الأمر الذي أثَّر على الأدب ونقده أيضا.

وعلى هذا، يعتبر هذا المعيار من أهم خصوصيات الخطاب النقدي العربي القديم، والذي يميزه عن غيره، لذلك سنعرض في هذه المداخلة لمختلف جوانب المعيار الأخلاقي لدى النقاد العرب القدامى من أمثال أبي بكر الباقلاني (ت: 403هـ) وابن شرف القيرواني (ت: 460هـ) وابن رشيق القيرواني (ت: 463هـ) وأبي الفضل عياض اليحصبي (ت: 544هـ).

الكلمات المفتاحية: الأدب العربي القديم، الخطاب النقدي القديم، المعيار الأخلاقي.

Abstract: In the present paper, we takes car of studing the moral criterion in the arabic ancient critical Discourse, and If we look at our Arabic literature we will think of the deep –rooted direction of the Moral Scale in the Ancient Arabic Criticism, with al baqilani, al qadi iydh, ibn sharaf, and ibn rashiq.

Key-words: the moral criterion, traditional critics, Ancient Arabic literature.

الحمد لله حمدًا يوافي نعمه، والصلاة والسلام على أشرف خلقه وخاتم رسله، وبعد،

فإن كل تأليف يخلق مجالاً للنقد فور إنتاجه وعرضه للقراء والمهتمين، ويكون صوت الناقد مسموعا في بيان قيمة الأثر المدوَّن، وبين كشف لمواطن الجمال أو القبح، تختلف الرؤى وتتنوع حسب الخلفيات الثقافية وحسب الأداة الإجرائية المتبعة لتحليل المدونة.

حينها، يكون الناقد همزة وصل بين العمل المطروح والقارئ –العادي والمتخصص-، يترسَّم العمل ويتوسَّمه، يقلِّب فيه النظر ويسبر غوره ليظهر مكنونه.

وقد عرف العربي النقد منذ عصر ما قبل الإسلام[1]، حيث كان النقد مجرد انطباع كلي، يعبِّر عن أحكام جزئية، وكان الرواة يتناقلون هذه الأحكام مشافهة أو يردِّدونها في المجالس الأدبية.

إلى أن ازدهرت الحركة النقدية مع ابن سلام الجمحي (ت: 231هـ) في طبقاته دانية القطوف، وابن قتيبة (ت: 276هـ) في "الشعر والشعراء" وما احتواه من لطائف الإشارات النقدية، إلى أبي هلال العسكري (ت: 395هـ) في كتابه الفريد في فنه: "الصناعتين"، وابن رشيق القيرواني (ت: 463هـ) في "العمدة" الذي طُوي على فصول دقيقة البحث، وغيرها من الكتب النقدية الأصيلة التي حفلت بها المكتبة العربية.

ومعلوم ما لقضايا النقد العربي القديم من تنوع وتفرع، فبين نقد المعنى والمبنى سال من المداد الشيء الكثير، لكن معيار النقد الفني عند النقاد العرب القدامى لم يقف عند نقد المعنى أو المبنى، بل تعداه إلى المعيار الأخلاقي المرتبط بالجانب الديني، ومعروف ما للنظام الأخلاقي من أهمية في

1- مصادر كثيرة تحدثت عن تاريخ النقد العربي، ويكفي الاطلاع على تاريخ النقد الأدبي عند العرب لإحسان عباس، على سبيل المثال لا الحصر.

العبادات والمعاملات في الإسلام، الأمر الذي أثّر على الأدب ونقده أيضا.

فالناقد المتشبع بالأخلاق الحسنة سيجد نفسه وهو يمارس النقد مجبرا على الإشارة والتنبيه، والرفض أحيانا لكل ما يخالف فطرته الأخلاقية والتي صقلها الإسلام وأعطاها بُعدا دينيا، والخلق هو «حال النفس، بما يفعل الإنسان أفعاله بلا روية ولا اختيار، والخلق قد يكون في بعض الناس غريزة وطبعا، وفي بعضهم لا يكون إلا بالرياضة والاجتهاد، كالسخاء قد يوجد في كثير من الناس من غير رياضة ولا تعمُّل، وكالشجاعة والحلم والعفة والعدل وغير ذلك من الأخلاق المحمودة»[1].

وإن ارتباط الإبداع الشعري بالأخلاق بدا بعد الإسلام عند أوائل النقاد ممن أجادوا في هذا المجال وكانوا أعلاما يرجع إليهم ويستدل بآرائهم، وهذا عمرو بن العلاء يعلق على شعر لبيد وكيف لان بعد أن دخلته الروح الإسلامية وحورت معانيه: «ما أحد أحبّ إليَّ شعرا من لبيد بن ربيعة، لذكره الله عزّ وجل، ولإسلامه، ولذكره الدين والخير؛ ولكن شعره رحى بزر»[2].

ومما سبق ذكره، يعتبر هذا المعيار الأخلاقي من أهم خصوصيات الخطاب النقدي العربي القديم، والذي يميزه عن غيره، لذلك سنعرض في هذه المداخلة لمختلف جوانب المعيار الأخلاقي لدى النقاد العرب القدامى من أمثال أبي بكر الباقلاني (ت: 403هـ) و ابن شرف (ت: 460هـ) وابن رشيق القيرواني (ت: 463هـ) وأبي الفضل عياض اليحصبي (ت: 544هـ).

1. أبو بكر الباقلاني (ت: 403هـ):

أ. ترجمته:

هو[3]: محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، أبو بكر الباقلاني، ولد سنة 338هـ، وتوفي سنة 403هـ، متكلم فقيه، نشأ في البصرة وبها قضى فترة شبابه، إلى أن استقر ببغداد بقية حياته.

وُصف بالمتكلم لاتجاهه إلى علم الكلام، يقول ابن تيمية: «وهو أفضل المتكلمين المنتسبين إلى الأشعري، ليس فيهم مثله لا قبله ولا بعده»[4].

وعلى هذا عُدَّ الباقلاني أحد أئمة هذا المذهب، أما وصفه بالفقيه، فلكونه من كبار فقهاء المذهب المالكي، وصفه القاضي عياض فقال عنه: «شيخ السنة، ولسان الأمة، المتكلم على مذهب المثبتة، وأهل الحديث، وطريقة أبي الحسن الأشعري»[5].

تتلمذ الباقلاني على مجموعة من كبار علماء عصره كالمتكلم ابن مجاهد الطائي، وعنه أخذ علم الكلام والفقه المالكي وأصوله، وكذا شيخ المتكلمين أبو الحسن الباهلي البصري تلميذ أبي الحسن الأشعري، وغيرهما مما كان لهم الفضل في إحاطته بمختلف المعارف والتفوق على أقرانه.

كما عاصر الباقلاني علماء عدة أمثال: إبراهيم بن محمد الإسفراييني وأبو بكر محمد بن الحسن

1- الجاحظ، تهذيب الأخلاق، قرأه وعلق عليه: إبراهيم بن محمد، ط1، دار الصحابة للتراث، 1410هـ/ 1989م، 12.

2-أبو عبيد الله بن محمد المرزباني، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، 84.

3- ينظر: شمس الدين بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، ط1، دار صادر، بيروت، لبنان، 1971م، 4/291، وعادل نويهض، معجم المفسرين -من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر- ط3، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان، 1409هـ- 1988م، 2/542، وغيرهما.

4- تقي الدين ابن تيمية الحراني، الفتوى الحموية الكبرى، تحقيق: حمد بن عبد المحسن التويجري، ط2، دار الصميعي، الرياض، 1425هـ / 2004م، 6/170.

5- القاضي عياض اليحصبي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تحقيق: سعيد أحمد أعراب مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، 7/44.

فورك.

أما تلاميذه فهم كثيرون، فقد كانت للباقلاني حلقات علم، وإن من أشهر تلاميذه: أبو عبد الله الأزدي، وأبو طاهر البغدادي اللذان نشرا علمه في المغرب العربي.

وللباقلاني مؤلفات عدة، معظمها فُقد ولم يصلنا، ومما وصلنا وبقي شاهدا على علمه، كتابه: "إعجاز القرآن" وله أيضا: كتاب "التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة والخوارج"، و"الإنصاف في أسباب الخلاف" وغيرها.

ب. المعيار الأخلاقي عند أبي بكر الباقلاني:

إن معيار النقد الفني عند أبي بكر الباقلاني لا يقف عند نقد المعنى أو المبنى فحسب، بل يتعداه إلى تشغيل المعيار الأخلاقي في ممارسته للنقد، فها هو «يعيب معلقة أمرئ القيس من زاوية أخلاقية»([1])، على شاكلة ايراده للبيتين التالين:

فقُـــــلتُ لها سيري وأرْخي زِمامَهُ *** ولا تُبعديني من جناك المعللِ

فمِثلكِ حُبْلى قد طَرَقْتُ ومُرْضعٍ *** فألهيتُها عن ذي تمائمَ محول

فحين وقف عند شرح البيتين، وتحديدا عند قول الشاعر: "فمثلك حبلى قد طرقت"، قدَّره بأنه «زير نساء، وأنه يفسدهن ويلهيهن عن حبلهن ورضاعهن، لأن الحبلى والمرضعة أبعد من الغزل وطلب الرجال!»([2]).

ويواصل: «والبيت الثاني في الاعتذار والاستهتار والتهيام، وغير منتظم مع المعنى الذي قدمه في البيت الأول، لأن تقديره: لا تبعديني عن نفسك فإني أغلب النساء، وأخدعهن عن رأيهن، وأفسدهن بالتغازل! وكونه مفسدة لهن لا يوجب له وصلهن وترك إبعادهن إياه، بل يوجب هجره والاستخفاف به، لسخفه ودخوله كل مدخل فاحش، وركوبه كل مركب فاسد! وفيه من الفحش والتفحش ما يستنكف الكريم من مثله، ويأنف من ذكره!»([3]).

وهذا الكلام يبين لنا مدى اهتمام الباقلاني بالمعيار الأخلاقي أثناء نقده للمعنى، ويتضح لنا من خلال حشد الباقلاني لمجموعة من الألفاظ التي تدل على خروج الشاعر عن المقصد الأخلاقي.

2. ابن شرف (ت: 460هـ):

أ. ترجمته:

هو([4]): محمد بن أبي سعيد بن أحمد بن شرف القيرواني أبو عبد الله الجذامي أحد فحول شعراء المغرب العربي، أصله من القيروان حيث ولد بها، واتصل بالمعز بن باديس أمير إفريقية، فألحقه بديوان حاشيته، ثم جعله في ندمائه وخاصته، واستمر إلى أن زحف عرب الصعيد واستولوا على معظم القطر التونسي، فارتحل المعز إلى المهدية ومعه ابن شرف، ثم رحل ابن شرف إلى صقلّيّة، ومنها إلى الأندلس، ومات بإشبيليّة.

1- إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ط4، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1404هـ- 1983م، 31.

2- أبو بكر الباقلاني، إعجاز القرآن، 167.

3- المرجع السابق، 167.

4- ينظر: صلاح الدين الصفدي، فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، ط1، دار صادر، بيروت، لبنان، 1974م، وصلاح الدين الصفدي، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، 1420هـ- 2000م، 3/82.

من كتبه "أبكار الأفكار" وهي مختارات شعرية ونثرية، و"مقامات" عارض بها بديع الزمان، والتي نشرت باسم "رسائل الانتقاد".

ب. المعيار الأخلاقي عند ابن شرف:

ليس ابن شرف ببعيد في الإسهام هو الآخر في إدخال المفاهيم الأخلاقية المستمدة من الإسلام إلى حقل النقد الأدبي، وتطبيقها على الشعر في أحايين كثيرة. فلا نجده يغض الطرف عن بيت زهير بن أبي سلمى وهو ينشد:

رَأَيْتُ المَنَايَا خَبْطَ عَشْوَاءَ مَنْ تُصِبْ *** تُمِتْهُ وَمَنْ تُخْطِىء يُعَمَّرْ فَيَهْرَمِ

فيقول ابن شرف معلِّقا على معنى البيت: «ذلك أن قول زهير "خبط عشواء" إنما يصح لو أن بعض الناس يموت وبعضهم ينجو، وقد علم زهير أن المنايا لا تخطئ شيئا، وإنما الوهم عليه موت قوم اعتباطا وموت آخرين هرما، فظن طول العمر سببه أخطاء المنية»[1].

ولا يلزمنا الاستدلال الكثير لمعرفة خلفية أساس هذا الحكم النقدي، فيكفي أن نذكر الحقيقة الدينية التي وردت في القرآن الكريم، حيث يقول عز وجل: «وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ» (المنافقون:11).

أما في قول زهير ابن أبي سلمى:

وَمَنْ لَمْ يَذُدْ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلاحِهِ *** يُهَدَّمْ وَمَنْ لا يَظْلِمِ النَّاسَ يُظْلَمِ

فيعلِّق ابن شرف على معنى البيت من وجهة نظر أخلاقية قائلا: «تجاوز في هذا الحق الباطل وبنى قولا ينقضه جريان العادة وشهادة المشاهدة، وذلك أن الظلم وعرة مراكبه مذمومة عواقبه في جاهليته وإسلامنا فحرض في شعره عليه»[2].

ولا غرو أن نقد ابن شرف لبيت زهير مستقى من تعاليم الإسلام التي تحث على الصفات الحسنة وتنبذ الرذائل، فابن شرف لا يوافق ما ذهب إليه الشاعر من رد الظلم بالظلم، فليس كل من كفَّ يده عن ظلم الغير، استطالوا عليه وظلموه، بل الواجب هو الابتعاد عن ظلم الخلائق، والله عز وجل يقول: «وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا (111)» (طه:111).

3. ابن رشيق القيرواني (ت: 463هـ):

أ. ترجمته:

هو[3]: أبو علي الحسن بن رشيق المعروف بالقيرواني؛ أحد الأفاضل البلغاء، ولد بالمسيلة وتأدَّب بها، ثم تاقت نفسه إلى التزيد من العلم وملاقاة أهل الأدب، فارتحل إلى القيروان حيث اشتهر بها، ولم يزل هناك إلى أن هاجم العرب القيروان وقتلوا أهلها وخربوها، فانتقل إلى جزيرة صقلية، وأقام بمازر إلى أن توفي العام 463هـ.

له من التصانيف المطبوعة كتاب "العمدة في محاسن الشعر وآدابه" و"أنموذج الزمان في شعراء

1- ابن شرف القيرواني، أعلام الكلام، تقديم وتحقيق وتعليق: محمد زينهم محمد عزب، دار الآفاق العربية، 34.

2- ابن شرف القيرواني، أعلام الكلام، 34.

3- ينظر: أبو الفلاح ابن العماد العَكري الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، تخريج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، ط1، دار ابن كثير، دمشق، سوريا، بيروت، لبنان، 1406هـ- 1986م، 5/237، ياقوت الحموي، معجم الأدباء(إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) تحقيق: إحسان عباس، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1414هـ- 1993م، 2/861، و شمس الدين ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، 1900م، 2/85.

القيروان" و"قراضة الذهب في أشعار من ذهب" وله أشعار جمعت في ديوان([1]).

مما قاله شعرا([2]):

أُحِبُّ أَخي وَإِنْ أعْرَضْتُ عَنْهُ *** وَقَلَّ على مسامِعِهِ كلامي

وَلِي فِي وَجْهِهِ تَقْطيبُ راضٍ *** كَما قَطَّبْتَ في إثْرِ كلمُدامِ

ورُبَّ تَقَطبٍ مِنْ غَيْرِ بُغْضٍ *** وَبُغْضٍ كامِنٍ تَحْتَ ابتِسامِ

ب. المعيار الأخلاقي عند ابن رشيق القيرواني:

يعد كتاب "العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده" كتابا نقديا بامتياز، إذ لا نزال نحتكم إليه في مختلف القضايا النقدية التي تؤطر المجال الأدبي العربي القديم، ولعلنا نقول إن ابن رشيق «قد نقل النقد من المشرق إلى المغرب في هذا القرن»([3]).

ومعلوم لدى المتتبعين لمنهج ابن رشيق النقدي ما يورده من آراء مختلفة أثناء بسطه للأحكام النقدية، ومحاولته تحاشي الذاتية، ورغم ذلك نلفي بعض الإشارات للمعيار الأخلاقي الذي اتبعه أثناء حكمه على الشعر والنثر في العمدة.

فها هو يضع بصمته النقدية المبنية على الخلق الكريم البعيد عن الهجاء والفحش فيقول: «وجميع الشعراء يرون قصر الهجاء أجود، وترك الفحش فيه أصوب، إلا جريراً فإنه قال لبنيه: إذا مدحتم فلا تطيلوا الممادحة، وإذا هجوتم فخالفوا، وقال أيضاً: إذا هجوت فأضحك، وسلك طريقته في الهجاء سواء علي بن العباس بن الرومي، فإنه كان يطيل ويفحش، وأنا أرى أن التعريض أهجى من التصريح»([4]).

ومن ثمة، يتضح جليا كيف مال ابن رشيق إلى ترك الفحش وتجافى عن الهجاء لأنه أحسن وأصوب، وهو في ذلك على مثل رأي كثير من النقاد والكتاب البارزين على شاكلة ابن بسام الذي يقول: «صنت كتابي هذا عن شين الهجاء، وأكبرته أن يكون ميداناً للسفهاء، أجريت هاهنا طرفاً من مليح التعريض في إيجاز القريض، مما لا أدب على قائليه، ولا وصمة أعظم على من قيل فيه»([5]).

4. أبو الفضل عياض اليحصبي (ت: 544هـ):

أ. ترجمته:

هو([6]): القاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، الأندلسي السبتي المالكي، ولد سنة

1- جمع الدكتور موسى مريان أشعار ابن رشيق ورتبها وشرح غامضها وقدم لها في "ديوان ابن رشيق القيرواني" ط1، منشورات دار الكاتب للطباعة والنشر والتوزيع، 2012م.

2- ينظر: أبو الفلاح ابن العماد العَكري الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، 5/237.

3- أحمد زغلول سلام، تاريخ النقد العربي، دار المعارف مصر، 2/131.

4-ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط5، دار الجيل، 1401هـ/ 1981م، 2/172.

5- أبو الحسن علي بن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، ط1، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس، 1981م.

6- ينظر: شمس الدين بن قَايْماز الذهبي، تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2003م، 11/860، وسير أعلام النبلاء، ء شعيب الأرناؤوط، ط3، مؤسسة الرسالة، 1405هـ/ 1985م، 20/212، وأبو القاسم بن بشكوال، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، عني بنشره وصححه وراجع أصله: السيد عزت العطار الحسيني، ط2، مكتبة الخانجي، 1374هـ - 1955م، 430، وأبو عبد الله الأنصاري الأوسي المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق وتعليق: إحسان عباس، محمد بن شريفة، بشار عواد معروف، ط1، دار الغرب الإسلامي، 2012م، 5/114.

476هـ، وتوفي سنة 544هـ، تحول جدهم من الأندلس إلى فاس، ثم سكن سبتة، أخذ العلم بداية عن الحافظ أبي علي الغساني إجازة، استقضي ببلده مدة طويلة حمدت سيرته فيها، ثم نقل عنها إلى قضاء غرناطة فلم يطل أمده بها وقدم قرطبة.

روى عن القاضي أبي علي بن سُكَّرة الصَّدفي ولازمه وعن أبي بحر بن العاص ومحمد بن حمدين وغيرهم من الشيوخ، وتفقه عن أبي عبد الله بن عيسى التميمي والقاضي محمد بن عبد الله المسيلي.

جاء في أزهار الرياض وصف شامل لشخصية القاضي عياض: «قال الملاحي: كان القاضي عياض رحمه الله تعالى بحر علم وهضبة دين وحلم أحكم قراءة كتاب الله تعالى بالسبع وبلغ من معرفته الطول والعرض وبرز في علم الحديث وحمل راية الرأي ورأس في الأصول وحفظ أسماء الرجال وثقب في علم النحو وقيد اللغة وأشرف على مذاهب الفقهاء وأنحاء العلماء وأغراض الأدباء»([1])، وهو على ذلك من خيرة العلماء الفضلاء.

جمع وألَّف حتى اشتهر اسمه في الآفاق، ومن تصانيفه "كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى" و "كتاب إكمال المعلم بشرح مسلم"، و" كتاب التنبيهات المستنبطة على المدونة والمختلطة" و "كتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك بمعرفة أعلام مذهب مالك" و"كتاب الإعلام بحدود قواعد الإسلام" وغير ذلك من التواليف البديعة.

وله شعرٌ حسن، على شاكلة قوله:

انظُرْ إلى الزَّرْع وخاماتِه *** تحكي وقد ماسَت أمام الرِّياحْ

كتيبةً خضراء مهزُومةً *** شقائقُ النّعْمانِ فيها جــــراحْ

ب. المعيار الأخلاقي عند القاضي عياض اليحصبي:

إنه وبحكم الاطلاع الموسوعي للقاضي عياض على مختلف أمهات الكتب الأدبية واللغوية، فإننا نجده قد خلَّف لنا بعض الآراء النقدية الموجهة للنصوص الأدبية خصوصا الشعر، مبثوثة في مختلف مؤلفاته ولا سيما " الشفا بتعريف حقوق المصطفى".

ويعد كتاب "بغية الرائد" لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد" وتحديدا آخر فصل منه([2]) شاهدا على الحس النقدي للقاضي عياض، وعنها يقول عبد الله الطيب: «للقاضي عياض رحمه الله ورضي عنه رسالة من الروائع في باب النقد كان ينبغي من أجلها وحدها أن يذكر بين كبار النقاد»([3])، هذا النقد الذي لم يكن خاليا من الاحتكام إلى الأخلاق الفاضلة قبل إصدار الأحكام النقدية.

فأثناء تمثيله لما اعتبره قصدٌ للهزل والتنذير من طرف الشعراء، ساق القاضي عياض بيتا للمتنبي للدلالة على رأيه:

أنَا في أُمّةٍ تَدارَكَهَا اللّـ *** ـهُ غَريبٌ كَصَالِحٍ في ثَمُود([4])

1- شهاب الدين أبو العباس المقري التلمساني، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد العظيم شلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1358هـ- 1939م، 3/07.

2- القاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي، بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد، ومعه تفسير نفس الحديث للحافظ السيوطي، تحقيق: صلاح الدين بن أحمد الإدلبي ومحمد الحسن أجانف ومحمد عبد السلام الشرقاوي، 1395هـ/ 1975م، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 186.

3- عبد الله الطيب، القاضي عياض الناقد، مجلة المناهل المغربية، العدد: 19، 199.

4- أبو الفضل بن موسى اليحصبي، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع، 1409هـ- 1988م، 2/239.

وحشره ضمن «أشعار المتعجرفين في القول المتساهلين في الكلام»[1]، ولعل الأمر ارتبط عنده بجرأة المتنبي في تشبيه حاله بحال نبي الله صالح.

واستشهد بعد ذلك ببيت للمعري في نفس سياق الحكم النقدي حين أنشد:

كُنْت مُوسَى وَافَتْه بِنْت شُعَيْب *** غَيْر أن لَيْس فِيكُمَا من فَقِير[2]

وقد اعتبره «داخلا في الإزراء والتحقير بالنبي صلى الله عليه وسلم وتفضيل حال غيره عليه»[3]، وذلك بتشبيه ممدوحه وزوجته بموسى عليه السلام وزوجته وهي بنت نبي جهلا منه برفيع شأنهم وبديع مكانه.

وأخيرا نقول : إن الأمثلة التي أوردناها تدل على التزام العينة المختارة من النقاد بما ارتضاه الإسلام من قيم أخلاقية ممثلة في الأدب شعره ونثره.

لأن الواقع هو أن «هؤلاء النقاد ظهروا في عهد الإرهاصات النقدية التي كانت في معظمها قائمة على أساس أخلاقي هدفها خدمة هذا الدين الحنيف بالدرجة الأولى ثم خدمة الأدب في الدرجة الثانية أضف إلى ذلك أن هؤلاء النقاد كانوا فقهاء بطريقة أو بأخرى»[4]، فصار بذلك الإبداع الشعري مرتبطا بالأخلاق المستقاة من الإسلام، باعتبار الدين أصبح السلطة التي تسيّر دنيا المسلم وآخرته.

مصادر ومراجع الدراسة:

- أحمد زغلول سلام، تاريخ النقد العربي، دار المعارف مصر.

- إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ط4، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1404هـ - 1983م.

- الجاحظ، تهذيب الأخلاق، قرأه وعلق عليه: إبراهيم بن محمد، ط1، دار الصخابة للتراث، 1410هـ/ 1989م.

- أبو الحسن علي بن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، ط1، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس، 1981م.

- أبو الفلاح ابن العماد العَكري الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، تخريج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، ط1، دار ابن كثير، دمشق، سوريا، بيروت، لبنان، 1406هـ - 1986م.

- أبو الفضل بن موسى اليحصبي، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع، 1409هـ - 1988م.

- أبو القاسم بن بشكوال، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، عني بنشره وصححه وراجع أصله: السيد عزت العطار الحسيني، ط2، مكتبة الخانجي، 1374هـ - 1955م

- أبو عبد الله الأنصاري الأوسي المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق وتعليق: إحسان عباس، محمد بن شريفة، بشار عواد معروف، ط1، دار الغرب الإسلامي، 2012م.

- ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط5، دار الجيل، 1401هـ/ 1981م.

1- المرجع السابق، 2/240.

2- السابق، 2/240.

3- نفسه، 2/240.

4- محمد مرتاض، النقد الأدبي القديم في المغرب العربي، نشأته وتطوره حتى القرن السادس الهجري، مقاربة تاريخية/ فنية، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2015م، 246.



- أشعار ابن رشيق، الديوان، تحقيق: جمع وترتيب وشرح الغامض والتقديم: موسى مريان، ط1، منشورات دار الكاتب للطباعة والنشر والتوزيع، 2012م.

- ابن شرف القيرواني، أعلام الكلام، تقديم وتحقيق وتعليق: محمد زينهم محمد عزب، دار الآفاق العربية.

- بدوي طبانة، علم البيان (دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية) ط2، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، 1967م.

- تقي الدين ابن تيمية الحراني، الفتوى الحموية الكبرى، تحقيق: حمد بن عبد المحسن التويجري، ط2، دار الصميعي، الرياض، 1425هـ / 2004م.

- شمس الدين بن قَايْماز الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط3، مؤسسة الرسالة، 1405هـ / 1985م.

- محمد بن أحمد بن عثمان بن أحمد بن عثمان الذهبي، تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2003م.

- شهاب الدين أبو العباس المقري التلمساني، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد العظيم شلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1358هـ - 1939م.

- صلاح الدين الصفدي، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، 1420هـ- 2000م.

- عبد السلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية، ط3، الدار العربية للكتاب.

- شمس الدين بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، ط1، دار صادر، بيروت، لبنان، 1971م.

- عادل نويهض، معجم المفسرين -من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر- ط3، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان، 1409هـ - 1988م.

- عبد الله الطيب، القاضي عياض الناقد، مجلة المناهل المغربية، العدد: 19.

- عياض بن موسى اليحصبي السبتي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تحقيق: سعيد أحمد أعراب مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب.

- القاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي، بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد، ومعه تفسير نفس الحديث للحافظ السيوطي، تحقيق: صلاح الدين بن أحمد الإدلبي ومحمد الحسن أجانف ومحمد عبد السلام الشرقاوي، 1395هـ/ 1975م، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية.

- محمد مرتاض، النقد الأدبي القديم في المغرب العربي، نشأته وتطوره حتى القرن السادس الهجري، مقاربة تاريخية/ فنية، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2015م.

- ياقوت الحموي، معجم الأدباء(إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) تحقيق: إحسان عباس، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1414هـ - 1993م.



El-Madar

Cognitive Center for Research and Studies algeria

Madarat

Journal of language and literature

Biannual International peer-reviewed journal

Second Édition March : 1439/2019





ISSN: 2661-765X

ISBN: Aout 2018